النص الكامل

تيري ميسان

التضليل الشيطاني

ماذا جرى في ١١ أيلول ٢٠٠١
هجوم إرهـابي أم إنقلاب؟

لا صحة لسقوط طائرة على البنتاغون

الدار الوطنية الجديدة
دمشق

تـيري ميسـان

التضليل الشيطاني

ماذا جرى في ١١ أيلول ٢٠٠١
هجـوم إرهـابـي أم إنقـلاب؟

لا صحة لسقوط طائرة على البنتاغون

نقله إلى العربية

د. زهيـر طالب

الدار الوطنية الجديدة
دمشق

11 SEPTEMBRE 2001

L'EFFROYABLE IMPOSTURE

Thierry Meyssan

تنبيه

الوثائق الرسمية المذكورة في هذا الكتاب متوفر على عناوين الإنترنت المشار إليها في الحواشي.

في حال تم سحبها من التداول على مواقع الإنترنت الأميركية فبوسع القارئ العودة إليها عبر موزع
http: www.effroyable-imposture.net

الدار الوطنية الجديدة

دمشق -تلفون -٤٤١٨٢٠٢ - ص - ب-٢٢٢٠٥

مقدمة

لقد شاهد مئات الملايين من البشر أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، شاخصين مذهولين أمام شاشات التلفاز مفجوعين جميعاً، بمن فيهم المراقبين والمعلقين مصعوقين لهول الهجوم ومصدومين بمجّانية العنف. إن غياب المعلومات حول موقف السلطات الأميركية من الحادث، علاوة على مشاهد العنف الفظيعة، حدى بأقنية التلفزة إلى عرض مشهد اختراق الطائرتين الانتحاريتين لبرجي مركز التجارة العالمي، وانهيارهما، عرضاً خاطفاً. واقتصرت المعلومات المقدمة على مجرد وصف للوقائع الواردة مباشرة، وذلك انسجاماً مع مقتضيات البث المباشر الخاضع لعامل المفاجأة، ما وقف حائلاً دون الوصول إلى فهم شامل للأحداث.

وفي الأيام الثلاثة التي تلت الاعتداءات، تلقت الصحافة كمّاً كبيراً من المعلومات الإضافية، من مصادر رسمية، حول جوانب الأحداث التي كانت ما تزال مجهولة. لكن هذه المعلومات غمرها الدفق المتواصل للبرقيات المتعلقة بأخبار الضحايا وأعمال الإسعاف. وبعد أشهر قليلة ظهر قسم آخر من المعلومات ظهوراً متفرقاً، على صورة مجموعة تفاصيل من خارج سياقها.

لقي عدة آلاف من الأشخاص حتفهم في يوم الحادي عشر ذاك، وشنت حرب على أفغانستان ثأراً لهم. هذا مع العلم أن الغموض لا يزال يكتنف هذه

الأحداث. والروايات التي تناولتها مليئة بأشياء غريبة ومثيرة للريبة، وبالتناقضات. وبرغم ما أثارته هذه الروايات من عدم ارتياح، فإن الرأي العام اكتفى بصيغها الرسمية، باعتبار أن مقتضيات الأمن القومي لا تسمح لسلطات الولايات المتحدة بإفشاء كل ما لديها من معلومات.

لكن الرواية الرسمية لا تصمد أمام النقد. وسنثبت لكم أنها لا تعدو كونها صيغة مصطنعة. فقد سمحت لنا العناصر التي جمعناها، في بعض الحالات، أن نضع الحقيقة في مكانها. وفي البعض الآخر، ما تزال أسئلتنا، إلى الآن، دون إجابات، دون أن يشكل ذلك سبباً للاستمرار في الأخذ بأكاذيب السلطات. ومهما يكن الأمر، فإن الملف الذي تم إعداده، إلى الآن، يتيح لنا أن نشكك بشرعية الرد الأميركي في أفغانستان، و**«الحرب المعلنة على محور الشر»**.

لا ندعوكم إلى اعتبار عملنا بمثابة حقيقة نهائية. بل على العكس من ذلك ندعوكم إلى الشك. وألا تثقوا إلا بحسّكم النقدي. للتثبّت من صوابية اتهاماتنا، ولتكون لكم قناعتكم الخاصة، عمدنا إلى إغناء النص بالعديد من الحواشي التي تثبت مصادرنا الرئيسية.

وفي هذه الفترة التي تفصل فيها الولايات المتحدة بين الخير والشر، سنبذل الجهد للتذكير بأن الحرية لا تكمن في الإيمان بنظرة تبسيطية إلى العالم، إنما في فهم ما يجري فيه من أحداث وتوسيع الخيارات ومضاعفة الاهتمام بالفروقات.

القسم الأول

الإخراج الدامي

الفصل الأول

الطائرة الشبح على البنتاغون

هل تتذكرون الهجوم على البنتاغون؟ لشدة ما كانت عليه الأحداث من خطورة وفجائية، لم يكن بالإمكان في ذلك الحين الإشارة إلى ما تضمنته الرواية الرسمية من تناقضات.

ففي ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، قبيل العاشرة صباحاً بتوقيت واشنطن، صدر عن وزارة الدفاع الأميركية البيان التالي:

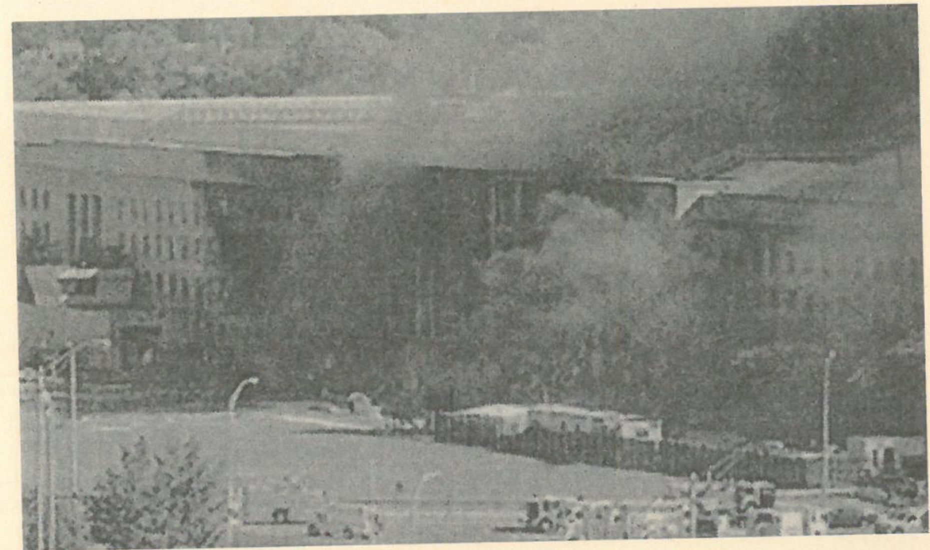
«وزارة الدفاع مستمرة في الرد على الاعتداء الذي وقع هذا الصباح عند الساعة التاسعة وثمان وثلاثين دقيقة. لا يتوافر الآن أي رقم حول عدد القتلى. وقد أحيل أفراد طواقم الموظفين الجرحى إلى عدة مستشفيات مجاورة. كما عبّر وزير الدفاع السيد دونالد رامسفيلد عن تعاطفه مع ذوي القتلى والجرحى ممن طالهم الاعتداء السافر؛ وقام بإدارة العمليات من مركز قيادته في البنتاغون. أخلى مجموع الموظفين المبنى، في حين كانت فرق الطوارىء التابعة لوزارة الدفاع والبلديات المجاورة تتصدى للحرائق ولمهام الإسعاف الطبي. إن التقديرات الأولية تشير إلى وقوع أضرار هائلة: إلا أن البنتاغون سيعود لفتح أبوابه غداً صباحاً. وهو بصدد اجراء جرد لأماكن عمل بديلة عن تلك المتضررة»[1].

لقد كانت وكالة رويتر أولى الواصلين إلى المكان، فأعلنت أن البنتاغون

أصيب جراء انفجار طوافة. وأكد هذا النبأ هاتفياً أحد المستشارين الديمقراطيين، اسمه پول بيغالا، لوكالة الأسوشيتدپرس (أپ)[٢].

بعد بضعة دقائق، ورد تصحيح للخبر من وزارة الدفاع يقول: سقطت طائرة. ثم جاءت شهادات جديدة تكذب الشهادة التي سبقتها وتؤكد الرواية الرسمية: لقد شاهد فْرِدْ هاني[٣]، المساعد البرلماني للسيناتور بوبْ نايْ، سقوط طائرة بوينغ أثناء قيادته سيارته على الطريق العريض المحاذي للپنتاغون. وكان السيناتور مارك كيرك[٤] خارجاً من مرآب الپنتاغون، عقب انتهائه من تناوله وجبة الفطور على مائدة وزير الدفاع، لدى سقوط طائرة كبيرة. وقد خرج الوزير دونالد رامسفيلد من مكتبه بعد الحادث، وهرع إلى المكان لمساعدة الضحايا.

تدخل رجال الإطفاء من مقاطعة أرلينغتون. واقتفى أثرهم أربع فرق من الفيما FEMA، (الوكالة الفيدرالية للتدخل السريع في حالات الكوارث)، وتبعهم رجال الإطفاء المتخصصين التابعين لمطار ريغان. وفي الساعة العاشرة وعشر دقائق، انهار جناح الپنتاغون الذي أصيب.



صورة عن طوم هوران ـ اسوشياتد پرس

لقد أُبقيت الصحافة بعيداً عن مكان وقوع المأساة، منعاً لتأخير الإسعافات، وكان عليها أن ترضى بتصوير أولى النعوش المصطفة بصمت في مستشفيات ميدانية أقيمت على غير استعداد. ولكن الـ(أپ) نجحت في استرجاع صور وصول رجال الإطفاء، التي التقطها أحد الأفراد من مبنى متاخم.

خلال تلك الحالة التي سادها الإرباك، احتاج الجنرال ريتشارد مايرز، قائد الأركان العامة، لعدة ساعات كي يذكر أن «الطائرة الانتحارية» كانت من نوع بوينغ 757-200، وتابعة للخطوط الجوية الأميركية (AA) رقم رحلتها ٧٧، على خط دالس ـ لوس أنجلس، الذي كان مراقبوه الجوّيون قد فقدوا أثرها منذ الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة. وبشكل متسرع دائماً، عمدت وكالات الأنباء إلى رفع مستوى الضغط، متحدثة عن سقوط حوالى ٨٠٠ قتيل. وقد حرص وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد، على عدم تكذيب هذا الرقم الاعتباطي، أثناء لقائه مع الصحافيين في اليوم التالي، رغم أن الحصيلة الدقيقة كانت معروفة، حينئذ، معرفة دقيقة، وكانت، لحسن الحظ، أقل بأربع مرات[٥].

لقد شكّل الحادث صدمة إضافية بالنسبة للعالم بأسره، عقب التفجير السابق لمركز التجارة العالمي: حيث لم يستطع أقوى جيش في العالم حماية مقره الخاص الذي لحقت به خسائر فادحة. فالولايات المتحدة، التي ظُنَّ أنها لا تقهر، غدت معرضةً للإصابة حتى على أرضها.

* * *

للوهلة الأولى، قد تبدو هذه الوقائع متماسكة ولا تقبل الدحض. إلا أننا، ما إن ندخل في التفاصيل حتى تصبح التفسيرات الرسمية مرتبكة ومتناقضة.

لقد شرح مراقبو الطيران المدني (إدارة الطيران الاتحادية ـ FAA) لمحققي صحيفة كريستيان ساينس مونيتور[٦]، أن طائرة البوينغ هبطت وهي تطير من ارتفاعها إلى ٢٩٠٠٠ قدم، حوالى الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة، ولم تمتثل للأوامر المعطاة لها. لقد كان الجهاز المخصص للاستجابة

للذبذبات الرادارية معطلاً، فظنوا أن عطلاً كهربائياً قد أصابه. ثم أشعل القبطان ـ الصامت حتى الآن ـ جهاز الراديو بصورة متقطعة، مما أفسح المجال لسماع لهجة عربية تهدده. حينئذٍ كانت الطائرة قد ارتدت على أعقابها متجهة إلى واشنطن وفقد المراقبون آثارها.

قام المراقبون الجوّيون المحليون، طبقاً للأصول المرعية الإجراء، بتسجيل اختفاء الطائرة في مقر إدارة الطيران الاتحادية. وكان معظم المسؤولين على الصعيد الوطني غائبين، إذ غادروا إلى كندا لحضور مؤتمر مهني. وتحت وطأة الذعر المنتشر يومذاك، ظنّ المسؤولون المكلفون في مقر إدارة الطيران الاتحادية أنهم يُخطَرون للمرة الألف بأمر اختطاف الطائرة الثانية إلى نيويورك. ولم يفهموا إلا بعد نصف ساعة أن الأمر يتعلق باختطاف طائرة ثالثة، فعمدوا إلى إبلاغ السلطات العسكرية بذلك. لقد أضاعت هذه الهفوة تسع وعشرين دقيقة ثمينات.

ورداً على سؤال طرحته لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، بتاريخ ١٣ أيلول/سبتمبر، لم يكن في جعبة الجنرال مايرز[٧]، قائد الأركان العامة ما يفيده بشأن الإجراءات المتخذة لاعتراض طائرة البوينغ. واستنتج النواب من استجوابهم هذا لأعلى سلطة عسكرية أن أي عملية اعتراض لم تطلق (اقرأ الاستجواب المثبت في الملحق). فهل يُعقل أن الجيش الأمريكي لم يحرك ساكناً أثناء الاعتداءات؟

من أجل تطويق الآثار المدمرة لهذا الاستجواب، نشرت قيادة الدفاع الجوي الأميركي الشمالي (NORAD) بياناً[٨] بتاريخ ١٤ أيلول/سبتمبر ذكرت فيه ـ سداً لثغرات في ذاكرة الجنرال ريتشارد مايرز ـ أنها لم تتلق أي خبر عن الاختطاف إلا في الساعة التاسعة وأربع وعشرين دقيقة، وأكدت أنها أعطت على الفور الأمر لمُطارِدَة من طراز أف ـ ١٦ من قاعدة لانغلي (ڤيرجينيا) لاعتراض البوينغ. غير أن سلاح الجو، جهلاً منه لمكان وجود الطائرة، وظناً بأنها ستنفّذ اعتداءً جديداً على نيويورك، أرسل المطاردات باتجاه الشمال. وصدفة فإن

طائرة نقل عسكرية كانت قد أقلعت من قاعدة سانت أندروز الرئاسية التقت البوينغ المختطفة، وحددت هويتها. لكن ذلك جاء متأخراً.

هل رواية الـ(NORAD) قابلة للتصديق أكثر مما جاء على لسان قائد الأركان العامة؟ وهل يعقل أن نظام الرادار العسكري الأميركي عاجز عن تعيين مكان وجود البوينغ في دائرة لا يتجاوز قطرها بضعة عشرات من الكيلومترات؟ وأن طائرة ركاب كبرى تستطيع تضليل طائرات الـ أف ـ ١٦ القوية التي طاردتها؟

وحتى لو افترضنا أن البوينغ تخطت العقبة الأولى هذه، كان يفترض إسقاطها لدى اقترابها من البنتاغون. إن جهاز الأمن المنصوب لحماية وزارة الدفاع يخضع بالطبع للسريَّة العسكرية. مثله مثل جهاز البيت الأبيض المجاور. وكل ما هو معروف أنه تعرَّض لإعادة نظر فيه[٩] عقب سلسلة من الحوادث التي وقعت في العام ١٩٩٤، لاسيما هبوط طائرة صغيرة من طراز سيسنا 150L (Cesna 150L) على حديقة البيت الأبيض. ومن المعروف أن هذا الجهاز المضاد للطائرات موضوع تحت إشراف قاعدة سانت أندروز الرئاسية[١٠] التي ترابط فيها باستمرار وحدتان جوّيتان مقاتلتان: الوحدة ١١٣ من جناح المقاتلات التابعة لسلاح الجو، والوحدة ٣٢١ من المقاتلات الهجومية التابعة لسلاح البحرية. وهما مجهزتان بالـ أف ـ ١٦ وأف/أ ـ ١٨ وكان في وسعهما الحؤول دون اقتراب البوينغ من هدفها.

بيد أن المقدم ڤيك وارزنسكي، الناطق الرسمي باسم البنتاغون قال: «لم نكن ندرك أن هذه الطائرة تتجه صوبنا، ولديّ شك في أن أحداً كان قادراً، قبل الثلاثاء على توقع أمر مشابه»[١١].

وهكذا إذن، تمكنت البوينغ من إنهاء رحلتها مصطدمة بالبنتاغون، بعد تضليل الطائرات المطاردة، وتخطيها بسلام، الدفاعات المضادة للطائرات الأكثر تعقيداً وتطوراً.

البوينغ 757-200 [١٢] طائرة تستطيع نقل ٢٣٩ راكباً. يبلغ طولها ٤٧٫٣٢

متراً وعرضها ٣٨,٥٢ متراً. تزن هذه الطائرة العملاقة، وهي بحمولتها الكاملة، ١٥ طناً، وتبلغ سرعتها القصوى ٩٠٠ كلم/ساعة.

أما مبنى الپنتاغون[١٣] فهو أضخم المباني الإدارية في العالم. يعمل فيه يومياً ٢٣٠٠٠ شخص. وأطلق عليه هذا الإسم دلالة على تركيبته المخمسة المميزة: حلقات متراكزة خمس، لكل منها خمسة أضلع. شُيِّد في مكان لا يبعد كثيراً عن البيت الأبيض، إنما على الضفة الأخرى من نهر البوتوماك. لا يوجد المبنى إذن داخل واشنطن بالذات ولكن في أرلنغتون، في ولاية ڤيرجينيا المجاورة.

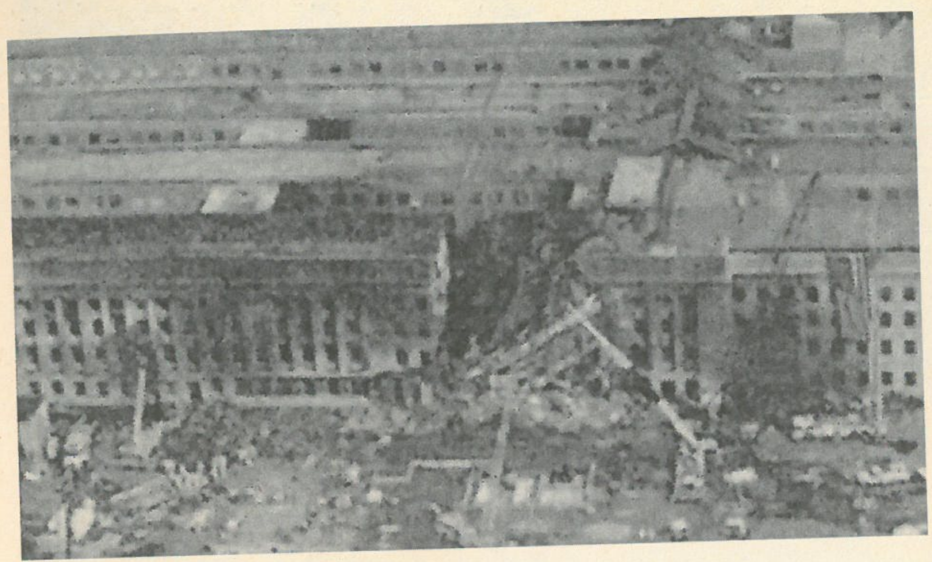
كان على البوينغ، من أجل إلحاق أكبر قدر من الأضرار، أن تسقط عمودية على سطح الپنتاغون، حيث كان من شأن ذلك أن يوفر حلاً سهلاً: إذ تبلغ مساحة المبنى ١١٦ دونماً. وخلافاً لذلك فضّل المهاجمون ضرب الواجهة، رغم أن ارتفاعها لا يتجاوز الـ٢٤ متراً.

اقتربت الطائرة فجأة من الأرض، كما لو كانت تريد الهبوط، وحطت عمودياً مع الإبقاء على الوضعية الأفقية، دون إلحاق الضرر بالمصابيح المزروعة وسط الطريق العريض المحاذي لمرآب الپنتاغون، لا بالارتطام بها ولا حتى بفعل عصف الريح الناجم عن تحركها.

إن جهاز هبوط عجلات الطائرة يُفتح عادة آلياً مع انخفاض ارتفاعها واقترابها من الأرض. وبرغم بلوغها ١٣ متراً من الارتفاع، عندئذٍ، أي ما يعادل ارتفاع ثلاثة طوابق، فإن البوينغ خرقت واجهة المبنى فقط عند الارتفاع الموازي للطابقين، الأرضي والأول. وهذا يدل على أن جهاز الهبوط قد خُلع قبل هبوط الطائرة على قاعدة الپنتاغون. وحصل كل ذلك (انظر صورة الغلاف)، دون مسّ الحديقة في المقدمة ولا السور ولا المرآب ولا مطار الطوّافات بأي سوء. حيث يوجد بالفعل مساحة تحط عليها الطوّافات الصغيرة.

وبالرغم من أن وزن الطائرة (كان يقارب المئة طن) وسرعتها (بين ٤٠٠

و٧٠٠ كلم/ساعة)، فإنها لم تدمِّر سوى الحلقة الأولى من المبنى. هذا ما نشاهده في الصورة أدناه مشاهدة جلية.



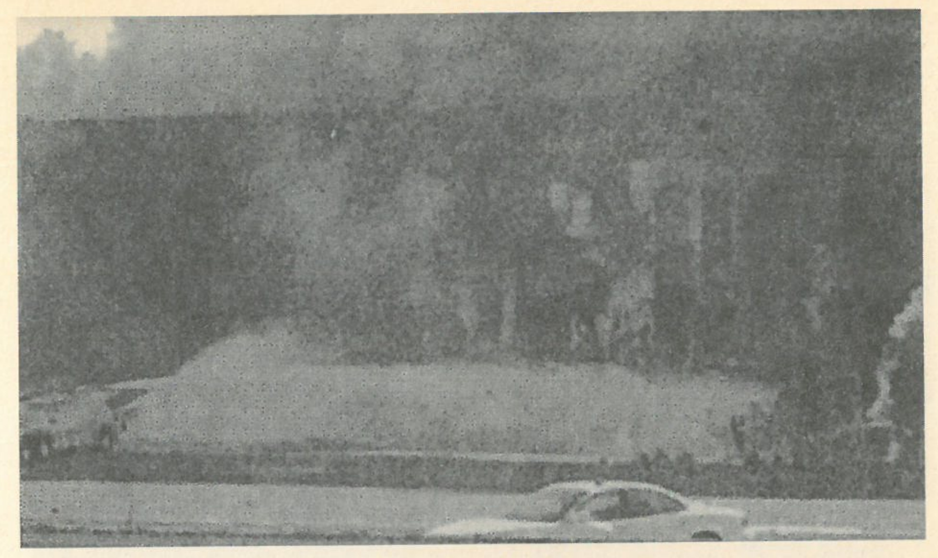
صورة عن سيدريك هـ. روديسيل.

www.defenselink.mil/photos/Sep2001/010914-F-8006R-002.html

كان للصدمة صداها في كل الپنتاغون. واشتعل مخزون المحروقات في جناحي الطائرة، ما تسبب باندلاع حريق انتشر داخل المبنى. حيث لقي ١٢٥ شخصاً حتفهم، علاوة على ٦٤ شخصاً كانوا على متن البوينغ.

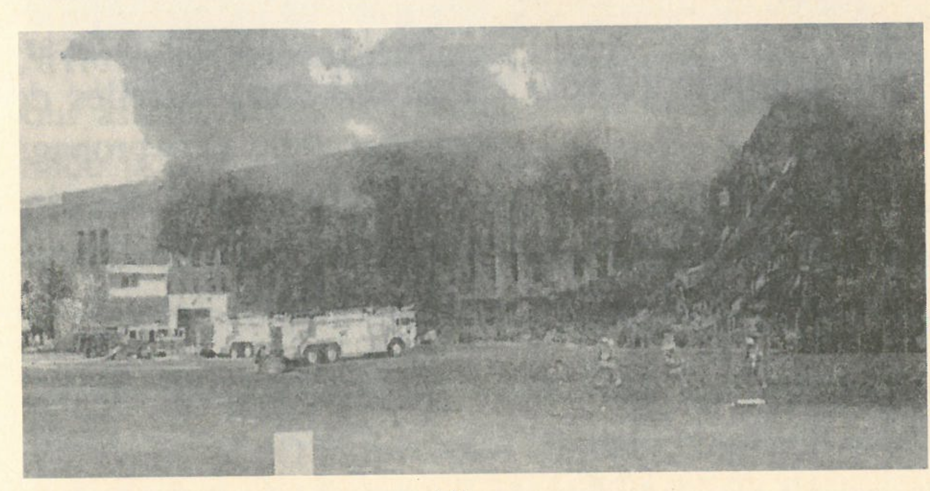
لقد شاءت الصدفة (؟) أن يُخرق مبني الپنتاغون من زاوية الجناح الذي كان قيد الإصلاح. وكانت أعمال تجهيز المقر الجديد لمركز قيادة البحرية[١٤] قد أنجزت لتوها. كان العديد من المكاتب خالية، ولم يكن داخل جدران بعضها سوى عناصر مدنية تعمل في التمديدات. وهذا ما يفسّر كون الضحايا في غالبيتهم من المدنيين، ولا نجد من العسكريين سوى جنرال واحد.

بعد مضي نصف ساعة، انهارت الطوابق العليا عن بكرة أبيها.



عن جايسون إنغرسول

jcc.afis.osd.mil/images/sres.pl?Lbox-cap-356243 & dir-Photo & vn & ttl- 010911-M-41221-021 & ref-defenselink

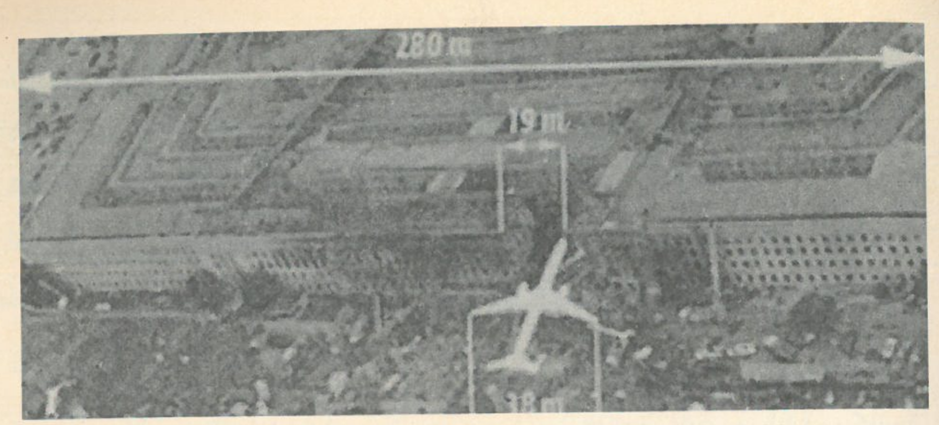


عن جيم غارامون

www.defenselink.mil/news/Sep2001/n09112001-200109114.html

إن هذه العناصر الأولية لا تقبل التصديق. وما تبقى من الرواية الرسمية مستحيل بكل بساطة.

إذا ما تفحصنا شكل الطائرة في الصورة المأخوذة بالأقمار الصناعية،



عن سيدريك هـ. . روديسيلّ

www.defenselink.mil/photos/Sep2001/010914-F-8006T-006.html

نلاحظ أن أنف البوينغ وحده هو الذي اخترق المبنى. أما هيكل الطائرة وجناحاها فبقوا خارجاً.

لقد توقفت الطائرة تماماً قبل أن يرتطم الجناحان بالواجهة. ولم يظهر أي أثر لحدوث اصطدام خارج أنف البوينغ.

يُفترض إذن أن نرى جناحي الطائرة وهيكلها في الخارج، في الحديقة، في واقع الأمر.

وإذا علمنا أن أنف الطائرة مصنوع من مزيج معدني مركب، قابل للذوبان بسرعة، وأن الجناحين ـ المحتويين على المحروقات ـ بوسعهما الاشتعال، فإن هيكل البوينغ مصنوع من مادة شبيهة بتلك التي يصنع منها هيكل السيارات أو الشاحنات. وفي نهاية الحريق لا بد أن تترك حطاماً محمصاً. وإذا ما عُدتم إلى صورة وكالة (أب) (على الغلاف)، بوسعكم أن تتأكدوا من عدم وجود أي أثر لطائرة محطمة. مع العلم أن المشهد التقط في الدقائق الأولى: وقد صلت إلى المكان سيارات الإطفاء وما يزال الرجال غير منتشرين، وما تزال الطوابق العليا غير منهارة.

فقد أوضح قبطان طاقم الإطفائيين القادم من مقاطعة أرلينغتون، إدْ پلوغر، في مؤتمره الصحافي بتاريخ ١٢ أيلول/ سپتمبر(١٥)، أن رجاله بذلوا الجهود

لمكافحة انتشار الحريق داخل البنتاغون، لكنهم ظلوا بعيدين عن مكان سقوط الطائرة المحدد. وأن وحدها الفرق الخاصة (تحريات المدن والإنقاذ USR) التابعة للـ FEMA هي التي اقتربت من مكان وجود الطائرة.

ودار حينئذٍ الحوار السوريالي التالي:

صحافي: «ماذا تبقى من الطائرة؟»

القائد بلوغر: «باديء ذي بدء، حول مسألة الطائرة، لم يبق من الطائرة أي أثر سوى بضع قطع كان بوسعنا رؤيتها من الداخل أثناء عمليات مكافحة النيران الآنفة الذكر، غير أن الأمر لا يتعلق ببقايا ذات شأن من حيث الحجم. بتعبير آخر لا أثر لقطع من الهيكل أو أي شيء من هذا القبيل».

(...) الصحافي: «سيادة القائد، هناك قطع صغيرة من حطام الطائرة منتشرة في كل مكان، حتى على الطريق العريض – قطع صغيرة جداً. هل تعتقدون أن الطائرة انفجرت، انفجرت تماماً، لحظة الاصطدام بسبب المحروقات أو...».

بلوغر: «أنتم تعلمون أنني كنت أفضل أن لا أتحدث في هذا الشأن. لدينا شهود عيان كثر يستطيعون إفادتكم على نحو أفضل في ما يخص ما جرى للطائرة لدى اقترابها. إذاً لا نعرف شيئاً. أنا لا أعرف».

(...) أحد الصحافيين: «أين محروقات الطائرة؟...»

بلوغر: «لدينا ما نعتقد أنه بقعة، بالضبط في المكان الذي يوجد فيه أنف الطائرة». (كذا)

هكذا، وعلى الرغم من ادعاء الرسميين والبرلمانيين والعسكريين أنهم شاهدوا سقوط الطائرة، لم يعثر أحد على أثر لقطعة واحدة منها ولا حتى جهاز الهبوط: لا وجود سوى لأجزاء معدنية يتعذر تحديد هويتها. أما كاميرات المراقبة على الفيديو المنصوبة في مرآب البنتاغون، فلم تر كذلك البوينغ في أي وقت ومن أي زاوية كانت.

في مراجعة موجزة للرواية الرسمية يتبين: إن طائرة بوينغ مخطوفة نجحت في تضليل الـ أف – ١٦ التي انطلقت لمطاردتها، وقد التفّت على نظام الدفاعات المضادة للطائرات لمدينة واشنطن. لقد حطت عمودياً على مرآب البنتاغون محافظة على وضعيتها الأفقية، ثم جرى خرق واجهة المبنى على مستوى الطابق الأرضي، ولم يتغلغل فيه سوى أنف الطائرة وقد توقفت بالضبط قبل تغلغل الجناحين. وتفتّت هيكلها على الفور. والمحروقات المخزنة في الجناحين لم تشتعل إلا بما يكفي من الوقت للتسبّب في إضرام النار في المبنى، ثم تحولت إلى بقعة انتقلت إلى المكان الذي يعتقد وجود أنف الطائرة فيه.

مع احترامنا لمكانة «شهود العيان» البالغة الوقع، من ضباط وبرلمانيين، ثمة استحالة لبلع مثل هذا الهذيان. وعلى عكس ما ترمي إليه شهاداتهم، فإن مكانة هؤلاء الشهود تؤكد على أهمية ما استخدمه جيش الولايات المتحدة لتحوير الحقيقة.

الحاصل: إن هذه الخرافة المريبة بُنيت تدريجياً، الكذبة تلو الكذبة. فإذا ما عدتم إلى بيان البنتاغون الأول، المذكور في مطلع هذا الفصل، سوف يتبيّن لكم أن لا ذكر لطائرة البوينغ فيه. لم تظهر نظرية «الطائرة الانتحارية»، إلا بعد مضي نصف ساعة. كما أن مسألة مطاردة الطائرة الشبح، لا أثر لها في الإفادة التي أدلى بها قائد لأركان العامة. ولم يتم اختلاق قصة ضلال الطائرات الـ أف – ١٦، من قبل الـ NORAD، إلا بعد مرور يومين.

إن الرواية الرسمية محض دعاية. ويبقى أن ١٢٥ شخصاً لقوا حتفهم في البنتاغون واختفت طائرة تقل ٦٤ راكباً؟ ما هو مصير الرحلة ٧٧ للخطوط الجوية الأميركية (AA)؟ هل لقي ركابها حتفهم؟ إذا كان الرد بالإيجاب، من قتلهم ولماذا؟ وفي حال العكس، فأين هم؟ تلك مجموعة من الأسئلة التي يتوجب على الإدارة الأميركية الإجابة عنها.

نتساءل، تحديداً، حول ما تسعى الرواية الرسمية لإخفائه. صرّح الجنرال

وسلي كلارك، القائد الأعلى الأسبق لقوات الحلف الأطلسي خلال حرب كوسوفو، في جواب على سؤال طرحته عليه شبكة الـ سي. إن. إن غداة الاعتداء فقال: «كنا على علم منذ بعض الوقت بأن بعض المجموعات تخطط [لهجوم على البنتاغون]، وبالطبع لم نكن نعلم عن هذا الأمر ما يكفي [لنتحرك]»[١٦].

ولا يشير هذا التأكيد إلى أي معتدٍ غريب، إنما إلى تهديدات تطلقها ميليشيات اليمين المتطرف ضد البنتاغون. وهو يفسح المجال لرؤية مجابهات سرّية تمزق الطبقة الحاكمة الأميركية.

كما سألت الـ سي. إن. إن، كذلك حسني مبارك في ١٥ أيلول/ سبتمبر[١٧]. وفي ذلك التاريخ لم يكن بحوزة الرئيس المصري أي معلومات مشابهة لتلك التي بحوزتنا. كان يجهل الجدوى من تحليل مفصّل للاعتداء. بالمقابل، كان بحوزته معلومات سرية عن التحضير للاعتداء، وقد نقلها قبيل عدة أسابيع إلى الحكومة الأميركية.

يقول الرئيس حسني مبارك: (...) لم يكن في وسع أي جهاز استخبارات في العالم القول بأنهم سيستخدمون طائرات تجارية، بركابها، لتتحطم على البرجين والبنتاغون. إن الذين صنعوا ذلك، لا بد لهم أنهم طاروا طويلاً فوق هذه المنطقة، على سبيل المثال. ليس مبنى البنتاغون بمبنى عالٍ. وللهجوم على البنتاغون على هذا النحو، لابد لقائد الطائرة أن يكون قد طار فوق هذه المنطقة كثيراً لمعرفة العقبات التي تعترضه أثناء طيرانه على ارتفاع منخفض بطائرة تجارية ضخمة قبل أن يصطدم بالبنتاغون من زاوية محددة.

لا بد أن يكون أحد ما قد درس ذلك جيداً، وقد طار أحدهم طويلاً فوق هذه المنطقة.

سي. إن. إن: هل تقصدون أن الأمر يتعلق بعملية داخلية، وهل لي أن أسألكم عمن يقف وراء ذلك حسب رأيكم؟

الرئيس حسني مبارك: بصراحة، لا أريد التسرع في الاستنتاج. أنتم في

الولايات المتحدة، عندما تقبضون على شخص، تروج الشائعة وتقولون: «أوه أوه! إنه ليس بمصري، إنه سعودي، إنه إماراتي..... وكل هؤلاء هم عرب، الناس يفكرون أنهم عرب.. . لذلك يُفضل التريث».

تذكروا حادث أوكلاهوما سيتي لقد راجت الإشاعات على الفور متهمة العرب، وتبين فيما بعد أنهم لم يكونوا عرباً، تعرف... دعونا نتريث ونطلع على نتائج التحقيق. وذلك لأن مثل هذه الأمور المرتكبة في الولايات المتحدة ليست سهلة بالنسبة لقبطان أُعدّ في فلوريدا. كثيرون يتدربون للحصول على إجازة طيران، لكن هذا لا يعني أنهم قادرون على تنفيذ مثل هذه العمليات الإرهابية. أحدثكم بصفتي قائد طائرة سابق، أعرف ذلك جيداً قُدت طائرات ضخمة حقاً وقُدت مقاتلات، لهذا أعرف ذلك حقَّ المعرفة، فهي أمور ليست بالسهلة، لذلك أرى أن لا بد لنا من التريث قبل إطلاق الحكم.

إذا كانت إدارة بوش قد زوّرت عملية البنتاغون لصرف الأنظار عن المشكلات الداخلية، ألم تُخفِ أيضاً بعضاً من عناصر الاعتداء على مركز التجارة الدولية.

هوامش الفصل الأول

(١) سحب هذا البيان من موزع الإنترنت الخاص بوزارة الدفاع. يمكن الاطلاع عليه على موقع أرشيف جامعة يال (http://www.yale, edu/law web/ avalon/sept-11/dod-brief03.htm) .

(٢) انهيار قسم من الپنتاغون في أعقاب سقوط طائرة إرهابية على المبنى، برقية (أب)، ١١ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١.

(٣) «يوم تغيّر العالم»، كريستيان ساينس مونيتور، ١٧ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١ (http://www.camonitor.com) .

(٤) ريك پيرسون، «داخل الپنتاغون، دقائق قبيل الغارة، شيكاغو تريبيون، ١٢ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١ (http://www.chicagotribune.com) .

(٥) *Dod News Briefing* ، ١٢ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١، الساعة ١٥و٢٥د.

(٦) طبعة خاصة لصحيفة كريستيان ساينس مونيتور، ١٧ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١ (http://www.csmonitor.com/pdf/csm 20010917.pdf) .

(٧) راجع (http://www.senate.gov-armed-servies) .

(٨) متوفر على (.http://www.peterson.af.mil/novad/presrel NORADTimelines.htm) . راجع أيضاً برادلي غراهام، «الإنذار العسكري قبل الهجمات»، واشنطن پوست، ١٥ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١(http://www.washingtonpost.com) . واندرو غومبل، «المقاتلات الأميركية تأخرت ٨ دقائق على أسقاط الطائرة المخطوفة، ذي انديباندانت، ٢٠/ ١١/ ٢٠٠١ (http://news.independent.co.uk) .

(٩) انظر التقرير العام لمجلة البيت الأبيض لشؤون الأمن (http://www.fas.org/irp/agency/ustreas/usss/t1pubrpt.html) .

(١٠) الموقع الرسمي لقاعدة سانت أندروز (http://www.dcmilitary. com/baseguides/airforce/andrews) .

(١١) *Newsday*، ٢٣/ ٩/ ٢٠٠١.

(١٢) تبعاً للمعلومات التي يفيد بها صانعها (http://www.boeing.com/commercial/757-200 product.html) .

(١٣) زيارة للپنتاغون على الشاشة: (http://www.defenselink.mil/pubs/pentagon) .

(١٤) بيل غرتز «داخل الحلبة»، واشنطن تايمز، ٢١/ ٩/ ٢٠٠١(http://www.washtimes.com) . .

(١٥) مؤتمر صحافي برئاسة نائبة وزير الدفاع، ڤيكتوريا كلارك، الپنتاغون، ١٢/ ٩/ ٢٠٠١ (http://www.defenselink. mil/news/Sep 2001/t09122001-t0912asd.html) .

(١٦) «عاصمة الأمة تحت حالة الطوارىء»، سي. إن. إن. ١٢/ ٩/ ٢٠٠١ (http://www.cnn.com) . الموقع الأصلي للمقال (http://www.cnn.com/2001/US/09/11/dc.terrorism/index.html) .

(١٧) النص الكامل متوفر على موزع الرئاسة المصرية (http://www.presidency.gov.eg/html/14-Sept 2001-press-2.html) .

الفصل الثاني

عملاء على الأرض

دعونا نتذكر العرض الذي قُدِّم لنا عن اعتداءات نيويورك. يوم الثلاثاء الحادي عشر من سپتمبر ٢٠٠١، فقد قطعت الشبكة الإخبارية سي. إن. إن، عند الساعة الثامنة وخمسين دقيقة، جميع برامجها لتذيع خبر ارتطام طائرة مدنية ببرج مركز التجارة العالمي الشمالي. وبما أن مشاهد الكارثة لم تكن متوفرة لديها، عرضت مشهداً ثابتاً مأخوذاً من على أسطح مانهاتن يُظهر سحب الدخان تتصاعد من البرج.

للوهلة الأولى، ظهر أن الأمر يتعلق بحادث طائرة مروع. إن شركات النقل الأميركية، التي تقف على حافة الإفلاس، تهمل أكثر فأكثر صيانة أسطولها. والمراقبون الجويون يقدمون خدمة لا تحظى بالثقة الكاملة. لقد تلاشت الضوابط وبدا أن فوضى في حركة الطيران على وشك أن تعمّ المدن وضواحيها. إن ما كان مقدراً له أن يحدث قد حدث في نهاية المطاف.

مع ذلك، لا يسعنا استبعاد أن تكون هذه الكارثة وليدة حادث متعمَّد حسب ما سارعت السي. إن. إن للإيحاء به. قد يتعلق الأمر في هذه الحال بعمل إرهابي. نتذكر جيداً أن شاحنة صغيرة قد انفجرت في ما مضى، في مرآب مركز التجارة العالمي الواقع في الطابق السفلي الثاني، موقعة ستة قتلى وآلاف الجرحى. وقد حُمِّلت مسؤولية الاعتداء لمنظمة إسلامية يقودها الشيخ عمر عبد

الرحمن، من داخل نيويورك بالذات. إن تحطم الطائرة، في نظر معلقي السي.إن.إن، إذا كان اعتداءاً، فهو على الأرجح من صنع إسلامي آخر هو أسامة بن لادن الملياردير السعودي السابق. لأن هذا المتمول الملتجىء إلى أفغانستان كان قد دعا، عبر فتوى صدرت بتارخي ١٩٩٦/٨/٢٣، إلى الجهاد ضد الولايات المتحدة وإسرائيل. وقد تمّ تحميله في السابق مسؤولية الاعتداءات على سفارتي أميركا في نيروبي (كينيا) ودار السلام (تانزانيا) بتاريخ ١٩٩٨/٨/٧. وهكذا ففي غضون بضعة سنوات أصبح ابن لادن «العدو رقم واحد للولايات المتحدة». فطرحت الـ إف.بي.آي جائزة قدرها ٥ ملايين دولار ثمناً لرأسه. وطلب مجلس الأمن من حكومة طالبان أن تقوم بتسليمه. ومنذ الخامس من شباط ٢٠٠١، تجري محاكمته غيابياً في نيويورك من قبل الولايات المتحدة.

أعدت قنوات التلفزة الأميركية نفسها، الواحدة تلو الأخرى، لإجراء بث مباشر انطلاقاً من نيويورك. وفي الساعة التاسعة وثلاث دقائق ارتطمت طائرة مدنية ثانية بالبرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي. وحدث التحطم في الوقت الذي كانت مجموعة من الأقنية تبث مشاهد النيران المشتعلة في البرج الشمالي. التُقطت المشاهد إذن من عدة زوايا وشاهدها الملايين بأم العين. لقد بات على الولايات المتحدة، بالطبع، أن تتصدى للعمليات الإرهابية على أرضها بالذات. وخشيةً من وقوع اعتداءات بالسيارات المفخخة، منعت سلطات مرفأ نيويورك السير على جميع جسور حي مانهاتن وأنفاقه (انتبه، الخشية من وقوع عمليات فدائية على الأرض!). في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة، أخطرت شرطة نيويورك السكان بأنه ثمة طائرات جديدة قد تضرب أبراجاً أخرى. وعند الساعة العاشرة بدأ البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي بالانهيار، ثم جاء دور البرج الشمالي عند الساعة العاشرة فيما وقع هجوم آخر على البنتاغون، أعلن عنه على شاشات التلفزة في بثها المباشر، حيث غطت سحب كثيفة من الغبار سماء مانهاتن. وجرى الحديث عن حصيلة تقريبية للقتلى قدرت بعشرات

الألوف. إذ إن احتراق الطائرة قد ولّد حرارة عالية بحيث لم تصمد أمامها هياكل المبني المعدنية.

أقفل حاكم ولاية نيويورك، جورج باتاكي، مكاتب إدارته كافة واستدعى الحرس الوطني. «لدي أصدقاء في هذين البرجين، أفكر فيهم وبعائلاتهم، وسنبذل الجهد من أجل تقديم المساعدة لجميع الذين طالتهم هذه المأساة»، هذا ما صرّح به أثناء حديثه. وفي حديث هاتفي موجه إلى سكان نيويورك كانت محطة نيويورك وانّ قد أجرته في الساعة الحادية عشر ودقيقتين قال عمدة نيويورك، رودولف جيولياني: «أطلب من كل الذين لا يتواجدون الآن في مانهاتن أن يبقوا في منازلهم أو في مكاتبهم. إذا كنتم في مراكز عملكم، توجهوا شمالاً، خارج منطقة الاعتداء، تلافياً لإعاقة عمليات الإسعاف. علينا إنقاذ أكبر عدد ممكن من الناس». عندئذٍ عَبَر حشد كثيف، ضم عشرات الألوف، الجسور (وكان قد سبق إقفالها أمام حركة السير)، هرباً من مانهاتن.

وعند الساعة الخامسة وعشرين دقيقة من بعد الظهر، انهار المبنى رقم ٧ من مركز التجارة العالمي، برغم عدم مسه من قبل الطائرات. ولم تقع أي ضحية جراء ذلك. تعتقد فرق الطوارىء النيويوركية أن المبنى لحق به الضرر بسبب انهيار المبنيين السابقين. وكان متوقعاً أن تنهار أبنية مجاورة، بدورها، جراء تداعيات الأبنية الأولى. لذلك فقد طلبت بلدية نيويورك تحضير ٣٠٠٠٠ كفن.

بُعيد الظهر وفي الأيام التالية، أعيد تركيب سيناريو الاعتداء على الشكل التالي: قام إسلاميون ينتمون إلى شبكات بن لادن، منظمون في فرق من خمسة أفراد ومسلحون بمشارط، باختطاف طائرات مدنية. ووجهوا طائراتهم الانتحارية لتصطدم بالأبراج وقد دفعهم تعصبهم إلى التضحية بأنفسهم.

* * *

للوهلة الأولى، لم تقبل هذه الوقائع أي تشكيك. ومع ذلك، ما لبثت التناقضات أن بدأت تظهر وتزداد كلما أمعنّا في التفاصيل.

لقد حدد الـ إف. بي. آي هوية الطائرتين على أنهما طائرتا بوينغ ٧٢٦، الأولى تابعة للخطوط الجوية الأميركية (رحلة ١١ بوسطن ـ لوس أنجلس)، والثانية تابعة للخطوط الجوية المتحدة (رحلة ١٧٥، بوسطن ـ لوس أنجلس). وأعلنت الشركتان بأنهما فقدتا هاتين الطائرتين.

وقد عُلم، بفضل ركاب مزودين بهواتف نقالة كانوا قد اتصلوا بذويهم أثناء العملية، أن الخاطفين عمدوا إلى تجميع المسافرين في القسم الخلفي من الطائرة، كما درجت العادة، لعزل مقصورة القيادة. ٨٨ راكباً كانوا على متن الرحلة ١١ و٥٦ على الرحلة ١٧٥ من أصل ٢٣٩ مقعداً في كل طائرة. وهذا ما سهل مهمة الخاطفين.

لم يكن الخاطفون يحملون سوى أسلحة بيضاء[1]، طبقاً لما أفاد به الركاب هاتفياً. عقب إغلاق المجال الجوي الأميركي، حطت جميع الطائرات وخضعت لتفتيش الـ إف. بي. آي حيث اكتشفت في اثنتين منها، الرحلة رقم ٤٣ (نيوارك ـ لوس أنجلس) والرحلة رقم ١٧٢٩ (نيوارك ـ سان فرانسيسكو)، مشارط مماثلة كانت مخبأة تحت المقاعد، وقد عمم المحققون هذا الأمر فقالوا إن جميع مختطفي الطائرات يستعملون هذا النوع من المشارط. وفي وقت لاحق، اكتشفت السي. آي في أحد منازل بن لادن في أفغانستان أكياساً مليئة بالمشارط، مما يثبت أن الإسلاميين قد تلقوا التدريب على استخدامها.

مع ذلك من الصعب جداً تصور أن مدبّري هذه الاعتداءات قد أهملوا تزويد رجالهم بأسلحة نارية، مجازفين بذلك بتعريض العملية لإخفاق كلي أو جزئي. إن هذا الأمر يثير الاستغراب، سيما وأن تمرير مسدسات[2] مصنوعة من مواد مركبة أسهل من تمرير مشارط من أمام أجهزة التفتيش في المطارات.

ما سبب طرح مثل هذه الأسئلة؟ من المعلوم تمام العلم أنه قد ترسخ في مخيلة الغربيين الجمعية أن العرب وبالتالي الإسلاميين، يفضلون ذبح ضحاياهم. لذلك فالمشارط تبعث على الاستنتاج أن جميع القراصنة من العرب، الأمر الذي يحتاج إلى إثبات.

قبل وصول الطائرتين إلى نيويورك، تَوجَّب عليهما أن تخفضا ارتفاعهما تخفيضاً هائلاً لكي يتمكن الطياران من رؤية البرجين أمامهما وليس من فوق. فعندما تنظر إلى مدينة من الجوّ تظهر لك على شكل مسطح فتختفي جميع استدلالاتنا البصرية. لذلك فمن أجل صدم البرجين يتعيّن التموضع مسبقاً على ارتفاع منخفض.

لقد تعيّن إذاً على قائدي الطائرتين أن يصلا إلى مستوى معين عمودياً. ومن ثم كان عليهما أيضاً أن يضعا الطائرتين في مسار موقع الضربة أفقياً.

إن عرض كل من البرجين التوأمين لا يتجاوز ٦٣,٧٠ متراً، وأكبر عرض لطائرة البوينغ يبلغ ٤٧,٦٠ متراً. وقد لاحظنا على أشرطة الفيديو كيف أن الطائرتين قد ضربتا الهدف بدقة، في وسطه. ولو أن أياً من الطائرتين انحرف عن مسارها مسافة ٥٥,٦٥ متراً لكانتا أخطأتا الهدف كلياً. كما يلزم ثلاثة أعشار الثانية لقطع مثل هذه المسافة بسرعة متوسطة مقدارها (٧٠٠ كلم/ ساعة). وتلك تجربة يستلزم تنفيذها من المهارة مستوى لا يتمتع به سوى طيارين أفذاذ، ذلك نظراً لقدرة هذه الأجهزة المحدودة على المناورة، فكيف إذا كان القبطان من الهواة؟

وصلت الطائرة الأولى مواجَهَةً تماماً في اتجاه الريح، مما ساعدها في المحافظة على ثبات مسارها. غير أن الثانية اضطرت للقيام بمناورة التفاف معقدة، على جانب عالٍ من الصعوبة. بعكس اتجاه الريح. مع ذلك، ارتطمت على الارتفاع نفسه، بوسط البرج وأفقياً، تماماً مثل الطائرة الأولى.

لقد أكّد الطيارون المحترفون الذين سُئلوا عن ذلك، أن قلة منهم تتمتع بالكفاءة التي تؤهلهم لتنفيذ مثل هذه العملية، مستبعدين بشكل جازم قدرة طيارين هواة على تنفيذها. بالمقابل، ثمة وسيلة لا تخطىء لبلوغ هذا الهدف: استعمال منارة الكترونية. إن إشارة صادرة من نقطة الهدف كفيلة بتوجيه الطائرة إليها توجيهاً آلياً. والحال، فإن وجود منارة الكترونية في مركز التجارة العالمي

تأكد بواسطة إذاعات لهواة الراديو، فقد سجّلوا الإشارة الصادرة عنها. وقد التقطت لأنها تقاطعت مع بث هوائيات التلفزة المنصوبة على سطح البرجين. لكن من المحتمل أن يكون قد تم تشغيل الإشارة في اللحظة الأخيرة، لتفادي اكتشافها وتحطيمها. ومن المحتمل أن يكون القراصنة قد استخدموا منارتين، ذلك أن واحدة فقط لم تكن كافية لتحديد مكان الهدفين بدقة كاملة. وذلك على الرغم من وجودهما على خط واحد. في كل الأحوال، كان لا بد من وجود من يساعد على الأرض. فإن تأمن ذلك لا يعود ضرورياً وجود قراصنة كثر على متن الطائرة. ذلك أنه يكفي وجود فريق صغير لوصل الطائرة بالطيار الآلي. ومن ناحية أخرى، إن صعود قراصنة على الرحلة ليس ضرورياً على الإطلاق، لأن العملية لم تكن معدة لخطف الركاب: يكفي أن يتم قرصنة برامج حاسوب الطائرة قبل الإقلاع، حتى يصبح التحكم بالطائرة ممكناً، وهي في الجو، بواسطة تكنولوجية «الغلوبال هوك»، التي ابتكرتها وزارة الدفاع الأمريكية[٣]. بكلام آخر، يمكن، بفضل هذه التقنية التحكم بطائرة البوينغ عن بعد، بحيث تصبح بمثابة طائرة شبيهة بطائرات التجسس التي لا قائد على متنها.

عقب الاصطدام انهار البرجان التوأمان على نفسيهما. ومباشرة كلفت الوكالة الاتحادية لإدارة الكوارث (FEMA) الجمعية الأميركية للمهندسين المدنيين (ASCE) بتشكيل لجنة تحقيق. وحسب التقرير الأولي، فإن احتراق مخزون الطائرتين من المحروقات قد ولّد درجة حرارة هائلة أضعفت الهيكل المعدني المركزي للمبنيين.

رُفضت هذه النظرية رفضاً قاطعاً من قبل اتحادات أطفائيي نيويورك، وأكدت مجلة **«هندسة الحرائق»**[٤] المهنية ـ استناداً إلى بعض الحسابات ـ أن هذه الهياكل تستطيع مقاومة النيران فترة طويلة. وأكد رجال الأطفاء أنهم سمعوا أصوات انفجارات في أسفل الأبنية وطالبوا بإجراء تحقيق مستقل[٥]. فهم يشتبهون بوجود مواد مخزّنة في الأبنية وتفجيرات إجرامية تستدعي وجود فريق آخر على الأرض ـ وذلك في غياب الإجابات على هذه التساؤلات. كما أكّد

فان روميرو، وهو خبير شهير من معهد نيومكسيكو للمناجم والتكنولوجيا، أن الانهيار لم يكن ممكناً إلا بواسطة متفجرات[٦]. ولكنه تراجع عن رأيه هذا أمام الضغوط الرسمية التي تعرض لها.

مهما يكن من أمر، فإن تحطم الطائرتين لا يفسر انهيار مبنى ثالث هو البرج رقم ٧. فلقد استبعدت الجمعية الأميركية للمهندسين المدنيين فرضية زعزعة أساساته: وبالفعل، فإن البرج رقم ٧ لم ينج، بل انهار على نفسه، حتى أن السؤال المطروح لم يعد: «هل تم تفجير هذا البرج؟»، بل السؤال هو: «هل لدى أحد ما أي تفسير آخر غير التفجير؟».

وهنا تتدخل صحيفة نيويورك تايمز[٧] لتكشف عن سر مفاده أن «مركز التجارة العالمي»، الذي ظُن أنه هدف مدني، كان يخفي في الحقيقة هدفاً عسكرياً سرّياً. هذا يعني أنه ربما قد مات آلاف من الناس لأنهم كانوا في الواقع، ورغماً عن إراداتهم، مجرد درع حماية بشري. فالبرج رقم ٧، وربما غيره من المباني المحيطة من الطوابق السفلية، كانت تخفي قاعدة للسي.آي.إي[٨]. وفي عهد بل كلينتون، تحولت هذه القاعدة بصورة غير شرعية إلى نشاطات تجسسية اقتصادية في مانهاتن، بعد أن كانت في الخمسينات مجرد مكتب تجسس على البعثات الأجنبية في الأمم المتحدة. حُوِّلت أهم موارد هذا الجهاز الاستخباراتي الأميركي من التجسس المعادي للسوفيات إلى الحرب الاقتصادية. وأصبحت قاعدة السي.آي.إي في نيويورك المركز العالمي الأهم للاستخبارات الاقتصادية. وقد اعترض الفرع الأكثر تقليدية للسي.آي.إي، ومعه هيئة الأركان العامة، اعتراضاً شديداً على هذا التحول في المهام الاستخبارية.

وبنظرة استرجاعية يجوز لنا التساؤل حول ما إذا كان الاعتداء على مركز التجارة العالمي، بتاريخ ٢٦/٢/١٩٩٦ (ستة قتلى، ألف جريح)، لم يستهدف هذه المحطة السرية للسي.آي.إي، بالرغم من أنها لم تكن متطورة إلى هذا الحد، وقتذاك. إذا علمنا أن حوالى ٤٥٠٠٠ شخص كانوا متواجدين في

البرجين ساعة حدوث الاصطدام الأول، وأن كل برج مكون من ١١٠ طوابق، فإن ١٣٦ شخصاً ـ على الأقل ـ كانوا متواجدين ـ كمعدل وسطي ـ في كل طابق. ارتطمت أول طائرة بوينغ بالبرج الشمالي على ارتفاع الطبقات ما بين ٨٠ و٨٥. إن شاغلي هذه الطوابق قضوا على الفور، إما بسبب الصدمة، وإما بفعل الحريق الذي اندلع في أعقابها. واحتُجز الأشخاص المتواجدون في الطوابق العليا. وفضل البعض منهم إلقاء نفسه في الهواء على أن يحترق وهو حي. في نهاية المطاف، انهار المبنى. وبالتالي فإن شاغلي الطوابق الثلاثين الأعلى قضوا جراء ذلك. وبحساب متوسط قد يكون عددهم ٤٠٨٠ شخصاً.

غير أن اعتداءي نيويورك قد تسببا بقتل ٢٨٤٣ شخصاً فقط حسب ما جاء في الأرقام الرسمية بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٩ (تشمل هذه الأرقام عدد الركاب وطاقمي الطائرتين، ورجال الشرطة والإطفائيين الذين سقطوا ضحايا انهيار البرجين، ورواد البرجين)[9]. إن هذه الحصيلة جاءت أدنى مما كان مقدراً في التوقعات الأولية، وهي تحمل على الظن بأن الاعتداءات لم تكن لتقصد ـ رغم ما قد يبدو ظاهرياً ـ إلحاق خسائر بشرية قصوى. بل على العكس فقد حصل تدخل مسبق لدفع العديد من الأشخاص ـ خاصة العاملين منهم في الطوابق الأعلى ـ لعدم الحضور إلى مكاتبهم تلك الساعة.

هكذا، كشفت صحيفة هآرتز الإسرائيلية أن أوديجو، وهي مؤسسة رائدة في مجال البريد الالكتروني، تلقت، من مجهول، إنذاراً يحذر من حصول هذين الاعتداءين على نيويورك، وذلك قبيل وقوعهما بساعتين. وتلك الوقائع أكدها ميشا ماكوفر[10]، مدير الشركة، في حديثه مع الصحيفة، وربما كانت تحذيرات من كل الأنواع قد وجهت لآخرين من شاغلي البرج الشمالي، حتى وإن كانوا جميعاً لم يأخذوها ـ على الأرجح ـ على محمل الجد بنفس الطريقة.

نجد هنا مخططاً مشابهاً للاعتداء الذي نفذ في أوكلاهوما ستي بتاريخ ١٩٩٥/٤/١٩. يومذاك، كان قسم كبير من الموظفين العاملين في المبنى الاتحادي، ألفرد ب موراه، قد استفاد من إجازة لنصف يوم، الأمر الذي حال

دون سقوط أكثر من ١٦٨ قتيلاً. كان هذا الاعتداء ـ حسبما هو معروف اليوم ـ من تدبير عسكريين ينتمون إلى منظمة يمينية متطرفة كانت هي نفسها مخترقة من مكتب التحقيقات الفدرالي[11].

إذاً في أوكلاهوما سيتي، سمح مكتب التحقيقات الفدرالي بوقوع ذلك الاعتداء الذي كان على علم به مسبقاً، وإنما كان قد حصر أضراره.

لنصغ الآن إلى هذا الاعتراف الغريب الذي أدلى به الرئيس جورج دبليو بوش. وكان ذلك بمناسبة مهرجان نظِّم في أورلاندو بتاريخ ٤ كانون الأول/ ديسمبر[12].

سؤال: ما أود قوله بداية، سيدي الرئيس، هو أنه لا يمكن تقدير كم هو مهمٌ ما فعلتموه من أجل بلدنا. والشيء الآخر هو التالي: ماذا كان شعوركم عندما علمتم بالهجوم الإرهابي؟

الرئيس جورج دبليو بوش: شكراً يا جوردان، أنت تعلم يا جوردان، وسوف لن تُصدق إن قلت لك في أية حال أوقعني خبر هذا الهجوم الإرهابي. كنت في فلوريدا. وسكرتيري العام أندي كارد ـ في الواقع، كنا في قاعة للدروس أتحدث بشأن برنامج بالغ الفعالية للتدريب على القراءة. كنت جالساً خارج القاعة بانتظار لحظة الدخول، فرأيت طائرة تصطدم بالبرج ـ كان التلفاز مشعلاً. وبما أني كنت أنا نفسي قبطاناً، قلت: يا لهذا القبطان المرعب. ثم قلت: ربما كان ذلك حادثاً مخيفاً. ولكن قادوني [حينئذ إلى الصف] ولم يتسنَّ لي الوقت الكافي للتفكير في الأمر. كنت جالساً في الصف وسكرتيري العام، أندي كارد، الذي تراه جالساً هناك، دخل وقال لي: «طائرة ثانية ارتطمت بالبرج، إن أميركا تتعرض للهجوم».

في الواقع يا جوردان، بداية، لم أكن أدري ماذا أقول في ما سمعت. أنت تعلم أنني ترعرعت في فترة لم يخطر لي فيها أن أميركا قد تتعرض لهجوم ـ ربما والدك أو والدتك كانا يفكران مثلي آنذاك. في تلك البرهة، رحت أفكر ملياً في

معنى أن تجد نفسك مهاجماً. وكنت أعرف أنني، في حال تجمعت كل الدلائل [المؤكدة] على أننا تعرضنا لهجوم، سأجعل الجحيم جزاء الذي تجاسر على مهاجمة أميركا (تصفيق)».

هكذا إذن، وحسب ما صرّح به، شاهد الرئيس مشاهد عن أول اصطدام قبل حدوث الثاني. هذه المشاهد لا يمكن أن تكون تلك التي سجلها الأخوان جول وجدعون نوديه، صدفةً. بالفعل، كان الأخوان نوديه قد أمضيا يومهما بالكامل وهما يصوران في موقع مركز التجارة العالمي، ولم تبث وكالة غاما شريطهما للفيديو إلا بعد انقضاء ١٣ ساعة. إن الموضوع يتعلق إذن بمشاهد سرّية نقلت إليه، دون تأخير إلى قاعة الاتصال، المهيأة أمنياً، داخل المدرسة الابتدائية، ضمن ترتيبات الزيارة. ولكن بما أن أجهزة الاستخبارات الأميركية تمكنت من تصوير أول هجوم فإن ذلك يعني أنها كانت على علم به من قبل، وفي هذه الحالة، لماذا لم تحرك ساكناً لإنقاذ مواطنيها؟

لنجرِ تجميعاً لمعلوماتنا: كان الإرهابيون يتمتعون بدعم لوجستي من فرق ساعدتهم على الأرض. لقد أُشعلت منارتان وأُنذر شاغلو البرجين مسبقاً بضرورة المغادرة تخفيفاً لحجم الكارثة الإنسانية المتوقعة وفُجرت ثلاثة مبانٍ. كل ذلك تحت أنظار أجهزة استخبارات على درجة عالية من اليقظة والإهمال كذلك.

هل يستطيع أحد إعداد مثل هذه العملية وقيادتها انطلاقاً من كهف يقع في أفغانستان، وينفذها بضعة إسلاميين؟

هوامش الفصل الثاني

(١) باستثناء الرحلة ٩٣ التي انفجرت في أجواء بنسيلفانيا والتي ذكر ركابها أن بحوزة الخاطفين علبة قالوا إنها قنبلة.

(٢) المسدسات الاصطناعية أثناء مرورها تحت أروقة التفتيش في المطارات. راجع مثلاً (http://www.glock.com).

(٣) وزارة الدفاع «*Global Hawk, the DoD's Newest Unmaned Air Vehicle*» شباط/ فبراير ١٩٩٧ (http://www.defenselink.mil/photos/Feb1997/970220-D-0000G-001.html).

(٤) بيل مانينغ، «التحقيقات المغشوشة» **مجلة هندسة الحرائق**، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢ راجع أيضاً «تحقيقات مركز التجارة العالمي؟ دعوة للتحرك» (بيان منشور في العدد ذاته).

(٥) على سبيل المثال، شهادة الإطفائي لوي كاتشيولي (الفرقة ٤٧) (http://www.people.aol.com/people/special/0,11859,174592-3,00.html).

(٦) أوليفييه ويتبروك، «زرع متفجرات في البرجين، أقوال خبير معهد نيومكسيكو للتكنولوجيا»، **ألبوكيركي جورنال**، ٢٠٠١/٩/١١. ورد التراجع في مقال لجون فليك، «حريق وليس متفجرات خارجية، تضرر الأبنية، أقوال خبير» **ألبوكيركي جورنال**، ٢٠٠١/٩/٢١ (http://www.abqjournal.com).

(٧) جايمس رايزن، «تقرير سري لـ سي.آي.إي. موقع نيويورك دمّر في ١١ أيلول/ سبتمبر»، **نيويورك تايمز**، ٢٠٠١/١١/٤ (http://www.nytimes.com).

(٨) تلقينا العديد من الشهادات تفيد بأن قاعدة السي.آي.إي كانت متواجدة في الطابقين التاسع والعاشر من البرج ٧. وقد استخدمت شعاراً لها المؤسسة المرتبطة بها والمعروفة بقوة مكافحة الجرائم الالكترونية لمدينة نيويورك (New York Electronic Crime Task). وزودتنا المصادر ذاتها بصور عن البرج ٧ التقطت بعد انهيار البرج الجنوبي تبيّن بوضوح أن حريقاً نشب في الطابق التاسع (http://members.aol.com/erichuf/eh-wtc 16.jpg). لم يسعنا التأكد من أصالة الصور ومن حقيقة المعلومات.

(٩) تشير آخر جردة لضحايا مركز التجارة العالمي إلى سقوط ٢٨٤٣ قتيلاً، برقية (أب) بتاريخ ٩/ ٢/ ٢٠٠٢. وهذا الرقم هو الذي أعلنته مدينة نيويورك. أما الوكالة فتقدم رقم ٢٧٩٩ قتيلاً.

(١٠) هآرتز، ٢٠٠١/٩/٢٦ (http://www.haaretzdaily.com). أذيع هذا الخبر على لسان دانيال سيبرغ من على قناة السي.إن.إن: *FBI Probing «Threating» Message, Firm Says* (28 *septembre)* http://www.cnn.com. راجع أيضاً برايان ماك وليمز *«Instant Messages To Israel Warned of WTC Attack»* **نيوزبايتز**، ٢٧ أيلول/ سبتمبر، ولنفس الكاتب *«Odigo Clarifies Attack Messages»* في العدد التالي (http://www.newsbytes.com) . هذا الخبر أذاعته قناة الجزيرة بطريقة مشوهة تبعث على الظن أن الموساد قد نفذ الاعتداءات، وهو قد أنذر مسبقاً المستخدمين اليهود في مركز التجارة العالمي. إن القناة القطرية قد صرفت مراسلها على الفور بسبب اختلاقه هذا الخبر.

(١١) كينيث ستيرن، *A Force upon the Plain: the American Militia Movement and the Politics of Hate*, Simon & Schuster éd., 1996. راجع أيضاً أول قسم من كتاب: *The Secret Life of Bill*

Clinton: the Unreported Stories للكاتب Ambrose Evans-Prichard ، نشر Regnery Publishing.

(١٢) ملاحظات أدلى بها الرئيس في قاعة مهرجانات المدينة»، بمركز المؤتمرات مقاطعة أورانج، أورلاندو، فلوريدا: (http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/12/print/2001 11204-17.html).

الفصل الثالث

جواسيس في البيت الأبيض

دعونا نسترجع الرواية الرسمية لأحداث ذلك اليوم الرهيب. إن روبير مولّر الثالث، مدير الـ إف.بي.آي، بادر، رداً منه على الاعتداءين اللذين وقعا على مدينة نيويورك، إلى تنشيط الكونپلان[١]: حيث أخطرت جميع الوكالات الحكومية بالكارثة وطُلب منها أن تكون جاهزة وبتصرف مركز العمليات والمعلومات الاستراتيجية (سيوك SIOC) التابع لل إف.بي.آي، ومجموعة التصدي للكوارث (سي دي آرجي CDRG)، والوكالة الفدرالية لإدارة الأزمات (FEMA). أخليت وأُقفلت أماكن التجمع العامة الرئيسية، التي قد تكون مسرحاً لعمليات إرهابية.

فجأة، وفي الساعة العاشرة، أطلق الجهاز السرّي (أي جهاز حماية كبار المسؤولين) إنذاراً من نوع جديد: تعرض البيت الأبيض وطائرة سلاح الجو رقم ١ للتهديد. اقتيد نائب الرئيس تشيني إلى الپيوك (PEOC) (مركز عمليات الطوارىء الرئاسية)، وهي قاعة القيادة القائمة تحت الأرض، في جناح البيت الأبيض الغربي. أُطلق العمل بخطة استمرارية الحكم (سي أو جي COG). وُضع قادة البلاد السياسيون الرئيسيون للبلاد، من أعضاء الحكومة والكونغرس، في أماكن آمنة. نقلتهم مروحيات قوات البحرية إلى ملجأين ضخمين مضادين للذرة: المنشآت الخاصة بالطوارىء (High Point Facility) (ماونت وذر،

فرجينيا) ومركز الاتصالات البديلة المشتركة (Alternate Joint Communication Center) المسمى «موقع R» (Raven Rock Mountain)، قرب كامب داڤيد)؛ وهي مدن حقيقية تحت الأرض، من مخلفات الحرب الباردة، قد صمِّمت لإيواء آلاف الأشخاص.

من جهته، غيَّر جورج دبليو بوش وجهة سيره بعد أن كان متوجهاً إلى واشنطن. حطّت الطائرة الرئاسية طائرة سلاح الجو رقم ١، بادىء ذي بدء، في قاعدة باركسدال (لويزيانا)، ثم في قاعدة أوفّوتّ (نيبراسكا). وهذه القاعدة هي مقر القيادة الاستراتيجية الأميركية، أي نقطة التقاطع التي منها يتم تشغيل نظام قوة الردع النووية. قطعت الطائرة الرئاسية المسافة الفاصلة بين القاعدتين على ارتفاع منخفض، وبخط متعرج، تواكبها طائرات مطاردة. اجتاز الرئيس مدارج القاعدتين مستقلاً كل مرة سيارة مصفحة، اتقاءً لرصاص القناصة.

لم يتم العدول عن تدابير الحماية تلك المخصصة لكبار الشخصيات، إلا عند الساعة السادسة مساءً، عقب استئناف الرئيس رحلته على متن طائرة سلاح الجو رقم١ عائداً إلى واشنطن.

وصف نائب الرئيس ديك تشيني الإنذار الذي أطلقه الجهاز السرّي، وشرح طبيعة ما تضمنه من خطر، في حديث أجراه معه تيم راسرت على شاشة الـ إن.بي.سي[٢] في برنامج «لقاء مع الصحافة» بتاريخ ١٦ أيلول/ سبتمبر. (انظر الملحق).

وحسب ما أدلى به هو نفسه في شهادته: كان نائب الرئيس قد أُخبر فجأة من قبل ضباط أمنه أنه وقع في دائرة الخطر، وأنه لا بد من نقله إلى ملجأ البيت الأبيض. إن طائرة بوينغ خطفت أثناء قيامها بالرحلة رقم ٧٧، كانت تحوم فوق واشنطن. وقد تحطمت فوق البنتاغون بعد أن ضلّت عن الوصول إلى البيت الأبيض. وفيما كان إخلاء جميع المسؤولين في الحكومة والكونغرس جارياً، أُبلغ الجهاز السرّي بوجود خطر محدق بطائرة سلاح الجو رقم ١. إذ كان ثمة

طائرة أخرى مخطوفة في طريقها إلى الارتطام بالطائرة الرئاسية وهي في الجو.

* * *

مرة أخرى نلاحظ أن الرواية الرسمية لا تصمد أمام التحليل.

لقد رمى نائب الرئيس من خلال شهادته إلى تحديد طبيعة التهديد: «ثمة طائرات انتحارية تستهدف البيت الأبيض وطائرة سلاح الجو رقم ١. إنه يستعيد هنا الأكذوبة التي فضحناها في الفصل الأول: أكذوبة الرحلة رقم ٧٧ التي تحطمت على البنتاغون. وهو يضيف إليها من بنات أفكاره أن الطائرة الانتحارية حامت فوق واشنطن بحثاً عن هدف. يصعب علينا تصديق أن هاجس الجهاز السريّ لم يكن سوى تهريب نائب الرئيس إلى داخل ملجأ آمن بدلاً من تشغيل المضادات الجوية. وما يبعث على السخرية أن تشيني اختلق قصة الطائرة المدنية الأخرى التي طاردت طائرة سلاح الجو رقم ١ على شاكلة خيّال أفلام الوسترن، وقد سعت للارتطام بها أثناء تحليقها دون أن يحرك سلاح الجو الأميركي ساكناً.

رغم ما حوته هذه الرواية من عناصر لا يقبلها العقل، فهي لا تفسر هذه التصرفات تفسيراً كافياً. بالفعل بما أن الخطر كان مقتصراً على وجود طائرات انتحارية، فليس مفهوماً إطلاقاً أن تتم حماية الرئيس من طلقات القناصة المفترضة، التي لاحقته حتى مدارج القواعد العسكرية الاستراتيجية؟ كيف نصدِّق أن الإسلاميين قد تمكنوا من اتخاذ مواقع لهم في أماكن تتمتع بحماية على هذا المستوى الرفيع من الكثافة.

كان ديك تشيني يقصد من وراء شهادته أن يغطي بالأخص على تصريحات الناطق باسم البيت الأبيض، آري فلايشر، وما سرَّبه سرّاً أمين عام البيت الأبيض، كارل روف[٣]. كانت معلوماتهم تحمل على الظن بوجود خيوط داخلية محتملة، في حين كانت الدعاية الحربية لا تريد أن ترى سوى عدو خارجي.

لقد أكدت الصحافة[٤]، منذ ١٢ و١٣ أيلول/ سبتمبر، أن الجهاز

السرّي، ووفقاً لما قاله الناطق باسم الرئاسة (أري فلايشر)، قد تلقى رسالة من المهاجمين يذكرون فيها أنهم عازمون على تدمير البيت الأبيض وطائرة سلاح الجو رقم ١. إن ما يثير مزيداً من الاستغراب، حسب ما نقلته **النيويورك تايمز**، هو كون المهاجمين دعموا اتصالهم باستخدام شيفرات التعريف والتحويل الرئاسية. وما يزيد في الأمر عجباً، حسب ما نقلته صحيفة **ورلد نت دايلي**(٥) عن المسؤولين الاستخباريين، أنه كان في حوزة المهاجمين كذلك شيفرات إدارة مكافحة المخدرات (DEA)، ومكتب الاستطلاع الوطني (NRO)، واستخبارات القوات الجوية (AFI)، واستخبارات الجيش (AI)، واستخبارات البحرية (NI)، واستخبارات سلك البحرية (MCI)، وأجهزة استخبارات وزارة الخارجية ووزارة الطاقة.

إن كل واحدة من هذه الشيفرات لا يعرف بها إلا قلة قليلة من المسؤولين. لم يكن أي من هؤلاء جميعاً مخولاً الاطلاع على أكثر من واحدة من الشيفرات. كما أن التصديق بأن المهاجمين قد اطلعوا عليها يفترض إما أن هناك وسيلة لاختراقها، وإما أن جواسيس قد تغلغلوا في عمق أجهزة الاستخبارات تلك. لعله كان ممكناً، من الناحية التقنية، تركيب شيفرات للوكالات الأميركية مجدداً بواسطة برامج سبق أن استخدمت في تصميمها، مثل برنامج بروميز (Promis). والحال، إن خوارزميات هذا البرنامج قد سرقها عميل الـ إف.بي.آي، روبرت هانزن الذي أُوقف في شباط/فبراير ٢٠٠١ بتهمة التجسس(٦). يعتقد جامْس ولسي، المدير السابق للسي.آي.إي، أنه قد تم الحصول على الشيفرات، على الأرجح، بواسطة جواسيس. كما أكد ولسي الذي يتزعم مجموعة الضغط المعادية لصدام حسين، أن العملية من صنع أجهزة الاستخبارات العراقية الخطيرة. ثمة فرضية ثالثة مفادها أن الجهاز السرّي قد تعرض للاختراق وتم تسميمه: لم يحز المهاجمون أبداً على هذه الشيفرات، إنما نجحوا في جعل الآخرين من المعنيين يصدقون ذلك، بفضل بعض المتواطئين.

مهما يكن من أمر، فإن قضية الشيفرات كشفت عن أن ثمة خائناً أو أكثر

متغلغلون على أعلى مستوى جهاز الدولة الأميركية. وهؤلاء هم القادرون على نشر قناصة لقتل الرئيس حتى في عمق القواعد الاستراتيجية لسلاح الجو الأميركي. وقد استخدم الرئيس بوش سيارات مصفحة على مدارج باركسدال وأوفوت تحسباً لكمائنهم.

وثمة جانب آخر في هذه القضية قد تكشَّف عنه وجود مفاوضة موازية. لئن كان المهاجمون قد أجروا اتصالاً بالجهاز السّري مستخدمين شيفرات سريّة لإضفاء مصداقية على هذا الإتصال، فذلك من أجل هدف محدد. فإما أن تكون رسالتهم قد تضمنت مطلباً ما وإما أنها تضمنت تهديداً. وبناءً عليه، لئن صدقنا أن الخطر زال مع انتهاء النهار، لا يسعنا إلا أن نستنتج أن بوش قد فاوض وخضع بالتالي لابتزاز ما.

كان في استطاعة المهاجمين، عندما كانت في حوزتهم شيفرات التصديق والتحويل الخاصة بالبيت الأبيض وبطائرة سلاح الجو رقم ١، أن ينتحلوا صفة رئيس الجمهورية. وكان في وسعهم إصدار تعليمات للجيوش، كما يشاؤون، بما في ذلك إشعال نار السلاح النووي. إن الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالسماح لجورج دبليو بوش بالاستمرار في السيطرة على جيوشه تمثلت في بقائه شخصياً في مقر قيادة الولايات المتحدة الاستراتيجية، في أوفوت، وتوليه إصدار أي أمر أو أمر معاكس بنفسه. لذلك فقد انتقل إلى هناك شخصياً. وتبيّن أن هذا الانتقال تعذر بسبب عجز في الوقود. إذ إن طائرة سلاح الجو رقم ١، غير المعدَّة للتحليق على ارتفاع منخفض، كانت قد استهلكت كامل احتياطها وكان متعذراً تزويدها بالوقود جواً من دون تعريضها للخطر. إذاً فقد أعد لمحطة تقنية في باركسدال، وهي واحدة من خمسة مواقع بديلة لقاعدة أوفوت.

ليست قضية الشيفرات وحدها هي العنصر المفقود في الرواية الرسمية. ثمة واقعة أخرى، لوحظت تماماً وقد تم إغفالها في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وعند الساعة التاسعة واثنتين وأربعين دقيقة، بثت محطة آي.بي.سي (ABC) بثاً مباشراً لمشاهد حريق المبنى الملحق بالبيت الأبيض، المبنى

الحكومي القديم. واكتفت قناة التلفزة بعرض مسطح ثابت تظهر فيه سحب الدخان الأسود متصاعدة من المبنى. لم ترشح أي معلومة عن مصدر هذا الحريق ولا عن حجمه بالضبط. بل لم يتجاسر أحد حتى أن يعزُوَ الحريق إلى طائرة انتحارية. بُعيد انقضاء ربع ساعة، كان الجهاز السرّي قد خُطف ديك تشيني من مكتبه وأمر بإخلاء البيت الأبيض والمبنى الملحق به. كان قناصة من النخبة قد انتشروا في محيط المقر الرئاسي، مزودين براجمات صواريخ وكانوا قادرين على صد أي هجوم قد ينفذه جنود محمولون جواً. باختصار، كان المطلوب هو مواجهة خطر من نوع مغاير تماماً لذلك الذي وصفه لاحقاً نائب الرئيس تشيني.

دعونا نقرأ الآن نص مداخلة الرئيس بوش المسجلة في باركسدال وقد بثّها البنتاغون، لاحقاً، عند الساعة الواحدة وأربع دقائق ظهراً: «يهمني طمأنة الشعب الأميركي إلى أنّ جميع طاقات الحكومة الفدرالية. موظفة لمساعدة السلطات المحلية في إنقاذ أرواح ضحايا تلك الاعتداءات ومساعدتهم فلا يخطئنّ أحد: ستتعقب الولايات المتحدة مدُّبري تلك الأعمال الجبانة وستعاقبهم. أنا على اتصال منتظم بنائب الرئيس ووزير الدفاع ولجنة الأمن القومي ومكتبي. لقد اتخذنا كل الاحتياطات الأمنية المناسبة لحماية الشعب الأميركي. وُضع عسكريون داخل الولايات المتحدة وعبر العالم في حالة استنفار قصوى، واتخذنا الاحتياطات الأمنية الضرورية لتأمين استمرارية وظائف الدولة.

اتصلنا بزعماء المجموعات في الكونغرس وبزعماء العالم مؤكدين لهم بأننا لن نألو جهداً لحماية أمريكا والأميركيين.

أطلب من الشعب الأميركي أن ينضم إليّ لتقديم الشكر إلى جميع الذين يبذلون كل طاقتهم لإنقاذ مواطنينا، ولنصلّي من أجل الضحايا وعائلاتهم...

إن تصميم أمتنا العظيم يُمتحن الآن. لكن حذار من الوقوع في الخطأ: سنبرهن للعالم أننا قادرون على تجاوز المحنة. فليبارككم الرب».

الأمر اللافت في هذه المداخلة يكمن في أن الرئيس قد تحاشى بعناية أي ذكر للمهاجمين. لم يعد يستخدم مفردتي «الإرهاب» أو «الإرهابي». إنه يفسح المجال للاعتقاد بأن الأمر قد يكون متعلقاً ببداية نزاع عسكري كلاسيكي، أو بأي شيء آخر. لقد أتى على ذكر «وضعية امتحان» سيتم تخطيها، وبدا كأنه ينذر بكوارث جديدة. وما يزيد في الأمر استغراباً أنه لم يقدم أي تفسير لتغيّبه عن واشنطن، ما أعطى الانطباع بأنه هرب أمام خطرٍ ما يزال محدقاً بمواطنيه.

كان أري فلايشر، الناطق باسم البيت الأبيض، قد أدلى بتصريحين صحفيين مرتجلين على متن طائرة سلاح الجو رقم ١ طيلة تجوالها المديد. فقد حرص هو أيضاً، وبالعناية نفسها التي أظهرها الرئيس بوش، على عدم ذكر مفردتي «الإرهاب» و «الإرهابي».

في مثل هذا السياق، يجوز لنا تفسير اللجوء إلى تطبيق إجراء «ضمان عدم حدوث فراغ في الحكم» (سي. أو. جي COG) على نحوين مختلفين. أبسطهما يقضي بالأخذ في الحسبان ضرورة حماية الرئيس والمسؤولين السياسيين من عمل خونة بإمكانهم إشعال حريق في المبنى الحكومي القديم وسرقة الشيفرات السّرية للرئيس ووكالات الاستخبار.

كما أنه في وسعنا بالمقابل الأخذ في الحسبان بأن خطة السي. أو. جي لم يتم تطبيقها حماية للقادة السياسيين من الخونة، إنما طبقت من قبل هؤلاء لعزل أولئك. بالفعل، فإن شهادة نائب الرئيس تشيني مثيرة للاستغراب حقاً. إذ أكّد إنَّ رجال الجهاز السرِّي خطفوه من مكتبه وقادوه إلى ملجأ البيت الأبيض دون أخذ موافقته. وهو أفسح في المجال للاعتقاد بأن الأمر سار على نفس المنوال في ما يخص أعضاء الحكومة والكونغرس الرئيسيين. فهل من اسم آخر نطلقه على عملية تقوم بها الأجهزة السرية كخطف ممثلي الشعب واحتجازهم في ملاجىء «حرصاً على سلامتهم»، غير اسم انقلاب سياسي أو على الأقل انقلاب في البلاط؟

* * *

دعونا نسترجع العناصر المتوفرة: اندلع حريق في المبنى الملحق بالبيت الأبيض. أُعلن عن الاعتداءات عبر اتصال هاتفي بالجهاز السّري، طرح المهاجمون عدداً من المطالب، بل وجهوا إنذاراً، ودعّموا اتصالهم مستخدمين شيفرات التحويل والتصديق العائدة للرئاسة. أطلق الجهاز السرّي تدبير استمرار الحكم ووضع قادة الأحزاب الرئيسيين تحت الحماية. فاوض الرئيس بوش في فترة ما بعد الظهر. فعاد الهدوء مساءً.

إذاً، فالاعتداءات لم يدبرها أي متعصب، اعتقاداً منه أنه ينفذ عقاباً إلٰهياً، إنما هي من صنع مجموعة موجودة في كنف جهاز الدولة الأميركية استطاعت أن تملي سياسة معيّنة على الرئيس بوش. عوضاً عن انقلاب سياسي يستهدف الانقلاب على المؤسسات، أليس ما حصل هو إمساك بالسلطة من مجموعة خاصة تختفي وراء المؤسسات؟

هوامش الفصل الثالث

(١) CONPLAN: مفهوم الولايات المتحدة الحكومي المشترك بين الوكالات لمواجهة الإرهاب الداخلي، للتحميل عند بعد (http://www.fbi.gov/publications/conplan/conplan.pdf).

(٢) النص الكامل للحديث متوافر على (http://stacks.msnbc.com/news/629714.asp).

(٣) اقرأ خصوصاً مقالة الخيار لنكولا كاليمان المنشورة في صحيفة نيويوركر بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠١ (http://www.newyorker.com).

(٤) مثلاً، ساندرا سوبيراج، «استهداف البيت الأبيض» واشنطن پوست، ١٢/٩/٢٠٠١ (http://www.washingtonpost.com)؛ و«داخل الملجأ»، نيويورك تايمز، ١٣/٩/٢٠٠١ (http://www.nytimes.com).

(٥) التجسس الرقمي في البيت الأبيض؟ الإرهابيون يحصلون على شيفرات الرئاسة العالية السرية» ورلد نت دايلي، ٢٠/٩/٢٠٠١ (http://www.worldnetdaily.com).

(٦) مايكل رابرت، «بساط بن لادن السحري - برنامج بروميز السرّي الأميركي»، فروم ذي ولدرنس، ٢٠/١١/٢٠٠١ (http://www.copvcia.com).

الفصل الرابع

إعلان التعبئة في صفوف مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI)

أطلق مكتب التحقيقات الفدرالي بما يتمتع به من حسّ مذهل في التنظيم اشتهرت به الولايات المتحدة، في الحادي عشر من أيلول/ سپتمبر، أوسع حملة تحقيق جزائي في تاريخ البشرية: «البنتبومب (Penttbomb)» (إدغام عبارتي Pentagon-Twin Towers-Bomb). حيث استدعيَ ربع عدد العاملين لديه، وتم تعبئة سبعة آلاف موظف من بينهم أربعة آلاف عميل. وأضاف إلى إمكاناته الخاصة تلك المفروزة من قبل وكالات أخرى تابعة لوزارة العدل: القسم الجنائي، مكاتب النواب العامين، دائرة الهجرة والتجنيس. إلى ذلك، استند الـ إف. بي. آي على مجمل «جماعة الاستخبارات الأميركية» وبالأخص الـ سي. آي. إي، الـ إن. أس. آي (NSA) (وكالة الأمن القومي) والـ دي. آي. إي (DIA) وكالة الاستخبارات العسكرية). وأخيراً. استفاد الـ إف. بي. آي في الخارج من التعاون الأمني الدولي سواء عبر الانترپول أو عبر التعاون البيني مع أجهزة الدول الحليفة الأمنية.

ومن أجل جمع الأدلة، أطلق الـ إف. بي. آي. نداءات للشهود مساء وقوع الاعتداءات ذاته. وخلال الأيام الثلاثة الأولى، تلقى ٣٨٠٠ رسالة هاتفية و٣٠٠٠٠ رسالة الكترونية و٢٤٠٠ بلاغ، مصدرها جميعاً عملاء استخباراته.

غداة الاعتداءات كان الـ إف. بي. آي قد توصل إلى توضيح الخطة المتبعة

من قبل الإرهابيين[١]. دخل عملاء من شبكة بن لادن الأراضي الأميركية بصورة شرعية. وتلقوا فيها تدريباً سريعاً على قيادة الطائرات. كانوا موزعين على أربع فرق تضم كل واحدة منها خمسة انتحاريين، فقاموا بخطف طائرات ركاب تنفيذاً لمهمة الإغارة على أهداف بالغة الأهمية. في الرابع عشر من أيلول/سبتمبر، نشر الـ إف.بي.آي. لائحة أسماء القراصنة التسعة عشر المزعومين[٢].

في الأسابيع اللاحقة نشرت الصحف العالمية سيرة الانتحاريين. وركزت على تعذر إمكانية أي من أصدقائهم أو جيرانهم أن يشكّوا بنواياهم، وتعذر إمكانية رصدهم من قبل أجهزة الأمن الغربية. وإذ كان هؤلاء العملاء «النائمون» مندمجين في الجماهير، يتحاشون بعناية الإفصاح عن قناعاتهم، فإنهم لم يستيقظوا إلاّ في الموعد المحدد لتنفيذ المهمة. وثمة «عملاء نائمون» لا يزالون في الظل، ينتظرون على الأرجح دورهم. إن خطراً يتعذّر كشفه يحوم في سماء المدنية الغربية...

***

من الناحية المنهجية، أمامنا تحقيق فاشل. في إطار إجراء جزائي يتعلق بوقائع على هذه الدرجة من التعقيد، كان يتعيَّن على المسؤولين الأمنيين في الشرطة بناء فرضيات متعددة وتعقبها كلها، دون استثناء، حتى النهاية. لقد استبعدت مبدئياً فرضية الإرهاب الداخلي، دون إخضاعها للدرس. وعوضاً عن ذلك أشير بالإصبع، مسبقاً، إلى أسامة بن لادن، وذلك من قبل «مصادر قريبة من التحقيق» بعد وقوع الاعتداءات ببضع ساعات. كان الرأي العام متعطشاً للكشف عن المجرمين، فتم له ذلك على الفور.

كان الإرهابيون في كل من الطائرات الأربع المخطوفة، منظمين على أساس فرقٍ من خمسة رجال تجمعوا في اللحظة الأخيرة. إلا أن طائرة الرحلة رقم ٩٣، التي تحطمت وانفجرت على أرض بنسيلفانيا، لم تكن تقل سوى أربعة إرهابيين: تم القبض على عضو الكوماندوس الخامس، المدعو زكريا

موسوي، قبيل وقوع الاعتداء، بحجة عدم حمله إجازة إقامة، في مرحلة أولى أعلن الـ إف.بي.آي أن جميع القراصنة تلقوا التدريب على العمل الاستشهادي. وفي مرحلة ثانية، زعم، بعد اكتشاف شريط الفيديو لأسامة بن لادن، أن القراصنة ـ الطيارين فقط كانوا انتحاريين، إذ إن أعضاء الفرق الآخرين لم يبلّغوا عن مهمتهم الانتحارية إلا في اللحظة الأخيرة، ومهما يكن من أمر، فإن فكرة فرق انتحارية تثير الاستغراب. بالفعل، إن نفسية الانتحاري نفسية فردية للغاية. في الحرب العالمية الثانية، نفذ الانتحاريون اليابانيون عملياتهم فردياً، وإن كان ذلك قد تم وفقاً لموجات منسّقة. إذا عدنا إلى عهد أقرب، نجد أن أعضاء الجيش الأحمر الياباني (رينغو سيجيكون)، الذين صدّروا هذه التقنية إلى الشرق الأدنى بمناسبة الاعتداء على مطار اللد (إسرائيل، أيار/مايو ١٩٧٢)، قد عملوا بصيغة من ثلاثة أعضاء، إنما بعد أن خضعوا لتدريب خاص لتأمين اللحمة فيما بينهم. هذا علماً أن أحد إرهابيي اللد، المدعو كوزو أوكاموتو، قد اعتقل حيّاً. فلا وجود لأي مثل حول فرق انتحارية شكلت في اللحظة الأخيرة.

وعلاوة على ذلك، وكما لاحظ سلمان رشدي[٣]، بوسعنا التأكيد أن القراصنة، وإن كانوا من الانتحاريين، فلم يكونوا من الإسلاميين في تلك الحالة في واقع الأمر، الانتحار محرم في القرآن. لعلّ بعض الإسلاميين عرّضوا أنفهسم للموت، كشهداء، من غير حظ في النجاة، لكنهم لم يقدموا على قتل أنفسهم من تلقاء أنفسهم.

لكنّ نظرية الانتحاريين أكدتها وثائق مكتوبة بخط اليد بالعربية كشف عنها الـ إف.بي.آي[٤] مترجمة إلى الإنكليزية وتناقلتها الصحافة العالمية. قيل أنه عثر على ثلاث نسخ منها: إحداها في حقيبة كان المشتبه به محمد عطا فقدها في أحد المطارات أثناء تبديل الرحلة؛ وعثر على الثانية في عربة كان نوّاف الحازمي قد هجرها في مطار دالس، والثالثة عثر عليها في حطام الطائرة المنطلقة في الرحلة رقم ٩٣ والتي تفجَّرت فوق ستوني كريك تاونشيب (بنسيلفانيا)[٥].

أما مضمون صفحات الوثيقة الأربع فيتعلق بوصايا ورعة:

١ ـ عاهد نفسك على الاستشهاد وجدد نيتك به. احلق جسدك وطهره بماء الكولونيا. واستحم.

٢ ـ تأكد من حسن اطلاعك على جميع تفاصيل الخطة وكن مستعداً للرد المعاكس ورد فعل العدو.

٣ ـ اقرأ سورتي التوبة والأنفال [سورتان قرآنيتان تدعوان للجهاد] تمعن بمضمونها وفكّر بكل ما وعد الله به الشهداء».

إلخ.

وإذ صيغت هذه الوثائق بأسلوب ديني تقليدي متأثر في الغالب بإحالات قرووسطية، فإنها ساهمت إلى حد بعيد في تأكيد صورة التعصب التي تعمَّدت السلطات الأميركية إظهارها تجاوباً مع الدعوات الانتقامية الشعبية. علماً بأنها ليست سوى وثائق بدائية لا تخفى بدائيتها على أي ملمٍّ بحقيقة الإسلام. بالفعل فهي تبدأ محرضة «بسم الله، وباسمي وباسم عائلتي»، بيد أن المسلمين ـ خلافاً لكثير من الفروق الطهورية الأميركية ـ لا يأتون الصلاة باسمهم الخاص ولا باسم عائلاتهم(٦). كما أن النص يتضمن في أحد مفاصل الجمل تعبيراً شائعاً عند الأميركيين وغريباً عن التعابير القرآنية هو: «عليك مواجهته واستيعابه ١٠٠٪» (كذا).

قدم الـ إف.بي.آي محمد عطا على أنه قائد العملية. وهذا المصري البالغ من العمر ثلاثة وثلاثين سنة كانت إقامته في سلو (إسبانيا) ثم في زيوريخ (سويسرا) حيث سدد ثمن السكاكين السويسرية، التي ابتاعها لتستخدم في عمليات خطف الطائرات، بوسيلة البطاقة الزرقاء، وأخيراً في هامبورغ (ألمانيا). وكان قد درس الالكتروتكنيك برفقة إرهابيين آخرين من غير أن يثير انتباه أحد قط، ولا أن يكشف عن عقيدته المتطرفة. وما إن وصل إلى الولايات المتحدة، حتى التحق بشركائه في فلوريدا وتابع دروساً في قيادة الطائرات في ڤينيس، حتى أنه تمكن من التدرب، لساعات معدودات في ميامي، على القيادة بواسطة محاكي طيران. وحرصاً منه على تورية انتمائه الأصولي عمد محمد عطا إلى

ارتياد **الأوليمبك غاردن** في لاس ڤيغاس، وهو أكبر الأندية الليلة الفخمة في العالم. هذا العميل الذي لا نظير له وصل إلى بوسطن في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر على متن رحلة داخلية. ونظراً لمهلة الترانزيت القصيرة المتاحة بين الرحلتين، فقد أمتعته أثناء تبديل مسار رحلته. وبضبطه لهذه الأمتعة قد وضع الـ إف.بي.آي يده على تسجيلات ڤيديو للتدريبات على قيادة طائرات البوينغ، وكتاب للصلاة الإسلامية، ورسالة قديمة دوّن فيها عطا نيته على الاستشهاد. وهوية عطا، بصفته قائداً لكوماندوس، كشفها أحد المضيفين على متن الطائرة كان قد أجرى اتصالاً بواسطة هاتفه النقال أثناء اختطاف الطائرة وحدد رقم مقعده: 8D.

هل هذه المعلومات جديرة بالثقة؟ يُطلب منا تصديق ما مفاده أن محمد عطا قد صرف مدة عشر سنوات مبدياً كل العناية والحرص على إخفاء نواياه وقد اتصل بشركائه متخذاً كل الإجراءات والتدابير الصارمة الكفيلة بتجنبه الانكشاف أمام أجهزة الاستخبارات. ومع ذلك فقد ترك وراءه مجموعة من الأدلة في اللحظة الأخيرة. ومع أنه كان متولياً قيادة العملية فقد جازف وكاد أن يخفق في استبدال رحلته بتاريخ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، لكنه نجح أخيراً في أن يستقل الرحلة رقم ١١ على الخطوط الجوية الأميركية، إنما من دون التمكن من استرجاع حقائبه. هل يصدق حقاً أن يربك المرء نفسه بأمتعة وهو ذاهب للانتحار؟

بل إن ما يدعو إلى السخرية أن الـ إف.بي.آي، أكد عثوره على جواز سفر محمد عطا **سليماً كاملاً** ضمن أنقاض مركز التجارة العالمي المنبعثة منها الأدخنة! إنها لمعجزة حقيقية: من المستغرب كيف يكتب لوثيقة من هذا القبيل أن تصمد أمام مثل هذه التجارب...

بالطبع، فقد اختلق الـ إف.بي.آي ما يُثبت هذه المزاعم. لعلنا لا نرى في ذلك سوى رد فعل مذعور لجهاز أمني ثبت عدم فعاليته في منع الكارثة، فراح يحاول بكل الوسائل إعادة الاعتبار لنفسه.

من دواعي الحيرة أن سجالاً دار حول هوية الانتحاريين. لقد قدمت الصحافة العالمية تعليقات مطولة على الصور الجانبية للإرهابيين التسعة عشر الذين ذكرهم الـ إف.بي.آي. تراوحت أعمارهم بين خمس وعشرين وخمسة وثلاثين سنة. جميعهم من العرب، ومسلمون، ومعظمهم سعوديون متعلمون. ثمة هدف سام وراء عملهم ولم يقدموا عليه عن يأس.

الظل الوحيد الذي تشكو منه هذه اللوحة هو ارتكاز تلك الصورة النموذجية إلى لائحة مشكوك بصحتها. لقد أكدت سفارة المملكة العربية السعودية في واشنطن أن عبد العزيز العمري ومهند الشهري وسالم الحازمي وسعيد الغامدي أحياء يرزقون في بلدهم. ووليد مهند الشهري، الذي يعيش حالياً في الدار البيضاء ويعمل طياراً في الخطوط الجوية الملكية المغربية، تحدث في مقابلة أجرتها معه جريدة القدس العربي الصادرة في لندن. وصرح الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية السعودي، للصحافة أنه «من الثابت أن خمسة من الأشخاص المذكورة أسماؤهم في لائحة الـ إف.بي.آي لا يمتّون بصلة إلى ما حدث». بيد أن الأمير نايف، وزير الداخلية السعودي، صرح لبعثة رسمية أميركية أنه «حتى الآن، لا يوجد أي دليل على أنهم [أي الرعايا السعوديون المتهمون من قبل الـ إف.بي.آي] على علاقة بالحادي عشر من أيلول/ سبتمبر. لم نتلق شيئاً من الولايات المتحدة بهذا الخصوص»[٧].

كيف تم الكشف عن هوية أولئك الإرهابيين؟ إذا ما راجعنا اللوائح بأسماء الضحايا المنشورة من قبل شركات الطيران بتاريخ ١٣ أيلول/ سبتمبر، نفاجأ بعدم إدراج أسماء القراصنة عليها. سارت الأمور كلها وكأن المجرمين سُحبت أسماؤهم وأبقي فقط على أسماء «الضحايا البريئة» وأطقم الطائرات. وإذا ما أحصينا عدد الركاب يتبين أن الرحلة رقم ١١ التابعة للخطوط الجوية الأميركية كانت ضمت ٧٨ ضحية بريئة (تحطمت طائرتهم على البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي)، وضمت الرحلة ١٧٥ التابعة للخطوط الجوية المتحدة ٤٦ (تحطمت طائرتهم على البرج الجنوبي)، وضمت الرحلة ٧٧ التابعة للخطوط

الجوية الأميركية ٥٥ (زعم أنها تحطمت على البنتاغون)، وضمت الرحلة ٩٣ التابعة للخطوط الجوية المتحدة ٣٦ (انفجرت طائرتهم فوق بنسيلفانيا. كانت تلك اللوائح غير مكتملة، إذ لم تحدد فيها هوية ركاب آخرين عديدين.

وإذا ما عدنا إلى بيانات[٨] شركات الطيران الصادرة بتاريخ ١١ أيلول/ سبتمبر، نلاحظ أن الرحلة رقم ١١ كانت تقل على متنها ٨١ راكباً، والرحلة ١٧٥، ٥٦ راكباً، والرحلة رقم ٧٧ أقلت ٥٨ راكباً، والرحلة ٩٣، ٣٨ راكباً.

كان مستحيلاً إذن من الناحية العملية أن تكون الرحلة رقم ١١ قد أقلت أكثر من ثلاثة إرهابين، والرحلة ٩٣ أكثر من إرهابيين اثنين. إن عدم ورود أسماء القراصنة على لوائح الركاب لا يعني إذن أنها حذفت من باب «اللياقة السياسية»، بل بكل بساطة أنهم لم يكونوا من بينهم، وداعاً إذن للنبأ المزعوم حول مشاهدة محمد عطا من قبل أحد المضيفين الذي حدد مقعده، الرقم 8D.

* * *

باختصار، نقول إن الـ إف.بي.آي. عندما اختلق لائحة بالقراصنة ووضع، انطلاقاً منها، صورة نموذجية لأعداء الغرب، ودعانا إلى تصديق الرواية القائلة بأن القراصنة كانوا من الإسلاميين العرب وقد نفذوا عمليتهم كانتحاريين، فإنه أقفل بذلك على الفرضية الداخلية الأميركية. في الواقع، إننا نجهل كل ما يتعلق بهوية «الإرهابيين ونمط تنفيذهم لعملهم. وما زالت كل الفرضيات مطروحة. وعلى غرار ما يحصل في سائر القضايا الإجرامية، فإن السؤال الأول الواجب طرحه هو: «من المستفيد؟».

بالضبط، غداة الاعتداءات، لوحظ أنه ثمة مناورات قد حصلت طيلة الأيام الستة التي سبقت وقوع الاعتداء، تدل على أن هناك عملية احتيالية أعدت بناء على معرفة مسبقة بالحادث المخطط له[٩]. هبطت قيمة أسهم الخطوط الجوية المتحدة (الشركة المالكة للطائرتين اللتين تحطمتا على البرج الجنوبي لمركز التجاري العالمي وفي بتسبورغ) هبوطاً مفتعلاً بلغت نسبته ٤٢٪ أما قيمة

أسهم الخطوط الجوية الأميركية (الشركة المالكة للطائرة المتحطمة على البرج الشمالي من مركز التجارة العالمي) فبلغت نسبة هبوطها ٣٩٪. لم تتعرض أي شركة طيران أخرى في العالم إلى مضاربة مشابهة - باستثناء شركة كِ. إل. إم الخطوط الجوية الملكية الهولندية. هذا ما يحملنا على استنتاج أن ثمة طائرة تابعة للشركة الهولندية ربما كانت قد اختيرت لتكون خامس طائرة مخطوفة.

وشُوهدت عمليات مماثلة في مجال عروض بيع أوراق مالية تخص شركة مورغان ستانلي دين ويتر أندكو (Morgan Stanley Dean Witter& Co) وقد تضاعفت اثني عشر ضعفاً في الأسبوع السابق لوقوع الاعتداءات. والحال، إن مقر هذه الشركة كان يشغل ٢٢ طابقاً من طبقات مركز التجارة العالمي. كذلك الأمر بالنسبة لعروض بيع أسهم الوسيط الأول في البورصة في العالم، مريل لينش أندكو (Merill Lynch & Co)، والذي يقع مقرّه في مبنى محاذٍ مهدد بالانهيار، وقد تضاعفت خمسة وعشرين ضعفاً. ولاسيما عروض البيع التي شملت أسهم شركة التأمين المتأثرة بالحادث: ميونخ ري وسويس ري وأكزا (Munich Re, Swiss Re, Axa).

كانت لجنة مراقبة العمليات في البورصة لمدينة شيكاغو أول من دق جرس الإنذار. فقد لاحظت أن المطّلعين المشبوهين حققوا في بورصة شيكاغو زيادة في الأرباح بلغت ٥ مليون دولار على أسهم الخطوط الجوية المتحدة و٤ مليون دولار على أسهم الجوية الأميركية و١,٢ مليون دولار على أسهم مورغان ستانلي دين ويتر أندكو و٥,٥ مليون دولار على أسهم مريل لينش أندكو.

مجابهة للمحققين، تخلى المطّلعون عن استيفاء ٢,٥ مليون دولار كأرباح إضافية لهم عن أسهم الخطوط الجوية الأميركية، التي لم يتسنَّ لهم الوقت الكافي لاستيفائها قبل إطلاق الإنذار.

لقد أحصت كل سلطات المراقبة لأعمال البورصة الأرباح الزائدة المحققة من قبل المطّلعين غير الشرعيين. نسّقت المنظمة الدولية للجان القيم

(IOSCO) [10] جميع تلك الاستقصاءات. وفي الخامس عشر من تشرين الأول/اكتوبر، عقدت مؤتمراً متلفزاً قدمت فيه السلطات الوطنية تقاريرها حول السوق. فتبيّن أن القيم الزائدة غير الشرعية بلغت مئات الملايين من الدولارات، مشكلة «أهم مخالفة اطلاع وقعت حتى الآن».

إن أسامة بن لادن، المجمدة حساباته منذ ١٩٩٨، لم تكن لديه الأموال المطلوبة للقيام بهذه المضاربة. كما أن حكومة طالبان لم تكن أقدر منه على ذلك، من الناحية المالية.

بالفعل، أمر الرئيس بيل كلينتون بتجميد جميع الأرصدة المالية لكل من أسامة بن لادن وشركائه وجمعياتهم وشركاتهم، عن طريق أمر حكومي رقم ١٣٠٩٩ تم توقيعه بتاريخ ٧ آب/أغسطس وهو تاريخ ذو دلالة رمزية (ذكرى الرد على اعتداءات نيروبي ودار السلام). عُمِّم القرار دولياً اعتماداً على قرار ١١٩٣ الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (١٣ آب/أغسطس ١٩٩٨). ومدّد بيل كلينتون تدبيره ليشمل الحسابات المصرفية لطالبان وشركائهم وتوابعهم، عن طريق أمر حكومي حمل رقم ١٣١٢٩ وصدر بتاريخ ٤ تموز/يوليو ١٩٩٩. في نهاية الأمر، اتخذ القرار العالمي بتجميد أرصدة الأشخاص والمنظمات المرتبطة والمسؤولة عن تمويل «الإرهاب الدولي» عبر القرار رقم ١٢٦٩ الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (١٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٩٩).

ابتداءً من ذاك التاريخ بات من السخرية بمكان استمرار الحديث عن «الميلياردير أسامة بن لادن»، طالما لم يعد بمقدوره التصرف بثروته الشخصية. والوسائل المتاحة لم تعد سوى تلك المتوفرة سراً أكانت دَولية أم لا، وهي وسائل لا تملكها إمارة أفغانستان الإسلامية.

لقد أمكن التثبت من أن غالبية المعاملات «تمت» عبر البنك الألماني وفرعه الأميركي للاستثمارات، الكس براون[11]. كانت هذه الشركة، حتى

١٩٩٨، بقيادة شخصية نضرة تدعى أ. ب. كرونغارد. وكان هذا المصرفي نقيباً في سلاح البحرية، ومولعاً بالرماية والفنون القتالية، ثم أصبح مستشاراً لمدير الـ سي.آي.إي، وبات، منذ ٢٦ آذا/مارس، الشخصية الثالثة في وكالة الاستخبارات الأميركية. نظراً لأهمية استقصاءات أ.ب. كرونغارد ونفوذه، ظننا أن ألكس براون قد يتعاون دونما أي صعوبة مع السلطات للكشف عن أسماء المطلعين. لكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث.

الغريب في الأمر حقاً أن الـ إف.بي.آي عدلت عن استثمار هذه الوجهة، وأغلقت لجنة الـ (IOSCO) تحقيقاتها دون التوصل إلى أي حل. هذا علماً أنه من السهل تتبع أثر حركات الرساميل، إذ إن جميع المعاملات بين المصارف توثقها هيئتان للمقاصة[١٢]. قد يكون من الجائز لنا، نظراً لأهمية التحديات المطروحة، الاعتقاد بإمكانية خرق السرية المصرفية وتحديد أسماء المستفيدين المحظوظين من اعتداء الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. لكن شيئاً من هذا لم يحدث[١٣].

وإذ كانت بحوزتها وسائل استقصاء لم يسبق لها مثيل، كان يتعين على الـ إف.بي.آي إزالة الغموض عن كل من تلك التناقضات التي أشرنا إليها سابقاً. كان عليه بالأولوية دراسة رسالة المهاجمين المبعوثة إلى الجهاز السري بغية الكشف عن هويتهم، عما حدث فعلاً في البنتاغون وملاحقة الممولين المضاربين المطلعين والعودة إلى مصدر رسائل الإنذار المبعوثة إلى شركة أوديجو تحذيراً لشاغلي مركز التجارة العالمي قبل ساعتين من وقوع الاعتداء.

والحال، فكما بينا للتو، عمد الـ إف.بي.آي باستبعاده إجراء تحقيق جزائي إلى إخفاء المؤشرات وكم أفواه الشهود. فقد أيد رواية الهجوم من الخارج وسعى لتأكيد صحتها بإعلانه عن لائحة مرتجلة بأسماء القراصنة وباختلاق مستندات باطلة (جواز سفر محمد عطا، التعليمات المعطاة للانتحاريين، إلخ).

كانت عملية التلاعب هذه من تدبير وتنسيق مدير الوكالة نفسه، روبرت مويلر الثالث. وهذا الرجل، الضروري، عيَّنه جورج دبليو بوش، وقد تولّى مهامه بالضبط في الأسبوع الذي سبق الحادي عشر من أيلول/سبتمبر.

فهل أن هذا التحقيق المزيّف أُعِدَّ لإجراء محاكمة عادلة، أم من أجل طمس المسؤوليات الأميركية وتبرير العمليات الحربية اللاحقة؟

هوامش الفصل الرابع

(١) اجتماع تعليمات وزير العدل جون أشكروفت بتاريخ ١٢/٩/٢٠٠١ (http://www.usdoj.gov/ag/speeches/2001/0913 pressconference.html).

(٢) مؤتمر صحفي شارك فيه وزير العدل جون اشكروفت ومدير الـ إف.بي.آي، روبرت مويلّر الثالث، بتاريخ ١٤/٩/٢٠٠١ (http://www.usdoj.gov/ag/agrcisisremarks9-14.html).

(٣) ذكرت عدة صحف أوروبية خطأً أنَّ الـ إف.بي.آي اكتشف هذا المستند في ردهات البنتاغون.

(٤) سلمان رشدي «مكافحة قوى الخفاء» واشنطن پوست، ٢/١٠/٢٠٠١ (http://www.washingtonpost.com).

(٥) اجتماع تعليمات لوزير العدل جون أشكروفت ومدير الـ إف.بي.آي روبرت مويلّر الثالث، بتاريخ ٢٨/٩/٢٠٠١ (http://www.usdoj.gov/ag/agcrisisremarks9-28.html).

(٦) ما يثير الاستغراب أن الصحافي المشهور بوب وودوارد تنبه لهذه العلّة، لكن لم يستنتج منها ما كان متوجباً. انظر مقالته في واشنطن پوست بتاريخ ٢٨/٩/٢٠٠١ (http://www.washingtonpost.com) «In Hijacker's Bags, a Call to Planning. Prayer and Death».

(٧) دوغلاس جيل، «وزير سعودي يصرح أن بن لادن أداة بيد القاعدة وليس زعيماً». واشنطن پوست ١٠/١٢/٢٠٠١ (http://www.washingtonpost.com).

(٨) هذه البيانات نشرتها وكالة أنباء الأسوشياتدپرس.

(٩) دون رادلاور، «الثلاثاء الأسود: أكبر مناورة احتيالية من الداخل في العالم؟» المعهد الدولي لسياسة مكافحة الإرهاب، إسرائيل ٩/٩/٢٠٠١ (http://www.ict.org.il/articles/articledet.cfm? articlied = 386).

(١٠) الموقع الرسمي للـ IOSCO (http://www.iosco.org/iosco.html).

(١١) كريستيان برتلسن وسكوت وينوكور، «الأرباح المشبوهة غير المحصلة، المستثمرون في شركات الطيران يصرحون بأرباح مخفضة تلاعباً»، سان فرانسيسكو كرونيكل، ٢٩/٩/٢٠٠١ (http://www.sfagate.com).

(١٢) دني روبير وارنست باكس، إفشاءات (باريس، Les Arènes éd.، ٢٠٠١) (http://www.arenes.fr/livres/page/livrel/php? numero-livre-4&num-page = 1).

(١٣) لم تهتم الـ إف.بي.آي كذلك بأصحاب عناوين لمواقع انترنت احتياطية: حسب شركة تسجيل (VeriSign) ، ثمة عامل غير محدد الهوية قد ابتاع لمدة سنة، في العام ٢٠٠٠، سبعة عشر اسماً لمواقع انترنت تنتهي صلاحيتها في ١٤/٩/٢٠٠١ ولم يتم استخدامها قط. يتعلق الأمر بـ: attackamerica.com, attackonameirca.com, attackontwintowers.com, august 11 horror.com august 11 terror.com, horrorinamerica.com, horrorinnewyork.com, nycterroriststrike.com, pearlharborinmanhattan.com, terrorattack 2001.com, towerofhorror.com, tradetower-strike.com, worldradecenter 929.com, worldtradecenterbombs,com. worldtradetowerat-tack.com, worldtradetowerstrike.com, wterroristattack2001.com. Voir *Internet Domain Names May Have Warned of Attacks, et Investigators Can Access Internet Domain Data* par Jeff Johnson, in CNS- News.Com des 19 et 20 septembre 2001 .

القسم الثاني

موت الديمقراطية في أميركا

الفصل الخامس

نقمة أم نعمة؟

وجه الرئيس جورج دبليو بوش إلى الأمة، مساء الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، رسالة متلفزة ذات نبرة (صوفية) إيمانية[1]: «(. . .) أتُّخذت أميركا هدفاً لأنها منارة الحرية والتقدم الأكثر بريقاً في العالم. ولا أحد سيمنع هذا الضوء من أن يسطع. اليوم تعرض بلدنا للشر، ذلك أن الشر متأصلٌ في الطبيعة البشرية. واتسمت ردة فعلنا بأفضل ما في أميركا، وهو جسارة رجال الإنقاذ لدينا، وتقديم العون للآخر، وإسراع الجيران ليمنحوا دمهم ويساعدوا بشتى الطرق (. . .) إن البحوث جارية للعثور على من يقف وراء هذه الأعمال الشنيعة. لقد أعطيت الأمر لتعبئة كل طاقاتنا في الاستخبارات والشرطة من أجل العثور على المرتكبين واقتيادهم للعدالة. سوف لن نميِّز بين الإرهابيين الذين اقترفوا هذه الأعمال ومن يحميهم (. . .) إنني أطلب منكم أن تصلُّوا هذه الليلة لأجل الذين يعانون الألم، ولأجل الأطفال الذين تحطَّم عالمهم، ولأجل جميع الذين تعرضت سلامتهم للخطر. وإنني أصلِّي لتشتد عزائمهم بالقوة الأعلى، التي تم الحديث عنها على مر العصور والواردة في المزمور الثالث والعشرين: «عندما أسير في وادي ظل الموت، لا أخاف أيَّ سوء، لأنك معي». إنه يوم يتوحد فيه جميع الأميركيين - ولا يهم من أين أتوا - ليشاركونا العزم في البحث عن العدالة والسلام. لقد واجهت أميركا الأعداء في الماضي وسوف تبقى

كذلك. لن ينسى أحد منا هذا اليوم. ومع ذلك، سوف نستمر في الدفاع عن الحرية وكل ما هو خيِّرٌ وعادلٌ في هذا العالم. أشكركم وأتمنى لكم ليلة طيبة، ليبارك الرب أميركا».

وفي اللحظة التي لم تكن فيها مسؤولية أسامة بن لادن معتبرة رسمياً كواحدة من الفرضيات، كانت تتم وسط إدارته (إدارة بوش) المناداة بخيارين متناقضين. فالمعتدلون المتجمعون حول وزير الخارجية الجنرال كولن پاول، ورئيس هيئة الأركان العامة، الجنرال هيوغ شِلتون، كانوا ينصحون برد انتقامي مناسب، على غرار الرد الذي أمر به بيل كلينتون، في العام ١٩٩٨. ففي ذلك العام جرى إطلاق صواريخ من طراز توماهوك، من غواصات جوالة في بحر عُمان، على معسكرات تدريب تابعة للقاعدة (في أفغانستان) وعلى مختبر الشفاء[٢] (في السودان) وذلك كرد انتقامي على الاعتداءات في كل من دار السلام ونيروبي. وعلى العكس من ذلك، فإن «الصقور» يشيرون إلى أن تلك الضربات كانت من دون تأثير، لأن القاعدة عادت لتستأنف اعتداءاتها وأن تدخلاً عسكرياً على أرض أفغانستان، سيسمح باستئصال قواعد أسامة بن لادن. ولكن الحملة يجب أن لا تتوقف هنا، بل عليها أن تستمر لتقضي على جميع التهديدات الأخرى المحتملة، أي جميع المنظمات والدول القابلة أن تصبح مصادر لأي تهديدات، كما هي حال القاعدة.

نشر هنري كيسنجر[٣] العجوز، وزير الخارجية الأميركية السابق، والمشرف على جميع العمليات السرية التي نفذتها الأجهزة السرية الأميركية من العام ١٩٦٩ حتى العام ١٩٧٦، والرمز الأول الذي يستوحي منه «الصقور» ـ وكانت المقابلة المتلفزة التي أجراها الرئيس قد انتهت[٤] بالكاد ـ نشر على موقع الإنترنت العائد لصحيفة واشنطن پوست، وجهة نظره واضعاً النقاط على الحروف:

«يتوجب على الحكومة أن تسهم في مهمة التوصل إلى رد منهجي يؤدي، كما نأمل، إلى النتيجة ذاتها التي تلت الهجوم على بيرل هاربور ـ تدمير النسق

المسؤول عن هذا الهجوم. هذا النسق هو شبكة من المنظمات الإرهابية التي تلتجىء إلى عواصم بعض البلدان. وفي العديد من الحالات، لا تعاقب هذه البلدان على عملية إيوائها لهذه المنظمات؛ وفي الحالات المتبقية نقيم علاقات تكاد تكون طبيعية مع هذه البلدان (. . .) وما زلنا لا نعرف إن كان أسامة بن لادن هو مدبر هذه العمليات، رغم أنها تحمل سمات عملية من صنع ابن لادن. وليس هناك أقل من أن كل حكومة تؤوي المجموعات القادرة على اقتراف هذا النوع من الاعتداءات، حتى لو كانت هذه المجموعات غير مساهمة في اعتداءات اليوم، كل حكومة يجب أن تدفع ثمناً باهظاً لهذا الأمر. علينا أن نُعِدَّ ردنا بشكل متعقل وبلا رحمة».

* * *

فيما كان الرأي العام الأميركي ما يزال تحت تأثير الصدمة ويبكي ضحاياه، سيطرت في الإدارة الأميركية وفي دوائر العالم أجمع ـ يومي ١٢ و١٢ أيلول/سپتمبر ـ أسئلة ثلاث: هل سيشير جورج دبليو بوش إلى أن القاعدة هي المسؤولة عن الاعتداءات؟ ما نوع العمليات التي سيأمر بالقيام بها في أفغانستان؟ وهل سيورط بلده في حرب طويلة الأمد مع جميع أعدائه الفعليين والمزعومين؟

ضاعف رسميون أميركيون من تصريحاتهم لوسائل الإعلام مشيرين إلى أن أسامة بن لادن ومنظمته، القاعدة، هما اللذان أمرا ونفذا الاعتداءات. وقدم مدير الـ سي.آي.إي، جورج تينت، للرئيس بوش مجموعة من التقارير حول الاتصالات التي أجرتها القاعدة يوم ١١ أيلول/سپتمبر وتم التنصت عليها[٥]. لقد جرى التخطيط للاعتداءات قبل سنتين، وهي ليست سوى بداية لسلسلة طويلة، وبدا أن مقر الحكومة والبيت الأبيض هما من ضمن الأهداف. وقد اعتقد موجهو القاعدة، خطأً، أنهم أصابوا عدة أهداف. وهكذا فإنهم قدموا «الشكر لله على الانفجارات التي حصلت في مقر الحكومة» وامتدحوا «تدمير البيت الأبيض»، واحتفلوا بـ«خطة الدكتور» (أي الدكتور أيمن الظواهري، الذراع الأيمن لأسامة بن لادن). كان من المفترض أن تنفذ العملية على يد «أبو زبيدة» الذي سبق اتهامه بأنه

منظم الهجوم على المدمرة يو إس إس كول (USS Cole) في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠، الأمر الذي كان يعتبر إشارة إلى «ساعة الصفر».

ويتوجه الرئيس بوش آنذاك إلى الصحافة قائلاً(٦):

«عقدت للتو اجتماعاً مع مستشاريَّ لشؤون الأمن القومي، وقد قدمت لنا خلاله أجهزة استخباراتنا آخر الإيضاحات.

إن الهجمات القاتلة والمتعمدة والمقترفة بحق بلدنا بالأمس، لم تكن سوى أعمال رعب. لقد كانت أعمالاً حربية. وفي المحصلة، سوف يتوجب على بلدنا أن يتوحد في تصميم وعزم لا تشوبهما أية شائبة. إن الحرية والديمقراطية قد تعرضتا للاعتداء.

على الشعب الأميركي أن يعرف بأن العدو الذي نواجهه لا يشبه أي عدو من أعداء الماضي. إنه عدو يقبع في الظل، ولا يكنّ أي احترام للحياة الإنسانية. إنه عدو يجعل فريسته من الناس الأبرياء والآمنين، ومن ثم يركض ليختبىء. لكنه لن يستطيع الركض بلا نهاية. إنه عدو يحاول أن يختبىء، لكنه لن يتمكن من الاختباء إلى الأبد. إنه عدو يعتقد أن مخابئه آمنة، لكنها لن تبقى كذلك إلى الأزل.

إن هذا العدو لم يعتدِ على شعبنا فحسب، لكنه اعتدى على جميع الشعوب المحبة للحرية، في العالم أجمع. ولسوف تستخدم الولايات المتحدة جميع الوسائل المتاحة بين يديها، لتقهر هذا العدو. ولسوف نعيد توحيد العالم من جديد. سنكون صبورين. وسنبقى موحَّدين حول هدفنا وثابتين في عزمنا.

سيتطلب هذا الصراع الوقت والتصميم. ولكن لا ينخدعنَّ أحد فيه: سوف نفوز في نهايته (...) ولكننا لن نسمح لهذا العدو بكسب الحرب مغيِّراً نمط حياتنا ومقلِّصاً حرياتنا. عرضت على الكونغرس، هذا الصباح، طلباً بالغ الإلحاح يهدف إلى منحنا كل الوسائل الضرورية لنجدة الضحايا، ومساعدة مواطني نيويورك وواشنطن للنهوض من هذه المأساة، ولحماية أمننا القومي.

أود أن أشكر أعضاء الكونغرس على وحدتهم ودعمهم. أميركا متحدة. إن أمم العالم المتعطشة للحرية تقف إلى جانبنا. إن الصراع بين الخير والشر سيكون طاحناً، لكن الخير سينتصر».

باستثناء مكتب الخارجية البريطانية الذي ضاعف التصريحات الحربية، فإن سلطات العالم أجمع ترقبت بقلق ردات فعل الرئيس بوش. لقد بلغها بسرعة أن المخابرات الألمانية والمصرية والفرنسية والإسرائيلية وكذلك الروسية كانت قد أنذرت، دون جدوى، مثيلاتها الأميركية بما يُعد له، لكن الـ سي. آي. إي كانت قد قلَّلت من أهمية التهديد. وتساءلت أيضاً عن مصداقية التقارير التي باتت مطوَّلة، فجأةً، والعائدة للـ سي. آي. إي والتقدم، البالغ السرعة، الذي أحرزه تحقيق الـ إف. بي. آي. كانت تخشى أن لا يحدِّد الرئيس بوش على عجل، ليطمئن الرأي العام الداخلي، العدو المناسب ويورط بلده في رد عسكري انتقامي مباشر وعديم التناسق.

أصدر مجلس أمن الأمم المتحدة، في اليوم نفسه، القرار رقم ١٣٦٨(٧)، الذي يقر بـ: «حق الولايات المتحدة الطبيعي في الدفاع الشرعي الفردي أو الجماعي بما يتفق مع ميثاق [سان فرانسيسكو]». يشترط (أي القرار المشار إليه) «أن على مجلس الأمن دعوة جميع الدول للعمل معاً لجر المدبرين، والمنظمين والآمرين بتنفيذ تلك الاعتداءات الإرهابية، كما يشير إلى أن على الذين يحملون مسؤولية مساعدة ودعم وإيواء المدبرين، والمنظمين والآمرين بتلك الأعمال، عليهم أن يُقدَّموا للحساب». وبكلام آخر، أقر مجلس الأمن بحق الولايات المتحدة الأميركية بانتهاك سيادة الدول ـ عند الضرورة ـ التي تحمي مدبري الاعتداءات وذلك لتوقف هؤلاء الإرهابيين وتقتادهم أمام العدالة الدولية. لكنه (القرار)، من ناحية أخرى، لا يخوِّل الولايات المتحدة أن تتولى تنفيذ العدالة بنفسها أو تهاجم الدول وتقلب حكوماتها.

وفي المساء، يعقد مجلس حلف الأطلسي اجتماعاً سرياً، حيث قررت الدول الأعضاء تقديم المساعدة للولايات المتحدة ـ بدل توريط قواتها ـ

لمواجهة الهجوم الذي كانت (أي الولايات المتحدة) هدفه. كان المجلس متوتراً بشكل غير اعتيادي. يعتقد بعض الأعضاء أن الهجمات يمكن أن تكون قد تمت بأوامر من الداخل ومن جهاز الدولة الأميركية، ويرفضون التورط في «حرب مع الإرهاب» ذات أهداف وحدود تم تعيينها بشكل سيّء.

ولدى انتهاء الاجتماع، صرح أمين عام الحلف الأطلسي اللورد جورج روبرتسون بما يلي: «إذا كان من الثابت أن هذا الاعتداء الذي حصل على الولايات المتحدة قد تم توجيهه من الخارج [كذا]، فإنه سيكون شبيهاً بعمل يندرج في إطار البند الخامس من معاهدة واشنطن»[٨]. أما الرئيس الفرنسي جاك شيراك، القلق من سير الأحداث، فقد اتصل هاتفياً بجورج دبليو بوش مذكراً إياه بأن فرنسا قد برهنت على الدوام أنها الحليف الأكثر إخلاصاً للولايات المتحدة، إن لم تكن الأكثر طواعية، وقد شرح له بتهذيب أن قرار مجلس الأطلسي ليس شيكاً على بياض وإذعاناً أعمى للسياسة الأميركية.

وبعد مرور بضعة أيام، سافر جاك شيراك إلى الولايات المتحدة، وبناءً على موعد سابق، لزيارة مرتقبة منذ أمد بعيد. ومن جهة، أكثر من التصريحات المعبرة عن تضامن حار مع الشعب الأميركي، ومن جهة أخرى، نظم مؤتمراً صحافياً مشتركاً مع الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي أنان، ليهدىء روع الولايات المتحدة. وقد صرح دون مواربة بما يلي: «على الرد الأميركي الانتقامي أن يوجَّه إلى الإرهابيين الذين تم التحقق من هويتهم، ومن المحتمل، ضد البلدان أو المجموعات الذين نملك دليلاً على أنهم قدموا مساعدة لهذه المجموعات الإرهابية المعروفة الهوية»[٩].

بدا وكأن خوف السلطات قد أكده حادث وقع أثناء المؤتمر الصحافي المشترك[١٠] بين وزير العدل، جون أشكروفت، ومدير الـ إف.بي.آي، روبرت مويلّر III. كان قائد الشرطة يُوضح للصحافيين ضرورة عدم التسرع في التحقيق بغية جمع الأدلة الضرورية لإدانة المشتبه بهم، فإذا بوزير العدل يقاطعه بقسوة ويشير إلى أن الوقت يداهم وأن مهمة الـ إف.بي.آي هي توقيف

المتواطئين مع الإرهابيين، وبالسرعة القصوى، وذلك قبل أن يقترفوا جرائم أخرى. ولتذهب الدلائل إلى الجحيم!

تصاعدت النبرة في الثالث عشر من أيلول/سبتمبر. إذ تم إخلاء البيت الأبيض جزئياً في الصباح، على أثر إنذار مضاد للإرهابيين - يتحول ذلك إلى عادة - وتم نقل نائب الرئيس، تشيني، إلى مكان بعيد وآمن. إنذار كاذب وهلع جماعي حقيقي. بعد الظهر، كان الذي عرض ما يريد البنتاغون الإدلاء به للصحافة هو نائب وزير الدفاع، بول ولفوويتس[١١]. وولفوويتس هذا، هو الناطق المفوض من جماعة المحافظين الأكثر تطرفاً داخل اللوبي العسكري - الصناعي. إنه يكافح منذ سنوات من أجل «إنهاء العمل القذر» في العراق، ويرى في أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، مسوِّغاً ملائماً لقلب - نظام صدام حسين المبتغى. لم يذكر أي هدف خلال البيان الذي قدمه للصحافة. غير أنه يشير إلى أن الرد الانتقامي الأميركي سيكون «حملة، وليس عملية محدودة». ويتابع: «سوف نطارد هؤلاء الأشخاص [الإرهابيين] وأولئك الذين يدعمونهم إلى أن يتوقف ذلك. علينا العمل وفق هذا النهج».

أما وزير الخارجية، كولن پاول، وظناً منه أنه ينتزع من «الصقور» حقاً هو الأولى به، فيُبرز ابن لادن على أنه «المشبوه الرئيسي» ويُعِدُّ بأقصى سرعة لتدخل - يتمنّاه محدداً - في أفغانستان. ويوجِّه لباكستان ما يشبه الإنذار لإلزامها على أن تضع البنى التحتية العسكرية التي تملكها في تصرف الولايات المتحدة، وتقطع مباشرة كل علاقة سياسية واقتصادية تقيمها مع نظام طالبان[١٢].

* * *

في الحقيقة، وكما سنرى، إن المشادّة التي تهز واشنطن ليست بجديدة. إن الخيارين (إمّا ضربات موجهة لأفغانستان، وإمّا حرب شاملة على الإرهاب) كان قد جرى بحثهما والإعداد لهما قبل حصول الاعتداءات. ومبررات ذلك

ليس لها أي رابط مع أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، حتى وإن كانت هذه الأحداث تعطي حجة للانتقال إلى مرحلة التنفيذ. منذ ذلك الوقت، يلخص النزاع في معرفة ما إذا كان يمكن للرأي العام أن يتقبل فقط الضربات المحددة الأهداف، أم أنه مصدوم بما يكفي لكي يوافق على حرب طويلة الأمد. غير أن الصدمة النفسية ـ وكما اتضحت لاحقاً ـ كانت بالغة بحيث أن المخططين الاستراتيجيين في واشنطن لن يكون لديهم القدرة على الاختيار، وسوف يكون باستطاعتهم وضع الخيارين معاً قيد التنفيذ.

في منتصف تموز/يوليو ٢٠٠١، لجأت البعثة الأميركية التي ضمت طوم سيمونز (سفير سابق في الباكستان) وكارل اندرفورت (مساعد سابق لوزير الخارجية) ولي كولدرن (خبير سابق في وزارة الخارجية) بعد أن تأكد لها فشل المفاوضات المتعددة الأطراف حول مستقبل أفغانستان، لجأت إلى التحديد. وحسب ما أورده سفير باكستان السابق في باريس، نيازنايك، والذي شارك في تلك المفاوضات، فإن الأميركيين أعلنوا أنهم سيحتلون أفغانستان في منتصف تشرين الأول/أوكتوبر وأنهم سوف يقلبون نظام طالبان[١٣].

في بداية أيول/سبتمبر، وتحت غطاء المناورات السنوية في بحر عمان، المسماة «الحصاد الأساسي»، عمدت المملكة المتحدة إلى القيام بأكبر انتشار لأسطولها بعد حرب جزر المالوين وحشدت قواتها مقابل السواحل الباكستانية، في حين نقل حلف الأطلسي، بمناسبة مناورات «النجم الساطع» التي أجراها في مصر، أربعين ألف جندي إلى منطقة النزاع. وهكذا، فإن القوات الأنكلو ـ أميركية كانت قد اتخذت مواقعها في المنطقة. قبل الاعتداءات.

أما عن «الحرب على الإرهاب» فإن هيئة الأركان العامة الأميركية كانت قد أعدت لها مطوّلاً من خلال إجرائها لمرتين على التوالي، ما تسميه (War Games): القتال الشامل JEFX999 IV [١٤]. وضبطت الإجراءات التكتيكية أثناء ما جرى مؤخراً ضمن هذا الإطار في جزيران/يونيو ٢٠٠٠. لكن المناورة الصورية المبرمجة أصلاً لشهر حزيران/يونيو ٢٠٠١ كان قد تم إلغاؤها. وهو

الأمر الذي تم تفسيره من قبل الضباط المعنيين على أنه علامة انتقال إلى العملية الوشيكة الوقوع.

كان الأميركيون «ينفرون» على الدوام من المبادرة إلى الحرب. وكانوا يدأبون على إظهار تدخلهم في القتال وكأنه رد انتقامي شرعي. أما عمليات الحادي عشر من أيلول، فقد وجدوا فيها فرصة لطالما حلموا بها.

(١) *Statement by the President in His Adress to the Nation*, 11 sept.2001, (http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/09/20010911-16html).

(٢) حسب الرواية الرسمية السودانية (مصنع للأدوية) ـ المترجم.

(٣) **جرائم السيد كيسنجر**، بقلم كريستوفر ميتشنن، *Les Crimes de Monsieur Kissinger* par Christopher Hitchens (Saint-Simon éd.2001).

(٤) بدأت مداخلة الرئيس بوش عند الساعة الثامنة والنصف مساء ووضعت وجهة نظر الدكتور كيسنجر على الخط منذ الساعة التاسعة وأربع دقائق مساءً «دمروا الشبكة» بقلم هنري كيسنجر، **واشنطن پوست**، ١١ أيلول/ سبتمبر (http://www.washingtonpost.com).

(٥) «يوم الأربعاء ١٢ أيلول/ سبتمبر» بقلم بوب رودوارد ودان بالز، **واشنطن پوست** بتاريخ ٢٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢ (http://www.washingtonpost.com).

(٦) *Remarks by the President in Photo Opportunity with the National Security Team*, 12 septembre 2001: (http://www.whitehouse.gov/news/release/2001/09/20010912-4.html).

(٧) القرار ١٣٦٨ الصادر عن مجلس الأمن، الأمم المتحدة ١٢/٩/٢٠٠١ (http://www.un.org/french/docs/sc/2001/res1378f.pdf).

(٨) أكد حلف شمال الأطلسي ثانية على تعهداته المتخذة بموجب المعاهدة في معرض رد الفعل على الاعتداءات الإرهابية ضد الولايات المتحدة، مكتب إعلام حلف شمال الأطلسي، ١٢/٩/٢٠٠١ (http://www.nato.int/docu/update/2001/0910/fo912 a.htm).

(٩) الوثيقة (http://www.un.org/News/fr press/docs/2001/SGSM 7964.doc.htm).

(١٠) عقد في مقر الـ إف. بي. آي بتاريخ ١٢/٩/٢٠٠١، عند الساعة التاسعة والنصف صباحاً.

(١١) *DOD News Briefing*, 13 septembre 2001: http: defenselink .mil/news/Sep 2001/t09132001-t0913dsd.html.

(١٢) روبين رايت وجون دانيزيفسكي، «الولايات المتحدة تطلب مساعدة الباكستان للقبض على أسامة بن لادن»، لوس أنجلس تايمز، ١٤/٩/٢٠٠١ (http://www.latimes.com).

(١٣) «الولايات المتحدة، تخطط لضرب طالبان» بي. بي. سي، ١٨/٩/٢٠٠١ و«مذكرة سرية تكشف خطة الولايات المتحدة لقلب نظام طالبان» ذي غارديان، ٢١/٩/٢٠٠١.

(١٤) المقصود هو المناورات الصورية التي تتم من خلال استخدام مجموعة من الأجهزة الالكترونية أجهزة الكومبيوتر، وشبكات الاتصال... الخ). *A New Mindset for Warfare* par William M. Arkin in *Wahington Post* du 22 septembre 2001 http://www.washingtonpost.com.

الفصل السادس

من التأبين إلى الحرب المقدسة

بما أن من النادر أن نخوض الحرب دون أن نضع الله إلى جانبنا، فإن الذين يجتاحون منصات التلفزة، أكثر من الاستراتيجيين العسكريين، هم الواعظون. والجميع يفسرون الاعتداءات على أنها إشارة ربانية تدعو أميركا إلى الهداية. وكتب المحترم پات روبرتسون، زعيم التحالف المسيحي المتنفذ جداً: «الله القادر على كل شيء قد تخلى عن حمايتنا». ويضيف: «ذلك أننا استغرقنا في البحث عن الملذات المادية والجنس».

وفي برنامجه التلفزيوني المخصص للهداية (النادي ٧٠٠، على القناة فوكس)، يستقبل القس پات روبرتسون صديقه القس جيري فولويل. ويفسر الانجيليّان (وهما اثنان من أولئك الواعظين الذين تكثر إطلالاتهم الواعظة على شاشات التلفزة هذه الأيام) الأحداث التي أغرقت للتَو أميركا في الحداد[1].

يصرح فولويل «الله يستمر في رفع الغطاء ويتيح لأعداء أميركا أن يعاقبونا عقاباً، ربما كنا نستحقه».

فيجيبه روبرتسون: «جيري، هذا ما أعتقده». ويتابع: «أعتقد أننا لم نكتشف سوى مدخل الرعب. حتى إننا لم ندرك بعد ما يمكن لهم أن يفعلوه بغالبية السكان».

عندئذ يهاجم فولويل الـ ACLU [منظمة الدفاع عن الحريات الفردية] لدى

المحاكم الفدرالية، وجميع الذين «يطردون الرب من فلك الحياة العامة». «يتوجب على المطالبين بحق الإجهاض أن ينالوا حصتهم من الضريبة الفادحة، لأنه لا يمكن لنا أن نهزأ بالله». ثم يضيف: «عندما نُبيد أربعين مليوناً من الأطفال الأبرياء ونثير غضب الرب. إنني مقتنع بأن الملحدين وممارسي الإجهاض، والماطلبين بتحرر المرأة، واللواطيين والسحاقيات الذين يجهدون أنفسهم ليجعلوا من ذلك (أي من ممارساتهم) نمط حياة بديل، وأن منظمة الدفاع عن الحريات الفردية (ACLU) و«أنصار الطريقة الأميركية»، وجميع أولئك الذين حاولوا علمنة أميركا إنني أشير إليهم بالإصبع وأقول: «لقد سمحتم لذلك كلّه أن يحدث».

ضمن هذا السياق ـ حيث أن الخطابة الدينية تخدم المصالح السياسية والعسكرية ـ نجد الرئيس بوش، طارحاً نفسه كأب روحي لأميركا والعالم المتمدن، يُصْدِرُ المرسوم التالي[٢]: «قلبنا مضطرب ـ جرّاء الإزهاق الفجائي والأحمق لتلك الأرواح البريئة، نحن نصلي من أجل شفائنا، ولكي نجد القدرة على أن نتبادل المساعدة، ويشجع بعضنا البعض الآخر في نطاق الأمل والإيمان. لقد ورد في الكتاب المقدس: «طوبى للحزانى فإنهم يعزون» أدعو كلّ عائلات أميركا والعائلة الأميركية لتشهد يوماً وطنياً تقام فيه الصلاة وتُجرى المراسم إحياءً وتكريماً لذكرى الآلاف الذين سقطوا ضحية تلك الاعتداءات البربرية، ونقوّي من عزيمة الذين فقدوا الأعزاء، سوف نتجاوز هذه الفاجعة الوطنية وتلك الخسائر البشرية. ومع الوقت، سنجعل جراحنا تلتئم، وسوف ننهض. وفي وجه كل هذا الشر سنكون أقوياء ومتحدين، «أمةً يرعاها الرب».

ولأجل هذا أعلن: أنا الموقع اسمي أدناه جورج دبليو بوش، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، وبموجب السلطة التي يمنحني إياها الدستور وقانون الولايات المتحدة، أعلن يوم الجمعة الواقع فيه ١٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، يوماً وطنياً للصلاة وإحياء الذكرى من أجل ضحايا اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية. ولجعل هذا اليوم المنذور للصلاة

وإحياء الذكرى، مميزاً وذا طابع خاص، أطلب من شعب الولايات المتحدة إقامة القداديس التأبينية وقرع الأجراس، ظُهراً، وأدعو إلى سهرات صلاةٍ على ضوء الشموع، عند المساء. أطلب من أرباب العمل السماح لمستخدميهم بأخذ عطلة خلال ساعة الغداء ليحضروا القداديس التي ستقام ظهراً، وأدعو شعوب العالم التي تشاركنا الألم للانضمام إلى هذه المراسم.

وبناءً عليه، أضع توقيعي في هذا اليوم الثالث عشر من أيلول/سبتمبر، العام رقم ألفين وواحد من أعوام سيدنا المسيح، العام رقم ٢٢٦ الذي يأتي بعد استقلال الولايات المتحدة الأميركية»[٣].

وجرى تنظيم قداس لا مثيل له في الكاتدرائية الوطنية وصلى فيها الرئيس بوش وعقيلته، وأربعة رؤساء سابقين (بيل كلينتون، جورج بوش الأب، جيمي كارتر، وجيرالد فورد)، وجميع الشيوخ والنواب تقريباً. وترأس كاردينال وحاخام وإمام (شيخ)، بدورهم، هذه الصلاة. وكان إنجليي التلفزة الأكثر شهرة في العالم، القس بيلي غراهام، الذي قام بهداية جورج دبليو بوش نفسه قبل خمس عشرة سنة خلت، قد ألقى عظته التي قال فيها[٤]: «واحدة من الأشياء التي نحتاجها حتماً في هذا البلد، هي نهضة روحية. نحتاج إلى نهضة روحية في أميركا. لقد قال الرب للناس، على امتداد القرون، ينبغي أن نتوب عن خطايانا، نتضرع إليه، فيباركنا بطريقة جديدة (...) الآن أمامنا الخيار التالي: إمّا أن نتفكّك ونتفتّت من ناحية انفعالاتنا، وروحياً، كشعبٍ وكأمة، وإمّا أن نصبح من خلال هذه المحن أقوى وأشد، فنبني من جديد على أسس راسخة. وأعتقد أنّنا بصدد البدء بإعادة البناء على أسس من هذا النوع. هذه الأسس هي إيماننا بالرب (...). نحن نعرف أيضاً أنّ الربَّ سوف يمنح الحكمة والشجاعة والقوة للرئيس وهؤلاء الذين به يحيطون. كما أننا سوف نستذكر هذا اليوم كيوم انتصار».

وصعد الرئيس بوش إلى المنبر وقدّم بدوره عظة[٥] كان مستشاره، التوراتي الأصولي مايكل جرسون، قد أعدّها له: «(...) إن مسؤوليتنا تجاه

التاريخ جلية: علينا أن نرد على هذه الاعتداءات، ونحرِّر العالم من الشر. لقد حاربونا بالحيلة والخداع والقتل. أمّتنا مسالمة، ولكن، عندما يتم إغضابها، تصبح ضارية (...) إشارات الرب ليست دائماً تلك التي نبحث عنها. وفي الفاجعة، نتعلم أنّ هدفه ليس دائماً هدفنا. ومع ذلك، فإن الصلوات والمعاناة، سواء في منازلنا أو في هذه الكاتدرائية الكبرى، كلُّها مسموعة ومفهومة. هناك صلوات تساعدنا على الصمود طيلة النهار أو على تحمل الليل. وهناك أيضاً صلوات الأصدقاء والغرباء التي تمنحنا القدرة على الاستمرار، وأخيراً، هناك صلوات تُخضِع إرادتنا لإرادة أقوى منها (...) أميركا هي أمة مباركة بالثروة الطائلة، طافحة بأعمال البرّ؛ لكن الألم لم يوفرنا. ففي كل جيل، أنجب العالم أعداءً للحرية الإنسانية. وقد هاجم هؤلاء بلدنا لأنه يمثل الدفاع عن الحرية وروحها. إن التعهد الذي قطعه على أنفسهم أسلافنا قد أصبح نداء الزمن الحاضر. وفي هذا اليوم الوطني المكرس للصلاة والتكريم، نطلب من الرب العلي القدير أن يرعى بلدنا ويبعث فينا العزيمة والصبر على كل ما قد يأتي. نحن نصلي لكي يواسي ويسدِّد من عزيمة الناس الغارقين في الألم. إننا نشكره على كل عزيز فقدناه ينبغي أن نبكي لأجل خسارته، وعلى كل وعد بحياة متجددة. لقد تلقينا منه هذه الضمانة: لا الموت، ولا الحياة، ولا الملائكة، ولا طغمة الملائكة الثالثة، ولا سلطات هذا العالم، ولا الأشياء الموجودة أو التي سوف توجد، ولا الارتفاعات أو الأعماق تستطيع أن تفصلنا عن حب الرب. فليبارك الأرواح التي زهقت، وليكن التعزية لروحنا وليهدي بلدنا إلى الأبد. ليبارك الرب أميركا!».

وستفسر صحيفة **واشنطن بوست** ـ لاحقاً ـ تحول جورج دبليو بوش، قائلة: «منذ تحول مذهب المحافظة الديني إلى حركة سياسية، يتولى رئيس الولايات المتحدة، لأول مرة، زعامتها فعلاً ـ وهي زعامة لم يحظ بها قط رونالد ريغان نفسه، رغم ما أحاط به المحافظون الدينيون من رعاية. فقد أظهرت المجلات المسيحية والإذاعات والتلفزيونات الرئيس بوش وهو يصلّي

بينما كان الخطباء الوعاظ يصفون زعامته بأنها نعمة من عند الرب. وقد شهد موكب من القادة الروحيين ممن التقوه على إيمانه، وشجعت بعض مواقع «الويب» الناس على الصوم والصلاة من أجل الرئيس»[6].

في الرابع عشر من أيلول/سبتمبر ظُهراً، التزمت الدول الثلاثة والأربعون المنتمية إلى المجلس الأوروبي[7] (من ضمنها روسيا) وعدة بلدان أخرى من جميع القارات، بالوقوف ثلاثة دقائق صمت تحية لذكرى ضحايا الاعتداءات، وفقاً لما دعا إليه رئيس الولايات المتحدة. وبذلك يكون الجميع قد عبروا عن قبولهم الضمني بزعامة أصولي ملهم يعلن لهم عزمه على تولي قيادتهم في «معركة هائلة ضد الشر»[8]. فهل يكون جنون إنجيليي التلفزة، الصوفي ـ السياسي، معدياً؟ لا يمكن تفسير هذا الاندفاع الورع، لا بالصدمة النفسية ولا بالاحترام الذي نكنه للأموات. لئن كانت الولايات المتحدة في الأصل تيواقراطية أسسها عدد من الطهريين الفارّين من تعصب التاج البريطاني، فهذا لا يعني أن تصبح أمة متزمتة، يحل فيها إنجيليو التلفزة محل الاستراتيجيين العسكريين. فلا وجود، على كل حال، لأي سابقة تاريخية تلا فيها رئيس أميركي إعلان الحرب من داخل كاتدرائية.

إن دعوة جورج دبليو بوش «شعوب العالم التي تشاركنا الألم للانضمام إلى هذه الوقفات الرسمية» [في المراسم الدينية]». قد تم التقيد بها حتى من قبل فرنسا العلمانية. وبالتالي فقد وقَّع رئيسا السلطة التنفيذية فيها، الرئيس جاك شيراك ورئيس الحكومة ليونيل جوسپان، في الثاني عشر من أيلول/سبتمبر، مرسوماً يتضمن ما يلي: «يُعلن يوم الجمعة الواقع فيه ١٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، يوم حداد وطني على أرواح ضحايا الاعتداءات على الولايات المتحدة التي وقعت في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١»[9]. وحضرا عشية ذلك اليوم قداساً مسكونياً أقيم في الكنيسة الأميركية في باريس، يصطحبهما لفيف من النواب والوزراء، ورتّلوا جميعاً النشيد الشهير: «ليبارك الرب أميركا!»[10].

لقد أثارت هذه الصلوات المفروضة بالمرسوم سجالات محتدمة هنا

وهناك. وقد بيّن عدد من المعارضين أن هذه التعبئة العالمية، كان هدفها ترسيخ فكرة أن قيمة آلاف الضحايا الأميركيين تفوق قيمة ضحايا عمليات الإبادة البشرية الأخيرة، التي لم تحظ أي منها باحترام مماثل. دعونا نعتبر هذا الجدال بمثابة رفض للتلاعب السياسي بالشعور الديني. إن الوقوف ثلاث دقائق صمت، عسى أن ندرك فيها إمكان حل النزاعات حلاً سلمياً دون اللجوء إلى الإرهاب، هو الذي حظي بموافقة الجميع، وليست الصلاة عن أرواح ضحايا الإرهاب التي سقطت على ارض الأميركية. لم يكن هدف هذه التظاهرات التعبير عن التوق الجمعي إلى السلام، إنما كان ذلك لتبرير الانتقام القادم.

لقد شكلت لحظة الصلاة هذه نقطة تحول تاريخي. كتبت واشنطن بوست[١١] تقول، بُعيد ذلك، إن الولايات المتحدة دخلت الحرب حينما دوى النشيد الوطني في أجواء الكاتدرائية. تلك هي ملاحظة يمكن توسيعها والقول بأن العالم قد دخل الحرب باشتراكه في الجنازة الأميركية.

إذن، دعونا نتساءل كيف تم تنظيم هذا الإجماع الجنائزي. خلافاً لما يحصل في حشد التحالفات العسكرية، لا تنص أي من المعاهدات الدولية على وجوب الاستغراق في التأمل حينما تغرق الولايات المتحدة في الحداد. إلا أن أمر إعلان حداد دولي كان أسهل وأسرع مما يتطلبه أمر تطبيق معاهدات كل من حلف شمال الأطلسي وحلف الـ ANZUS وحلف الـ OEA [١٢]. إذا أمعنا النظر في الأمر نلاحظ أن المرسوم الفرنسي قد وقعه كل من جاك شيراك وليونيل جوسبان في الثاني عشر من أيلول/سبتمبر، أي قبل أن يعلن جورج دبليو بوش الحداد الأميركي. إن تنظيم مثل هذه العملية على المستوى الكوني يتطلب تحريك شبكة نفوذ قوية كفيلة بممارسة الضغط على جميع الحكومات في العالم، سيما وأن الغرض من هذه العملية السياسية هو تحقيق هدف سياسي: إذ إن الإدارة الأميركية قد أضفت، بتحريكها الشعور الديني، طابعاً من القدسية على ضحايا الاعتداءات وعلى روايتها للأحداث على حد سواء. وغدا بعد ذلك كل طعن بصحة الرواية الرسمية، في العالم أجمع، بمثابة اختراق للقدسيات.

إن سلسلة الإجراءات التي اعتمدت لفرض هذا الحداد الدولي، قد جرى الإعداد لها سراً في شهر تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠١[١٣]. لقد أسس في البنتاغون مكتب للتأثير الاستراتيجي[١٤]. ووضع بإمرة الجنرال سايمون بيت وردن، رئيس سلطة الفضاء الأميركية الأسبق. وهذه الهيئة متصلة ببرامج المعلومات الدولية[١٥] التابعة لوزارة الخارجية ـ التي تشمل برامج إذاعة صوت أميركا ـ بواسطة مجموعة المعلومات الدولية العسكرية التابعة للكولونيل براد وارد. بات يعمل اليوم بكامل طاقته للتلاعب بالرأي العام والحكومات في الدول الغربية.

(١) *God Gave US «What We Deserve», Falwell Says* par John Harris, in *The Washington Post* du 14 septembre 2001, http://www.washing-tonpost.com.

(٢) Proclamation by the President of the United States of America,1 13 Septembre 2001, http://www.whitehouse.gov/news/release/2001-09-20010913-7.html.

(٣) في نظر الرئيس الأميركي، يتمحور تاريخ البشرية حول تولد المسيح وحول تاريخ تأسيس الولايات المتحدة، وكلاهما مدعوان لإنقاذ البشرية.

(٤) *Billy Graham's Message*, 14 Septembre 2001, http://www.billlygra-ham.org/newsevents/ndprbgmessage.asp.

(٥) *President's Remarks at National Day of Prayer and Remembrance* http://www.whitehouse.gov/news/release/2001/09/20010914-2.html.

(٦) *Religious Right Finds Its Center in Oval Office* par Dana Milbank, in *Washington Post* du 24 déc. 2001 http://www.washingtonpost.com.

(٧) ٨٠٠ مليون أوروبي يحدون على ضحايا الاعتداءات في الولايات المتحدة. بلاغ المجلس الأوروبي بتاريخ ١٣/ ٩/ ٢٠٠١ http://press.coe.int/cp/2001/628f(2001).htm.

(٨) *Remarks by the President In Photo Opportunity with the National Security Team*, 12 septembre 2001. http://www.whitehouse.gov/news/release/2001/09/20010912-4.html.

(٩) مرسوم NOR: HRUX0101919D، الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية، بتاريخ ١٣/ ١١/ ٢٠٠١، صفحة ١٤٥٨٢.

(١٠) «ليبارك الرب أميركا» نشيد ألفه إرفينغ برلين إبان الحرب العالمية الثانية، وصار بمثابة نشيد وطني شبه رسمي.

(١١) *War Speech in a Cathedral: A Stedfast Resolve to Previal* par Dan Balz et Bob Woodward, in *The Washington Post* du 30 janvier 2002 http:/www.washingtonpost.com.

(١٢) ANZUS حلف يضم استراليا ونيوزيلاندا والولايات المتحدة. أما الـ OEA فهو حلف يضم الدول الأميركية.

(١٣) «ترسانة واشنطن الجديدة في الحقل الإعلامي» *Le Nouvel arsenal de Washington pour l'infosphère*, in *Intelligence Online* du 14 février 2002 http:/www.intelligenceOnline.fr.

(١٤) إن إنشاء مكتب التأثير الاستراتيجي هو ثمرة بحث طويل قامت به القوات المسلحة الأميركية Cf.*Information Dominance* de Martin C. Libicki, in *Strategic Forum* n°132 (National Defense University, novembre 1997), http://www.ndu.edu/inss/strforum/forum 132.html.

(١٥) الموقع الرسمي لبرامج المعلومات الدولية Site officiel de l'International Informations Programs, http://www.state.gov/r/iip/.

الفصل السابع

صلاحيات مطلقة

لقد سمح الكونغرس في الولايات المتحدة، في صبيحة الرابع عشر من أيلول/ سبتمبر، للرئيس جورج دبليو بوش أن يلجأ «إلى استخدام القوة الضرورية والمناسبة ضد أي دولة أو منظمة أو فرد قد حضّر أو سمح أو نفذ أو شجّع، وتبعاً لما توصلت إليه تقديراته هو، الاعتداءات الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، أو كذلك ضد كل من حضن مثل هذه التنظيمات أو الأشخاص، وذلك لدرء أي عمل إرهابي دولي قد يرتكب مستقبلاً ضد الولايات المتحدة من قبل مثل هذه الدول أو المنظمات أو الأشخاص»[١].

اتخذ هذا القرار المشترك بين المجلسين بالإجماع عدا صوتاً واحداً هو صوت النائبة الديمقراطية عن كاليفورنيا، باربرا لي[٢]، وبدون نقاش أو يكاد. تركت صيغة القرار للرئيس بوش كل الحرية لمكافحة كل المنظمات الإرهابية غير الحكومية، ولكن «الصلاحيات الاستثنائية» لم تكن «صلاحيات حربية» تماماً. وبقي لزاماً على جورج دبليو بوش إعلام الكونغرس عن أي نزاع قد ينشب مع دولة أخرى[٣].

طلب الرئيس بوش من الكونغرس اعتمادات خاصة وقدرها ٢٠ مليار دولار، للشروع في العمليات الأولى. فقررت الجمعيتان، باندفاعة وطنية عارمة، منحه ضعفي المبلغ، وصوتت، على إثر مداولات

استمرت خمس ساعات، على اعتمادات بلغت... أربعين مليار دولار[٤].

وعلاوة على ذلك، أجاز الرئيس بوش تعبئة خمسين ألف احتياطي في الجيش كحدٍ أقصى[٥]. فاستدعى وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد، خمسة وثلاثين ألفاً وخمسمائة منهم على الفور (عشرة آلاف للقوات البرية وثلاثة عشر ألفاً لسلاح الجو وثلاثة آلاف للبحرية وسبعة آلاف وخمسماية للبحرية وألفين لخفر السواحل). وتعود أول عملية تعبئة إلى حرب الخليج. لقد شملت عدد من الجنود بلغ خمسة أضعاف هذا العدد، إذ إن الأمر كان يتعلق بحشد قوة عظيمة.

ألقى جورج دبليو بوش خطاباً[٦] هاماً أمام الكونغرس، الملتئم في جلسة عمومية بتاريخ ٢٠ أيلول/ سبتمبر. ورافقته إليها عدة شخصيات، منها رئيس الوزراء البريطاني، طوني بلير. وبهذه المناسبة، فقد حمّل أخيراً، بصورة رسمية، أسامة بن لادن ومنظمته مسؤولية الاعتداءات، ووجه إنذاراً لحكومة طالبان: «تسليم جميع قادة القاعدة، المختبئين على أراضيكم، للسلطات الأميركية. إطلاق سراح جميع الرعايا الأجانب، بمن فيهم الأميركيين منهم، الذين زججتهم بهم في السجون ظلماً، وحماية الصحافيين والدبلوماسيين والعمال الأجانب في بلدكم. إغلاق جميع معسكرات التدريب الإرهابية في أفغانستان فوراً وبصورة دائمة، وتسليم الإرهابيين وجميع الأشخاص التابعين لهيكليتهم المساندة، للسلطات المسؤولة.

لا تقبل هذه الطلبات أي تفاوض أو مراجعة. على حكومة طالبان أن تنفذ، وعلى الفور. يتعين عليها تسليم الإرهابين وإلا ستلقى المصير نفسه».

وقد أعلن، بوجه خاص، عن إنشائه مكتباً للأمن الداخلي، (Office of Home land Security) يرقى إلى مرتبة وزارة، ويعمل تحت سلطته. وأناط بهذه الهيئة «قيادة استراتيجية وطنية شاملة والإشراف عليها وتنسيق أعمالها، بهدف حماية بلدنا من الإرهاب والرد على أي اعتداء محتمل». وأعلن الرئيس، في

اندفاعة حماسية، عن تعيين المسؤول السابق في سلاح البحرية وحاكم بنسيلفانيا، طوم ريدج، رئيساً لهذا المكتب.

وأخذت إدارة بوش، في سياق هذه التدابير، قرارات متنوعة من شأنها أن تؤدي إلى تعزيز تدابير الحفاظ على السرِّية العسكرية.

أعلن الوزير رامسفيلد، في الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر، غداة وقوع الاعتداءات، أثناء لقائه مع الصحافة، ما يلي: «يبدو لي من الأهمية بمكان التشديد على أن المرء عندما يتناول المعلومات المتصلة بالاستخبار ويطرحها في التداول وسط جمهور لا يتمتع بالكفاءة المناسبة، فإن نتيجة ذلك تكون تقليص الفرص أمام حكومة الولايات المتحدة في رصد ومعاقبة أناس اقترفوا الاعتداءات ضد الولايات المتحدة متسببين بسقوط عدد كبير من القتلى في صفوف الأميركيين. ومن ناحية ثانية، عندما يتم تزويد أناس بمثل هذا النوع من المعلومات، وهم غير مهيئين لتلقيها، فإن النتيجة المحتومة هي وضع حياة عسكريين، من رجال ونساء، في دائرة الخطر لأن هؤلاء سيكونون في المستقبل مكلفين بتنفيذ هذه المهمات»[٧].

قال رامسفيلد في معرض الإجابة عن سؤال طرحه صحافيون قد التقاهم في ٢٥ أيلول/ سبتمبر، حول ما إذا كان في نيته أن يكذب لإخفاء الأسرار، أنه يملك شخصياً مقداراً كافياً من اللباقة تجعله يتصرف تصرفاً مغايراً، غير أنَّ معاونيه قد يتصرفون تبعاً لقدراتهم[٨]:

وزير الدفاع: «طبعاً، يذكرنا ذلك بعبارة ونستون تشرشل، الشهيرة عندما صرح ـ لكن لا تستشهدوا بأقوالي، أليس؟ لا أريد أن يستشهد بي أحد، إذاً لا تستشهدوا بي ـ قال إن الحقيقة ثمينة إلى درجة يصبح معها من الضروري، أحياناً، أن يرافقها حرس من الأكاذيب ـ كان يتحدث عن موعد الإنزال ومكانه. وفي الواقع، كانوا حريصين ليس فقط على عدم التطرق إلى موعد الإنزال في النورماندي ومكانه ومعرفة ما إذا كان سيحصل في خليج النورماندي

أم في شمال بلجيكا، إنما راحوا في الواقع يبثون ما من شأنه تضليل الألمان حول ما يخطط له الحلفاء. كانت لديهم صورة اعتبارية لجيش بإمرة باتون، وأمور شتى. بات ذلك ملكاً للتاريخ، وإني أتحدث عنه كسياق (...). لا أتذكر أني كذبت يوماً على الصحافة، ولست بهذا الصدد، ولا يبدو لي ذلك مبرَّراً. ثمة عشرات الطرق لتلافي الوقوع في ما يوجب الكذب. ثم إني لا أتعاطى ذلك».

الصحافي: «هل يطبق الجميع هذه القاعدة في الوزارة؟».

وزير الدفاع: «لعلك تمزح» (ضحك).

وجه نائب وزير الدفاع، بيت ألدريدج جونيور، في الثاني من تشرين الثاني/أكتوبر، رسائل إلى جميع مزوّدي القوات المسلحة(٩)، طلب منهم فيها إخضاع أنشطتهم التجارية لتدابير السرية العسكرية، نظراً إلى أن معلومات تبدو في الظاهر غير ذات قيمة قد تكشف أموراً كثيرة حول نشاطات وزارة الدفاع ونواياها. فيصبح التكتم، إذاً، أمراً واجباً على المدنيين بعد ذلك.

أرسل مدير المشتريات في سلاح الجو، دارلين درويون، في الرابع من تشرين الأول/أكتوبر رسالة الكترونية(١٠) إلى جميع مزوِّدي القوات الجوية يشرح فيها مضمون رسالة ألدريدج. منع جميع مزوّديه من التحدث مع الصحافيين سواء أكان حول العقود الجاري التفاوض بشأنها أو تلك التي تم توقيعها والإعلان عنها من قبل. ويسري هذا الحظر سواء في الولايات المتحدة أو في البلدان الأجنبية، حيث قد يشترك المزودون في معارض وندوات عن التسلح.

وأمر الرئيس بوش، في الخامس من تشرين الأول/ أكتوبر، وخرقاً للدستور، عدة أعضاء من مكتبه أن يمتنعوا عن إذاعة أخبار للبرلمانيين (انظر الملحق).

في الثامن عشر من تشرين الأول/ أكتوبر، وجه نائب وزير الدفاع، بول ولفوويتس، مذكِّرة إلى رؤساء أقسام وزارته ليتم إبلاغ جميع الموظفين

بمضمونها. كتب يقول فيها: «إنه لأمر حيوي أن يتحلى عناصر وزارة الدفاع (DOD)، مثلهم مثل الأشخاص التابعين لمنظمات متعاونة مع وزارة الدفاع، بقدر عال من الحيطة أثناء نقاشاتهم لكل ما يمتّ بصلة إلى أنشطة وزارة الدفاع، وأيّاً كانت درجة مسؤولياتهم. لا تتحدثوا في شؤون نشاطاتكم المهنية في الأماكن المكشوفة والعامة أو أثناء تنقلاتكم من المنزل إلى العمل، أو كذلك عبر وسائل الاتصال الإلكترونية غير الآمنة. سيتم التداول بالمعلومات ذات الطابع السرّي حصرياً في الأماكن المعدة لهذا الغرض، ومع أشخاص لديهم، في آن واحد، أسباب محددة للاطلاع على المعلومات وحائزين على صفة مرخص لها أمنياً. وقد يتوجب التقيّد بالأمر ذاته في ما يتعلق بالمعلومات غير السرّية، حيث أنه بالإمكان الوصول عبر مطابقتها، إلى استنتاجات بالغة الأهمية. سيُسحب (كذا) القسم الأكبر من المعلومات الداخلة في إطار مهمات وزارة الدفاع من التداول لما تنطوي عليه هذه المعلومات من أهمية بالغة. وفي حال الشك، احجموا عن نشر معلومات رسمية ومناقشتها، اللهم إلا داخل وزارة الدفاع».

واتخذت السلطات الفدرالية بصورة متزامنة، تدابير لضمان سرّية التحقيق في الاعتداءات. طلب الـ إف.بي.آي، في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، من شركات الطيران عدم التواصل مع الصحافة. هذا مع العلم أن شهاداتها قد تمكّن من تفسير وإيضاح مسألة عدم امتلاء الطائرات وغياب قراصنة الجو عن لوائح أسماء المسافرين، على حد سواء. كان الـ إف.بي.آي، ينتظر الشقيقين جول وجدعون نوديه، في منزلهما، إذ كانا متواجدين في مانهاتن ساعة تحطم الطائرتين. فصادر منهما تسجيلاتهما بالفيديو البالغة مدّتها خمس ساعات، والتي كان الصحافيان قد أجرياها داخل البرجين وفي ساحاتهما. أعيدت لهما ست دقائق تسجيل فقط وهي التسجيلات المطابقة لمشهد تحطم أول طائرة. لقد وضع هذا المستند تحت الأختام، وهو مستند مفيد جداً لفهم كيفية إنهيار مبنى مركز التجارة العالمي. كما أن الـ إف.بي.آي طلب من شركة أوديجو عدم الاتصال بالصحافة. علماً بأنه قد يكون من الأهمية بمكان معرفة فحوى الإنذار

الدقيق الذي تلقته، والتدابير المتخذة لتقليص عدد الأشخاص المتواجدين في البرجين. منعت السلطات العسكرية، بالطريقة ذاتها، أن يقيم موظفوها المعنيون أي صلة بالصحافة. فتعذر على الصحافيين، إذاً، الاتصال سواءً بالطيارين من قادة المطاردات أو بالأفراد العاملين في قاعدتي باركسدال وأوفوت. ولمّا كان اتحاد المحامين الأميركين، من جهة، مدركاً أن من شأن دعاوى المطالبة بالعطل والضرر أن تشكل فرصاً عديدة لكشف أسرار تعتبر من أسرار الدولة، فقد حذر أي محام من التقدم بدعوى نيابة عن أُسر الضحايا تحت طائلة شطب اسمه من لائحة النقابة، وحددت مدة المنع لفترة بستة أشهر بحيث تغدو بعدها أي معاينة غير ممكنة.

اتصل الرئيس جورج دبليو بوش شخصياً بزعماء الكونغرس طالباً منهم عدم تعريض الأمن القومي للخطر من جراء تشكيل لجنة تحقيق في أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، فقرر البرلمانيون، حفاظاً على ماء الوجه وطياً للصفحة على حد سواء، تشكيل لجنة تحقيق مشتركة بين المجلسين. . . حول التدابير المتخذة منذ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر لدرء أي عملية إرهابية جديدة[11].

استدعت مستشارة الأمن القومي، كوندوليزا رايس، في العاشر من تشرين الأول/ أكتوبر، مدراء كبريات شبكات التلفزة (ABC, \CBS, CNN, Fox, Fox, News, News, MSNBC, NBC) إلى البيت الأبيض لتطلب منهم الاحتكام إلى حسهم بالمسؤولية. لئن كانت حرية التعبير ما تزال سارية المفعول، فإن الصحافيين مدعوون لممارسة «رقابة تحريرية» ذاتية في الإعلام والامتناع عن بث كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأمن الشعب الأميركي[12].

تلقت الصحافة المكتوبة الرسالة، واضحة جلية. سُرِّح رون غوتينغ (رئيس تحرير جريدة **سيتي صَن**) ودانْ غوثري (رئيس تحرير جريدة **دايلي كورير**)، على الفور، لأنهما تجاسرا على انتقاد سياسة بوش.

علق إدوارد هرمان، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بنسيلڤانيا على ذلك

قائلاً: «ما كان للبراڤدا والإزڤيستيا، في زمن الاتحاد السوڤياتي السابق أن تضاهي الإعلاميات الأميركية في ما وصلت إليه من خضوع للتوجيهات الرسمية. (. . .) حتى أنها [الإعلاميات الأميركية] تخلت عن واجب الموضوعية، بل عن فكرة اقتراح مساحة يدور فيها النقاش والسجال حول القضايا علانية. (. . .) إنها لفضيحة تعري نشاط نظام للدعاية بعينه حل محل إعلاميات رصينة، لا غنى عنها في مجتمع ديمقراطي»[13].

وأخيراً، أقر الكونغرس، بعد مداولات دامت ثلاثة أسابيع، قانون باتريوت[14]. يعلق هذا القانون الاستثنائي شتى أشكال الحريات الأساسية لمدة أربع سنوات، لمنح الإدارة الأميركية وسائل ناجحة لمكافحة الإرهاب. لا يخفى على أحد أن مدة الأربع سنوات إنما تغطي مجمل ولاية جورج دبليو بوش، بما فيها فترة إعادة انتخابه. ويقمع القانون «الإرهابيين ومن يساندهم» حسب تعريف توسّعي. وبالتالي يصبح جمع الأموال لمساندة أُسر مناضلي الجيش الجمهوري الإيرلندي المسجونين في المملكة المتحدة جناية فدرالية. حددت فترة التوقيف الاحتياطي للأجانب المشتبه بهم بالإرهاب بأسبوع. ويمكن فيما لو أحيلوا إلى التحقيق (لأي سبب من الأسباب، لا علاقة له بالضرورة بشبهة الإرهاب) منع المشتبه بهم من مخالطة غيرهم لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد لمدة غير محددة، إذا ارتأى وزير العدل أن إطلاق سراحهم قد يشكل «تهديداً للأمن القومي أو للمجتمع أو لفرد ما». وقد جرى وضع ألف ومئتي مهاجر على الفور رهن التوقيف لفترة غير محددة بأوجه تهم سرّية. وفضح المسؤولون القنصليون الأجانب التعديات على الحقوق الأساسية لرعاياهم، على غرار قنصل باكستان العام في نيويورك الذي صرح قائلاً: «في معظم الأحيان، لم نكن مطلعين لا على هوية رعايانا ولا أماكن احتجازهم. كانوا، في أحسن الأحوال، يتكرمون علينا بإعطائنا معلومات عن عددهم (. . .) كانت السلطات تضغط عليهم كي لا يستفيدوا من حقوقهم في الاتصال بممثلياتهم القنصلية أو بمحامين. وهذه أمور غير مقبولة على الإطلاق».

يسمح قانون باتريوت الأميركي، أخيراً، لـ إف.بي.آي باعتراض المكالمات من دون رقابة القضاء[١٥]. يطبق هذا الإجراء على الاتصالات التي يجريها رعايا أجانب فيما بينهم، أو بلدان أجنبية فيما بينها، وهي بلدان تمر مكالماتها عبر الأراضي الأميركية بواسطة الإنترنت.

علّقت وزارة العدل، في الحادي والثلاثين من تشرين الأول/ أكتوبر، حق الأشخاص الموضوعين رهن التوقيف الاحتياطي، أو المحتجزين، في التحدث على انفراد مع محاميهم[١٦]. وغدا ممكناً التجسس على هذه اللقاءات وتسجيلها، واستخدام الأقوال التي تضمنتها ضد المشتبه بهم، الأمر الذي يلغي كل إمكانية للموكل والمحامي لأن يعدّا معاً استراتيجية للدفاع.

قرر الرئيس بوش، في الثالث عشر من تشرين الثاني/ أكتوبر، أن الأجانب «المشتبهين بالإرهاب»، وهي تسمية تشمل «الأعضاء الحاليين والسابقين في منظمة القاعدة»، والأشخاص الذين ساعدوا (حتى من دون علمهم) على تدبير اعتداءات (حتى لو لم تنفذ)، سوف لن يحاكموا من قبل محاكم فدرالية أو من قبل محاكم عسكرية حتى، وإنما من قبل لجان عسكرية[١٧]. سيشكل وزير العدل هذه اللجان استنسابياً، وهي ستضع بنفسها نظام أصول المحاكمة وقد تكون جلساتها سرّية. لن يفرض على «النائب العام العسكري» إبلاغ المتهمين ومحامييهم بـ «الأدلة» التي بحوزتهم. وستتخذ قراراتها بأكثرية الثلثين (وليس بالإجماع كما ينص عليه المعيار الدولي في الشأن الجنائي).

قامت وزارة العدل، في اليوم ذاته، بحملة مداهمة واسعة شملت خمسة آلاف مشتبه من أصول شرق أوسطية، جميعهم تقريباً في أوضاع قانونية سليمة ولم يقترفوا أي مخالفة، فـ«أخضعتهم للاستجواب».

ألزمت وزارة الخارجية حلفاءها، عبر الأمم المتحدة، باعتماد تشريعات مماثلة، مستندة في ذلك إلى لجنة مكافحة الإرهاب[١٨] التي نص على إنشائها

القرار ١٣٧٨[١٩] (٢٨ أيلول/سبتمبر) الصادر عن الأمم المتحدة. وهكذا فقد أدخلت، إلى اليوم، حوالى ٥٥ دولة (منها فرنسا، عبر «القانون حول الأمن اليومي»، في نصوص قوانيها بعض التدابير الواردة في قانون باتريوت الأميركي. وهدفها ليس حماية السكان المحليين من الإرهاب، بل السماح لأجهزة البوليس الأميركية بتوسيع نشاطاتها لتشمل بقية أنحاء العالم. يتعلق الأمر، بصورة أساسية، بتمديد فترات التوقيف الاحتياطي في القضايا الإرهابية والحد من حرية الصحافة، والسماح لقوى الأمن باعتراض الاتصالات بدون رقابة قضائية. سمح قانون مكافحة الإرهاب بتوقيف المشتبه بهم الأجانب بعيداً عن أي تحقيق، اختراقاً للمعاهدة الأوروبية لحقوق الإنسان. ويجبر قانون مكافحة الإرهاب، في كندا، الصحافيين الكشف عن مصادرهم بطلب من القضاء، تحت طائلة السجن الفوري. أعطيت أجهزة الاستخبارات في ألمانيا صلاحيات الشرطة القضائية فتحولت بذلك إلى شرطة سياسية. سُمح في إيطاليا للأجهزة السرّية بارتكاب شتى أنواع المخالفات على الأراضي الوطنية، لمصلحة الدفاع الوطني، دون تقديم حساب للقضاء، الخ[٢٠]. وقدم وزير الخارجية، كولن پاول في، نهاية المطاف إلى أوروبا للتأكد من أن أجهزة الشرطة الوطنية سيكون بوسعها من الآن فصاعداً، توفير المعلومات لـ إف.بي.آي من دون شكليات، وإنشاء هوائي خاص لـ إف.بي.آي في مقرات أوروپول (البوليس الأوروبي).

كتبت مجلة نيويورك ريڤيو أوف بوكز الشهيرة[٢١] تقول: «قامت الحكومة، منذ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، بالعمل على استصدار قوانين واعتماد سياسات وإجراءات لا تتفق مع قوانيننا وقيمنا السائدة، الأمر الذي لم يكن ليحصل من قبل». وإذ راح يمجد صوفيته الوطنية، ارتدّ بلد حرية التعبير والشفافية السياسية معتمداً نظرة توسّعية لمفهوم مصلحة الدولة العليا والسرّية العسكرية، مطبقاً إياها على جميع قطاعات المجتمع.

لا تسمح الرواية الرسمية لأحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بتبرير مثل هذا التحول. لماذا الخشية من المحادثات بين زملاء في حرم البنتاغون،

طالما أن الأعداء هم أناس بؤساء يختبئون في كهوف أفغانستان؟ كيف يمكن لنا أن نتخيّل أن بمقدور حفنة من الإرهابيين جمع ومعالجة معلومات متفرقة حول مشتريات للأسلحة واستنتاج خطط الجيش الأميركي منها؟ لماذا تعليق العمل العادي في المؤسسات وحرمان البرلمانيين، حتى في جلسات سرّية، من معلومات لا مناص منها لكل حياة ديمقراطية؟

إذا كانت الرواية الرسمية، التي تزعم أن الاعتداءات دبرها أرهابيون أجانب، صحيحة، فلماذا الحؤول دون قيام الكونغرس بأي تحقيق وقيام الصحافة بأيِّ استقصاء؟.

بل فلنتساءل: ألسنا أمام تغيير نظام سياسي قد تم التخطيط له قبل الحادي عشر من أيلول/سپتمبر؟ لقد سعت السي.آي.إي، في مناسبات عديدة، منذ نصف قرن، إلى اعتماد قانون يمنع الصحافة من التطرق إلى الشؤون المتصلة بمصلحة الدولة العليا، ويجرّم الموظفين والصحافيين الذين يكشفون النقاب عنها. لقد عمل السيناتور الرجعي جداً، ريتشارد شِلْبي، في تشرين الثاني/نوڤمبر ٢٠٠٠، وكان يرأس آنذاك اللجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ، على استصدار «قانون السرّية» الذي تصدى له الرئيس بيل كلينتون مستخدماً حق الڤيتو. ثم عاود ريتشارد شِلبي الكرة في آب/أغسطس ٢٠٠١، آملاً أن تلقى مناورته ترحيباً من قبل الرئيس بوش[٢٢]. كان اقتراح القانون قيد النقاش لما حدثت الاعتداءات، وهكذا فإن «القانون حول استخبارات»، الصادر بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠١، تضمن بعض أجزائه. أنشأ وزير العدل، جون أشكروفت، على الفور، وحدة خاصة مكلفة بتقويم وسائل معالجة تسرب المعلومات المصنفة [سرّية][٢٣]. طُلب منها تقديم تقريرها في غضون ستة أشهر. وكان قد تم من قبل تنظيف عدة مواقع «ويب» رسمية: حيث سحبت معلومات عامة بحجة أن تقاطعها قد يعطي «الإرهابيين» إمكانية أن يستخلصوا منها معلومات سرّية.

بعد أن تم تحييد جميع السلطات المضادة، من وزارة العدل إلى لجان التحقيق التابعة للكونغرس إلى الصحافة، زوّدت السلطة التنفيذية نفسها ببنى تسمح لها بتوسيع نطاق تطبيق المناهج التي سبق أن اختبرتها السي.آي.إي والقوات المسلحة في الخارج، لتشمل السياسة الداخلية.

ولم يتم إنشاء مكتب الأمن الداخلي (OHS) الذي أعلن عنه بوش في الكونغرس، بتاريخ عشرين أيلول/سپتمبر، إلا في الثامن من تشرين الأول/أكتوبر. وهو إجراء لم يتعلق أمر اتخاذه بالظروف، بل هو إجراء إصلاحي طاول جهاز الدولة الأميركية برمته. فسوف تميّز الإدارة من الآن فصاعداً، بين الأمن الداخلي والأمن الخارجي. سيكون مدير مكتب الأمن الداخلي (طوم ريدج) نظير مستشارة الأمن القومي (كوندوليزا رايس). وسيرأس كل منهما مجلساً: مجلس الأمن الداخلي ومجلس الأمن القومي. تتقاطع صلاحياتهما المتميّزة في العديد من الميادين. وعيّن الرئيس بوش كذلك مساعداً لمستشارة الأمن القومي وكلّف بمكافحة الإرهاب وتم وضعه بتصرف طوم ريدج على الرغم من ارتباطه بكوندوليزا رايس. لقد سبق أن أوكل هذا المنصب المفصلي إلى الجنرال واين أ. دونينغ صاحب الصورة الجانبية القوية للغاية[٢٤]. كان دونينغ، واحداً من الذين تعاقبوا على رئاسة قيادة العمليات الخاصة لشبكة جهاز الظل[٢٥]. كما أنه تولّى الارتباط بين المجلسين ومكتب التأثير الاستراتيجي المكلف بالتلاعب بالرأي العام في جميع البلدان الأجنبية وبحكوماتها.

تتركز بين يدي مكتب الأمن الداخلي صلاحيات واسعة للتنسيق، وقد تتطور مع مرور الزمن. من الصعب قول ما إذا كان سيلعب دوراً شبيهاً بدور مكتب التعبئة الحربية (OWM) إبان الحرب العالمية الثانية، أو المكتب الحالي للسياسة القومية لمكافحة المخدرات (ONDCP) الذي يرعى العمليات العسكرية في أميركا اللاتينية[٢٦]. ومهما يكن من أمر، تجري أمام أعيننا عملية سيطرة عسكرية واستخباراتية على الحياة المدنية[٢٧].

لقد علق على الأمر صحافيان كبيران، هما جون ستانتون وواين مادسن[٢٨] قائلين: «سوف يتذكر المؤرخون أن الديمقراطية ـ كما تخيلها واضعوا إعلان الاستقلال ودستور الولايات المتحدة ـ قد لفظت أنفاسها الأخيرة في الفترة الممتدة بين تشرين الثاني/ نوفمبر (٢٠٠١ وشباط/ فبراير ٢٠٠٢. فمع أفول عصر الديمقراطية، كان يبزغ فجر الدولة الفاشية والدينية الأميركية».

هوامش الفصل السابع

(١) قرار مشترك رقم ٢٣ صادر عن مجلس الشيوخ.

(٢) عرضت لناخبيها سبب تصويتها وذلك حين نشرت مقالاً في سان فرانسيسكو كرونيكل بعنوان: **لماذا عارضت قرار السماح باستخدام القوة**، في تاريخ ٢٣/٩/٢٠٠١ http://www.sfgate.com.

(٣) *National Emergency Power* par Harold C. Relyea, Congressional Research Service, The Library of Congress, 18 septembre 2001. Téléchargement: http://www.fpc.gov/CRS-REPS/powers.pdf.

(٤) *Congress Clears Use Force, 40$ Billions in Emergency Aid* par John Lancaster et Helen Dewar, in Washington Post du 15 septembre 2001 http://www.washingtonpost.com et *Congress Passes 40$ Billion in Homeland Defense Funds* par Steven Kingsley, in *Homeland Defense Journal* du 7 janvier 2002 http://www.homelanddefensejournal.com.

(٥) Executive Order, 14 septembre 2001, http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/09/20010914-5html.

(٦) *Address to a Joint Session of Congress and the American People*, 20 septembre 2001 http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/09/20010920-8.html.

(٧) *DoD News Briefing. Secretary Rumsfeld*, 12 septembre 2001 http://www.defenselink.mil/news/Sep2001/t09122001-t0912sd.html.

(٨) *DoD News Briefing. Secretary Rumsfeld*, 25 septembre 2001 http://www.defenselink.mil/news/Sep2001/t09252001-t0925sd.html.

(٩) Document consultable sur http://www.fas.org/sgp/news/2001/10/aldridge.html.

(١٠) Document consultable sur http://www.fas.org/sgp/news/2001/10/druyun.html.

(١١) *Congressional Panels Join to Probe US Intelligence par Walter Pincus*, in *Washington Post* du 12 Février 2001 http://www.washing-tonpost.com.

(١٢) «حرب الظل»: الإعلاميات الأميركية بين الإعلام والدعاية، برقية وكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠١.

(١٣) ذكره أوليفيه باسكال ـ موسّلار في كتابه بعنوان: الصحافيون على محك أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر (Olivier Pascal-Moussellard, *Les Journalistes à l'épreuve de 11 septembre*, in *Télérama* du 30 janvier 2002).

(١٤) قانون (Patriot) من أجل وحدة أميركا وقوتها عبر منح الوسائل المناسبة للتصدي للإرهاب ومكافحته.

(١٥) كان هذا التدبير، الذي أثار كثيراً من الجدل، قد حصل على موافقة الحزب الديمقراطي. انظر زاوية الرأي الحر بقلم جون پوديستا (الأمين العام السابق للبيت الأبيض في عهد بيل كلينتون) *Tools for Counterterrorism*, in *Washington Post* du 18 septembre 2001 (http://www.washingtonpost.com).

(١٦) *Attorney General Aschroft Outlines Foreign Terrorist Tracking Task Force*, Département de la

. Justice, 31 octobre 2001 http://www.usdoj.gov/ag/speeches/2001/agcrisisremarks 10-31.html

(١٧) President's Military Order: *Detention, Treatment, and Trial of Certain Non-Citizens in War Against Terrorism*, 13 novembre 2001 . http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/11/20011113-27.html

(١٨) موقع رسمي للجنة مكافحة الإرهاب في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . (http://www.un.org/french/docs/sc/committees/1373)

(١٩) قرار ١٣٧٣ صادر عن مجلس الأمن، الأمم المتحدة ٢٨/٩/٢٠٠١ . (http://www.un.org/french/docs/sc/2001/res 1373f.pdf)

(٢٠) قائمة الدول الـ ١٥ الأكثر تعدياً على الحريات، بقلم مجموعة الحريات الراسخة (الاتحاد الدولي لروابط حقوق الإنسان، هيومان رايتز واتش، مراسلون بلا حدود . (http://www.enduring-freedoms.org/pdf/RAPPORTI/pdf)

(٢١) *The Treat to Patriotism* par Ronald Dworkin, in The New York *Review of Books* du 28 février . 2002 http://www.ny books.com

(٢٢) *Reviving a Misconceived Secrecy Bill*, éditorial de New York Times du 21 août 2001, http://www.nytimes.com, *No More Secrecy Bills*, éditorial du Washington Post du 24 août 2001, http://www.washington-post.com, *Classified Silencing*, éditorial du *St Petersburg Times* du 24 août 2001; http://www.sptimes.com, *No Official Secret Act*, éditorial de *The Hill* du 5 . septembre 2001, http://www.hillnews.com Etc

(٢٣) Task Force to review ways to combat leaks of classified information. Cf. *Washington jaloux de ses sources ouvertes*, in *Intelligence Online* du 3 janvier 2002 . http://www.intellgenceOnline.fr

(٢٤) *Bush Names Army General to NSC Post on Terrorism* par Mike Allen et Thomas Ricks, in *Washington Post* du 30 septembre 2001, et *Two Key Advisers Are Filling New Posts to Fight New War* par Mike Allen et Eric Pianin, in *Washington Post* du 10 octobre 2001 . http://www.washingtonpost.com

(٢٥) جهاز الظل من أكثر الأجهزة سرية. لقد أنشىء عند التحرير عن طريق إعادة تطويع العملاء النازيين لمكافحة نفوذ الشيوعيين المتنامي. ولمّا كان متغلغلاً داخل أعلى الأوساط الحكومية الغربية، فقد استخدم للتلاعب في الآليات الديمقراطية، وفرع جهاز الظل الإيطالي معروف من الجمهور باسم غلاديو.

(٢٦) *Homeland Security: the Presidential Coordination Office* par Harold Relyea, Congressional Research Service, The Library of Congress, 10 octobre 2001, téléchargeable depuis http://www.fpc.gov/CRS-REPS/crs-hsec.pdf.

(٢٧) *Pentagon Debates Homeland Defense Role* par Bradley Graham et Bill Miller, in *Washington . Post* du 11 février 2001, http://www.washingtonpost.com

(٢٨) *The Emergence of the Fascist American Theocratic State* par John Stanton et Wayne Madsen, . 10 février 2002

القسم الثالث

هجوم الإمبراطورية

الفصل الثامن

ابن لادن هو المذنب!

في صبيحة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، لما بثّت السي. إن. إن أولى صور أحد برجي مركز التجارة العالمي والنيران مشتعلة فيه، وكنا ما زلنا غير مطّلعين على ما إذا كان الموضوع متعلقاً بحادثة أم باعتداء، تحدث معلق تلك القناة الأخبارية عن احتمال أن يكون أسامة بن لادن هو المسؤول. أخذت هذه الفرضية تفرض نفسها تدريجياً كتفسير وحيد يقبله المرء. إن مثل هذه الاعتداءات، لا يمكن أن تكون إلا من صنع وحش بعيد كل البعد عن العالم المتمدن، يملأه حقد أعمى ضد الغرب ويداه ملطختان بالدماء. لقد حُدِّدت هوية هذا المجنون في السابق: كان العدو المعلن رقم واحد للولايات المتحدة: أسامة بن لادن. وهذه الإشاعة عززتها بادىء ذي بدء تسريبات إلى الصحافة «من مصادر حسنة الاطلاع عموماً» أو «قريبة من التحقيق». وأصبحت رسمية، لما وصف كولن پاول، علانية، ابن لادن بـ«المشتبه به». وصارت عقيدة، لما اتهمه جورج دبليو بوش بالجريمة. حتى ذاك الوقت لم تكن التهمة مسندة علانية بعد. لكن السطات الأميركية اعتبرت نفسها معفية من تقديم الأدلة، مكتفية، عوضاً عن ذلك، بنشر شريط ڤيديو لابن لادن.

أسامة بن لادن[1] هو أحد الأبناء البالغ عددهم ٥٤ للشيخ محمد بن لادن مؤسس مجموعة ابن لادن، السعودية (SBG) في العام ١٩٣١. وظفت هذه

الشركة القابضة، الأكبر في العربية السعودية، نصف رقم أعمالها في البناء والمقاولات العامة، والنصف الآخر في الهندسة والعقارات والتوزيع والاتصالات والنشر. أسست شركة التوظيفات السويسرية ـ سيكو (SICO) الشركة السعودية للاستثمارات)، التي أنشأت عدة شركات بالاشتراك مع فروع البنك الوطني التجاري السعودي. تمتلك مجموعة ابن لادن السعودية أسهماً هامة في جنرال إلكتريك ونورتل نِتْورك وكادبوري شْوِبْس (General Electric, Nortel Networks & Cadbury Schweppes) ويمثلها داخل الولايات المتحدة، في نشاطاتها الصناعية، عدنان خاشقجي (صهر محمد الفايد الأسبق)، بيد أن أرصدتها المالية تديرها كارليل غروب (Carlyle Group). وحتى عام ١٩٩٦، كان المصرفي النازي فرانسوا جونو (Genoud)، منفذ وصية الدكتور غوبلز وممول أنشطة كارلوس، هو الذي يتولى من لوزان تأسيس فروع مجموعة بن لادن السعودية، بصفته مستشاراً لها. ولا يمكن فصل مجموعة بن لادن السعودية عن النظام الوهابي، ذلك أنها كانت لفترة طويلة المتعهد الرسمي الوحيد لبناء وإدارة الأماكن المقدسة في المملكة، المدينة ومكة. كما أنها فازت بأكثرية المناقصات في أسواق الإسكان والأشغال العامة وإنشاءات القواعد العسكرية الأميركية في العربية السعودية وإعادة إعمار الكويت بعد حرب الخليج. وبعد وفاة الشيخ محمد بن لادن جراء حادث تعرض له في العام ١٩٦٨، خلفه ابنه البكر سالم. وقضى هذا الأخير نحبه، بدوره، في «حادث» طائرة وقع في تكساس عام ١٩٨٨. بعد ذلك التاريخ انتقلت إدارة المجموعة إلى يدي بكر، ثاني أبناء المؤسس.

وابن لادن، المولود بتاريخ ١٩٥٧، يحمل دبلوماً في الإدارة والاقتصاد من جامعة الملك عبد العزيز، ومعروف عنه أنه رجل أعمال ماهر. وفي العام ١٩٧٩، طلب منه ولي أمره، الأمير تركي الفيصل آل سعود (مدير المخابرات السعودية من ١٩٧٧ حتى آب/أغسطس ٢٠٠١)، أن يتولى الإدارة المالية لعمليات السي.آي.إي السرّية في أفغانستان. لقد وظفت السي.آي.إي ملياري

دولار في أفغانستان لمكافحة الوجود السوفياتي فيها، ما جعل كلفة هذه العمليات أعلى كلفة في تاريخ عملياتها. لقد جندت الاستخبارات السعودية والأميركية الإسلاميين ودربتهم وسلحتهم واستخدمتهم في الجهاد ضد السوفيات نيابة عنها[٢]. وقد تولى ابن لادن إدارة احتياجات هذا العالم غير المتجانس بواسطة ملفات معلوماتية سميت بـ«القاعدة» (إشارة إلى قاعدة المعلومات).

أهملت الولايات المتحدة إثر هزيمة الاتحاد السوفياتي، مصير أفغانستان إهمالاً كاملاً، واضعة إياه في عهدة أمراء الحرب والمجاهدين الذين جندوا من أرجاء العالم العربي الإسلامي كافة لمقاومة الجيش الأحمر. كان أسامة بن لادن، حينذاك، قد كفّ عن العمل لحساب السي.آي.إي واسترجع أولئك المجاهدين ليعملوا لحسابه الخاص. في العام ١٩٩٠، كان قد عرض على المملكة السعودية وضع رجاله في خدمتها لطرد «المرتد العلماني»، صدام حسين، خارج الكويت، مبدياً امتعاضه من تفضيل إيكال المهمة للتحالف الذي نشأ بقيادة بوش الأب (الرئيس)، وديك تشيني (وزير الدفاع آنذاك) وكولن باول (قائد الأركان العامة آنذاك).

ولم يلبث الإسلاميون أن انقسموا إلى فريقين، تبعاً لكونهم إما حلفاء للأميركيين ـ السعوديين وإما خصوماً لهم. وجد بن لادن نفسه وسط مجموعة يقودها الزعيم السوداني حسن الترابي كما احتل ياسر عرفات أيضاً موقعه فيها. وقد شاركوا معاً في مؤتمرات شعبية عربية وإسلامية في الخرطوم.

في العام ١٩٩٢، أنزلت الولايات المتحدة قوات لها بتفويض من الأمم المتحدة في حملة أطلق عليها اسم «استرجاع الأمل». وووجهت هذه القوات بالنار من قبل بعض قدماء المحاربين في أفغانستان. وشارك هؤلاء في عملية أودت بحياة ١٨ جندياً أميركياً من الـ GI's. وحُمّلت مسؤولية الصدامات لأسامة بن لادن. حزمت الولايات المتحدة أمتعتها وانسحبت. فظهر ابن لادن بنظر المخيّلة الجماعية منتصراً على الأميركيين بعد أن هزم السوفيات.

جُرِّد أسامة بن لادن عندئذ من جنسيته السعودية واستقر في السودان. وإذ انفصل عن عائلته، فقد أخذ حصته من الإرث المقدرة بثلاثمائة مليون دولار[٣]. وظّف ابن لادن هذا المبلغ في إنشاء عدة مصارف وشركات زراعية غذائية، وللتوزيع المحلي. بادىء ذي بدء، وبدعم من الكولونيل عمر حسن البشير، ثم من حسن الترابي، عمد إلى تطوير عدة شركات في السودان، بانياً فيه مطاراً وطرقات، ومادّاً خطاً لأنابيب النفط ومسيطراً على القسم الأكبر من إنتاج الصمغ العربي. وبالرغم من هذه الإنجازات فقد طرد من السودان في العام ١٩٩٦ بضغط من مصر، التي اتهمته بتدبير مؤامرة لاغتيال الرئيس حسني مبارك. حينئذ عاد ثانية إلى أفغانستان.

في حزيران/يونيو ١٩٩٦، لقي تسعة عشر جندياً أميركياً حتفهم في هجوم على قاعدة الخُبر العسكرية. اتهمت الولايات المتحدة أسامة ابن لادن بأنه مدبر هذا الهجوم. ورد على ذلك بأن دعا إلى الجهاد ضد الولايات المتحدة وإسرائيل في ندائه الشهير «اطردوا المشركين من شبه الجزيرة العربية». واستخدم في ذلك الحجج ذاتها التي كان قد استخدمها أثناء تعاونه مع السي.آي.إي في أفغانستان. فبات متوجباً على كل مسلم أن يحرر أراضي الإسلام المحتلة، باستثناء أنه من الصعوبة بمكان مقارنة الاحتلال السوفياتي الدموي لأفغانستان بقواعد عسكرية أميركية اتفق على إنشائها في العربية السعودية. ولما لم يلق نداء الملياردير أي صدى في الأوساط الإسلامية الشعبية، بادر في العام ١٩٩٨ بالاشتراك مع الزعيم الإسلامي المصري أيمن الظواهري إلى تشكيل جبهة إسلامية أممية ضد اليهود والصليبيين.

في السابع من آب/أغسطس ١٩٩٨، وقعت اعتداءات على السفارتين الأميركيتين في دار السلام (تانزانيا) ونيروبي (كينيا) نتج عنها قتل ٢٤٨ شخصاً، وأكثر من أربعة آلاف وخمسماية جريح. وقد اتهمت الولايات المتحدة أسامة بن لادن بتدبيرها. أمر الرئيس كلينتون بإطلاق ٧٥ صاروخاً بعيد المدى على معسكري جلال أباد وخوست (أفغانستان) وعلى مصنع الشفاء (السودان). ودان

الـ إف.بي.آي ابن لادن ودفع ثمناً لرأسه مبلغ ٥ مليون دولار. وجُمِّدت جميع أرصدته المالية.

في الثاني عشر من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠ ألحق اعتداء بقارب مطّاطي مليء بالمتفجرات، الضرر بالمدمرة يو.إس.إس.كول (USS Cole) أثناء رسوّها في عدن، مودياً بحياة ١٧ بحاراً وموقعاً ٣٩ جريحاً. واتهمت الولايات المتحدة أسامة بن لادن بتدبير هذا الاعتداء.

في الثامن من أيار/مايو ٢٠٠١، كشف دونالد رامسفيلد عن أن عدو الولايات المتحدة رقم ١ قد حاز على أسلحة جرثومية وكيميائية، علاوة على أنه على وشك تركيب قنبلة ذرية وإطلاق قمر صناعي.

في حديث أجرته معه شبكة بي.بي.أس (PBS) [٤] عبر برنامج فرونتلاين المتلفز، عبّر ملتون بيردن (رئيس سابق لمركز السي.آي.إي في السودان، في الثمانينات، وأحد المسؤولين الرئيسيين عن عمليات الوكالة السياسية في أفغانستان) عن رأيه في هذا الشأن مشككاً: «إن التبسيط الأقصى والربط بينه [أسامة بن لادن] وبين جميع الأنشطة الإرهابية في العقد المنصرم فيه إهانة لـ [ذكاء] غالبية الأميركيين. ولا يشجع هذا الأمر، بالتأكيد، حلفاءنا لحملنا على محمل الجد في هذا الشأن». وأردف ملتون بيردن، الذي استعاد حريته في الكلام منذ إحالته على التقاعد، في العام ١٩٩٤، قائلاً: «ثمة في كل ذلك كثير من الاختلاق. إنها خرافة أسامة بن لادن. وهي جزء من الاستعراضية. لم يعد لدينا عدو وطني منذ أن قضي على امبراطورية الشر [الاتحاد السوفياتي] عام ١٩٩٢. أرى أننا نحب ذلك. نحب كل هذا الإرهاب الدولي الغريب بعض الشيء في وقت يُغيّر فيه وجهه [الإرهاب الحقيقي] تغيّراً مأساوياً».

ومهما يكن من أمر، «يجب أن يستمر المشهد»: اتهمت الولايات المتحدة أسامة بن لادن بأنه مدبّر اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. فأعلن وزير الخارجية كولن باول أمام الارتياب الذي أبداه السفراء، في

برنامج **لقاء مع الصحافة** على شبكة إن. بي. سي (NBC): «نحن منكبّون انكباباً صارماً على تركيب جميع التحقيقات القضائية والمعلومات، وأعتقد أننا ستتمكن في القريب العاجل من نشر وثيقة نعرض فيها بوضوح الإثباتات التي نحوز عليها والمتعلقة بعلاقته بهذا الهجوم»[٥]. إن هذه الوثيقة التي أعلن عنها عدة مرات لم تأخذ قط طريقها إلى النشر.

في الرابع من تشرين الأول/أكتوبر، قدّم رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير، أمام مجلس العموم، تقريراً بعنوان **المسؤولية عن الفظاعات المرتكبة ضد الولايات المتحدة**[٦]. والحجة الوحيدة التي حملها التقرير تتلخص في أنه «لا توجد منظمة لديها الدوافع والقدرة على شن اعتداءات من طراز تلك التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر، سوى شبكة القاعدة التي يتزعمها أسامة بن لادن».

وصرح وزير الخارجية الباكستاني، رياض محمد خان، في اليوم ذاته أن «الأدلة» الأميركية التي سُلِّمت لحكومته «وفرت قاعدة كافية لمقاضاة [ابن لادن]». ولم تأخذ قط هذه «الأدلة» المصنفة أسراراً عسكرية طريقها إلى العلانية.

في السابع من تشرين الأول/أكتوبر، أخطر سفيرا الولايات المتحدة وبريطانيا الأمم المتحدة بالحملة العسكرية التي شنها بلداهما ضد أفغانستان[٧]. كتب نيغروبونتي (الولايات المتحدة) يقول: «حصلت حكومتي على معلومات واضحة لا تقبل الدحض تفيد بأن منظمة القاعدة المدعومة من حكومة طالبان لعبت دوراً بارزاً في الهجمات». هذه المعلومات «الواضحة وغير القابلة للدحض» لم تنقل قط إلى مجلس الأمن.

كشفت صحيفة صانداي تلغراف، في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر، النقاب عن وجود شريط ڤيديو (سُجل بتاريخ ٢٠ تشرين الأول/أكتوبر) يعلن فيه أسامة بن لادن مسؤوليته عن الاعتداءات: «شكّل البرجان التوأمان هدفين شرعيين. كانا يشكلان ركيزة للقدرة الاقتصادية الأميركية. كانت تلك الحوادث

ضخمة من كافة الوجوه. ما دمّر لم يكن البرجان التوأمان فحسب، وإنما برجا معنويات هذا البلد». وقد تضمن الشريط أيضاً تهديداً للرئيس الأميركي ورئيس الحكومة البريطاني: «لا يفهم بوش وبلير سوى لغة توازن القوة. ففي كل مرة يقتلون منّا نقتل منهم، حتى نبلغ توازناً للقوى بيننا وبينهم». أكد طوني بلير، هذه المعطيات في اليوم ذاته، عبر ما ذكره أمام مجلس العموم بأنه قد اطّلع على نسخة من الشريط. ذكر بلير هذا الشريط ـ اللغز في تقريره المعدل[٨]. يتعلق الأمر في الواقع بمقابلة أجرتها شبكة الجزيرة الإخبارية وبثتها السي. إن. إن في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢.

حدث فجائي: **كشفت واشنطن بوست**، في التاسع من كانون الأول/ديسمبر، في صفحتها الأولى، النقاب عن وجود شريط جديد[٩]. وإذ سجله أحد المقربين من العدو رقم ١ في ١١ أيلول/سبتمبر، فإنه يبيّن ردات فعل أسامة بن لادن إزاء الأحداث ويثبت بصورة قاطعة مسؤوليته عن التخطيط لها. حسب **رويترز**، التي تحدثت نقلاً عن مصدر رسمي دون تسميته، أشار زعيم القاعدة حتى إلى أن معظم القراصنة لم يكونوا من الانتحاريين بل كانوا يجهلون أنه سيضحّى بهم.

أثناء استضافة شبكة أي. بي. سي (ABC) في برنامجها **هذا الأسبوع**، علّق نائب وزير الدفاع، پول ولفوويتس، قائلاً: «هذا منافٍ للعقل. أقصد، ها هو ذا رجل يعتد ويتلذذ بإزهاق أرواح آلاف من البشر الأبرياء. وذلك إنما يؤكد جميع ما كنا نعلمه من قبل عن هذا الرجل. لا شيء مستجد ومستغرب في ذلك. إنه مجرد تأكيد. آمل أن نتخلص بصورة نهائية من النظريات التآمرية غير المعقولة التي تقول، بشكل من الأشكال، بأن الولايات المتحدة أو أي طرف آخر يقف وراء ما حدث»[١٠].

لقد نشر البنتاغون هذا الشريط في ١٣/١٢/٢٠٠١. والذي يدلي فيه بن لادن باعترافات مطابقة في جميع وجوهها للرواية الرسمية، وهي رواية، كما نعلم، بعيدة كل البعد عن الواقع.

يقول ابن لادن: «ظننت أن الحريق الذي أحدثه محروقات الطائرة من شأنه أن يذيب الهيكل المعدني [لمركز التجارة العالمي] ويطيح بالقسم المصاب والطبقات الأعلى دون سواها. هذا ما كنا نتمناه (...) أنجزنا عملنا ذلك اليوم وأدرنا المذياع (...) بدَّلنا المحطة لالتقاط أنباء واشنطن. تابعنا نشرة الأخبار حتى نهايتها. لم يكن فيها ذكر للهجوم إلا في خاتمتها. حينئذٍ، أعلن الصحافي أن طائرة تحطمت على مركز التجارة العالمي (...) انقضت برهة أعلن على أثرها أن طائرة أخرى خرقت مركز التجارة العالمي. الأخوة الذين سمعوا الخبر طاروا من الفرح (...) والإخوة، الذين قادوا العملية، كل ما كان يعرفونه هو أنهم يقومون بتنفيذ عملية استشهادية، وطلبنا منهم جميعاً أن يتجهوا إلى أمريكا، لكنهم لم يكونوا يعرفون أي شيء عن العملية، حتى كلمة واحدة. غير أنهم كانوا مدرَّبين ولم نعلمهم بشيء عن العملية حتى لحظة وصولهم إلى هناك وتهيُّؤهم للصعود إلى الطائرات (...) تملكهم فرح جنوني لما صدمت الطائرة الأولى المبنى، وقلت لهم: «اصبروا» (...) انقضت فترة عشرين دقيقة بين الطائرة الأولى والثانية اللتين تحطمتا على البرجين وانقضت ساعة بين الطائرة الأولى وتلك التي تحطمت على البِنتاغون»[11].

إن عميل ابن لادن لم يعمد فقط إلى تدعيم الأكذوبة القائلة أن انهيار البرجين تمَّ بفعل الاحتراق، وأكذوبة الفرق الانتحارية وأكذوبة سقوط الطائرة على البِنتاغون حتى، بل حرص على مجافاة البداهة. حقاً، فإن الشريط ينتهي بهذا التعليق لشريكه: «كانوا [أي الأميركيون] مذعورين وقد ظنّوا أن الأمر يتعلق بانقلاب سياسي». صدّق، فعدو الولايات المتحدة رقم ١ هو الذي يؤكد ذلك...

***

لم تعد مسؤولية المجرم أسامة بن لادن عن اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر موضع شك طالما أنه اعترف بالأعمال التي لم تحصل حتى. ولكن هل قطع ابن لادن فعلاً علاقاته بالسي.آي.إي وصار عدواً لأميركا؟

بين عامي ١٩٨٧ و١٩٩٨ تولى علي محمد، ضابط مصري سابق انضم إلى الجيش الأميركي، الإشراف على تدريب مقاتلي القاعدة. وكان علي محمد يدرِّس في الوقت ذاته، في مدرسة ومركز جون كندي للقتال الخاص، حيث كان يدرب الأعضاء الأكثر سرية في شبكات الظل، وضباط القوات الأميركية الخاصة[12]. إذا ما علمنا ما هي القواعد الأمنية التي تعتمدها الأجهزة السرية الأميركية والتي تقضي بمراقبة العملاء بعضهم البعض، هل يصدق ولو للحظة واحدة أنه كان بمقدور علي محمد أن يعمل بالتناوب في قاعدة عسكرية في الولايات المتحدة وفي قواعد تنظيم القاعدة في السودان وفي أفغانستان من دون أن يفتضح أمره؟ إن توقيف علي محمد تحت أضواء وسائل الإعلام الكاشفة يكفي لإخفاء أن رجل الظل كان يدرب مقاتلي القاعدة وبالتالي فإن أسامة بن لادن كان مستمراً في العمل لحساب السي.آي.إي. على الأقل حتى العام ١٩٩٨!

كيف لنا من ناحية أخرى أن نسهو عن أن أسطورة بن لادن ليست سوى ستار صنعته السي.آي.إي من ألفه إلى يائه؟ هكذا أريد لنا أن نصدق الرواية القائلة بأن ابن لادن تمكن من طرد أقوى جيش في العالم، من الصومال، بالاعتماد على حفنة من المقاتلين لا تتعدى العشرين!!!

كما وأن اعتداءي نيروبي ودار السلام صُوِّرا على أنهما موجهان ضد الأميركيين، في حين لم يكن أي أميركي في عداد القتلى الأحد عشر في دار السلام، ولم يسقط سوى اثني عشر قتيلاً من الأميركيين من أصل القتلى المئتين وثلاثة عشر. إن مدبري هذين الاعتداين المزعومين ضد الأميركيين قد حرصوا على تحميل عواقبهما لغيرهم من الأطراف[13].

في الواقع، استمرت السي.آي.إي في اعتمادها على خدمات أسامة بن لادن ضد النفوذ الروسي كما فعلت ضد السوفيات. ليس من الحكمة في شيء التخلي عن فريق رابح. إن «الفرقة العربية» التابعة للقاعدة استخدمت، عام ١٩٩٩ لمساندة ثوار كوسوفو ضد دكتاتورية بلغراد[14]. وكانت فعاليتها ثابتة في

الشيشان، أقله حتى تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١ حسب ما أكّدت صحيفة نيويورك تايمز[١٥]. إن عداء ابن لادن المزعوم للولايات المتحدة يسمح لواشنطن أن تتنكر لمسؤوليتها عن تلك الضربات القذرة.

لم تكن العلاقات بين السي.آي.إي وابن لادن مقطوعة في العام ١٩٨٨. إذ كان شديد الإعياء. فقد توجه إلى المستشفى الأميركي في دبي طلباً للمعالجة في الفترة ما بين ٤ و١٤ تموز/يوليو ٢٠٠١. وأفادت صحيفة لوفيغارو[١٦]: «عاده، أثناء استشفائه عدة أفراد من عائلته وشخصيات سعودية وإماراتية. وخلال إقامته تلك، شوهد مندوب السي.آي.إي المحلي، وهو معروف من الكثيرين في دبي، مستقلاً المصعد الرئيسي للوصول إلى غرفة أسامة ابن لادن».

وأفاد مراسل الـ سي.بي.إس (CBS) [١٧]: «عشية اعتداءات الحادي عشر من أيلول سبتمبر الإرهابية كان أسامة بن لادن في الباكستان (...) أُدخل سرّاً إلى مستشفى عسكري في راوالپندي للخضوع لعملية غسل للكلى».

الرجل الذي أعلن الجهاد ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، والرجل الذي عرض الـ إف.بي.آي مبلغ خمسة ملايين دولار ثمناً لرأسه، والرجل الذي دُمِّرت قواعد التدريب الخاصة به بصواريخ بعيدة المدى، هذا الرجل يتلقى العلاج في مستشفى أميركي في دبي، حيث يتحادث مع قائد مركز السي.آي.إي فيها، ثم يخضع لعملية غسل للكلى تحت حماية الجيش الباكستاني في راوالپندي.

ثمة مقربون من ابن لادن وأعضاء من القاعدة متورطون في هذا الخداع. مثلاً، قيل أن مصنع الشفاء (السودان) قد استخدمه ابن لادن، حسب الرواية الرسمية الأميركية، لصناعة أسلحة كيميائية للدمار الشامل. ولذلك تعرض للقصف من قبل سلاح الجو الأميركي عام ١٩٩٨. هذا مع العلم أن مراقبين دوليين، كانوا قَدِمُوا لتفقد الدمار، نفوا أن يكون المصنع قد أنتج مادة غير مادة الأسبيرين. كان هذا المصنع ملكية مشتركة لإبن لادن وصلاح إدريس. وقد اتهمت السي.آي.إي هذا الأخير بالضلوع في صناعة أسلحة كيميائية وفي تمويل

الجهاد الإسلامي في مصر. جُمِّدت أرصدته المالية، لكن رُفع التدبير في أيار/مايو من العام ١٩٩٩. و«الإرهابي» صلاح إدريس يملك اليوم ٧٥٪ من أسهم شركة (IES Digital Systems) و٢٠٪ من أسهم شركة بروتك (Protec) بواسطة الشركة الخارجية (Global Security Systems) والحال، فإن الـ (IES Digital Systems) تتعهد حالياً أعمال المراقبة المتلفزة للمواقع الحكومية والعسكرية البريطانية، حسبما كشفت عنه البارونة كوكس في مجلس العموم[١٨]. بيد أن بروتك تتعهد أمن أحد عشر مفاعلاً نووياً بريطانياً.

أما في ما يتعلق بمحمد عطا، المتهم من قبل الـ إف.بي.آي بأنه عميل لتنظيم القاعدة. وقائد مجموعات انتحاريّي الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، وبأن حسابه المصرفي قد استخدم من أجل تمويل العملية، فإنه كان أحد عملاء أجهزة الاستخبارات الباكستانية (ISI) ـ وهي التي اعتبرت دائماً ملحقة بالسي.آي.إي[١٩]. في تموز/يوليو ٢٠٠١، ذكرت صحيفة **تايمز أوف إنديا**[٢٠] أن الجنرال أحمد محمود مدير الـ(ISI) حوّل مبلغ مئة ألف دولار لحساب محمد عطا في أحد المصارف في الولايات المتحدة. لم يثر هذا الخبر أي تساؤل في الولايات المتحدة. وفي أحسن الحالات، طلب من الجنرال محمود أن يتحول إلى التقاعد بعد أن عيّن بنفسه خلفاً له.

لم تكن التدابير المتخذة من قبل الولايات المتحدة ضد ابن لادن أكثر إقناعاً. فالصواريخ الخمسة وسبعون البعيدة المدى[٢١] التي استهدفت معسكرات التدريب التابعة لتنظيم القاعدة، ومصنع الشفاء للأدوية، قتلت واحداً وعشرين إسلامياً، وهذا لا يتناسب لا مع الوسائل المستخدمة، ولا مع عدد القتلى في نيروبي ودار السلام البالغ مئتين وتسعين قتيلاً.

كتب الأستاذ ميشال شوسودوفسكي من جامعة أوتاوا يقول: «منذ حقبة الحرب الباردة، ساندت واشنطن، بمعرفة مسبقة، أسامة بن لادن، مع إدراج اسمه على لائحة أكثر الأشخاص المطلوبين للـ إف.بي.آي. ففي حين كان المجاهدون متورطين في الانتفاضات المسلحة لحساب الولايات المتحدة في

البلقان والاتحاد السوڤياتي السابق، كان الـ إف. بي. آي مكلّفاً باقتياده إلى الولايات المتحدة وبشن حرب ضد الإرهاب. من البديهي أن المسألة تتعلق هنا ليس فقط بأعمال متناقضة، بل بسياسة كذب على المواطنين، لأن السي. آي. إي تدعم، منذ الحرب السوڤياتية ـ الأفغانية، الإرهاب الدولي بواسطة عملياتها السرّية»[٢٢].

* * *

من جهة، ليس أسامة بن لادن عدواً للولايات المتحدة بل عميلاً لها؛ ومن جهة أخرى لم يحدث أنه قطع صلاته مع عائلته التي تحتفظ بعلاقة شراكة تجارية أساسية مع آل بوش[٢٣].

ذكرنا سابقاً أن الأرصدة المالية لمجموعة بن لادن السعودية تدار من قبل مجموعة كارليل (Carlyle Group).

إن مجموعة كارليل التي أسست عام ١٩٨٧ تدير اليوم محفظة تبلغ أرقامها اثني عشر مليار دولار. وهي تمتلك أكثرية أسهم شركة سفن أب (المتعهدة تعبئة زجاجات كادبوري شْوِبْس)، وفدرال داتا كوربورايشن (التي جهزت مثلاً إدارة الطيران الاتحادية بنظامها لمراقبة حركة الطيران المدني). واليونايتد ديفانس إندَسْتريز إنك (المجهز الرئيسي للجيوش الأميركية والتركية و السعودية). وتحتل مجموعة كارليل، من خلال الشركات التي تشرف عليها، المرتبة الحادية عشرة بين شركات التسليح الأميركية.

في العام ١٩٩٠، اتهمت مجموعة كارليل بقضية ابتزاز أموال. إذ إن أحد الضاغطين في الحزب الجمهوري، وين برمان، قام بابتزاز أموال تعود لصناديق تقاعد الأميركيين، وذلك لتمويل حملات آل بوش الانتخابية؛ وكان أحد هذه الصناديق قد وافق على دفع مليون دولار لمجموعة كارليل مقابل فوزه بمناقصة عامة أجرتها ولاية كونكتيكت.

هذه الصناديق يرأسها فرانك كارلوتشي (المدير المساعد الأسبق للسي.آي.إي، ثم وزير الدفاع). عاونه جايمس أ. بايكر الثالث (الرئيس الأسبق لمكتب الرئيس ريغان، ثم وزير المال، وأخيراً وزير الخارجية في إدارة

بوش الأب) وريتشارد دارمان (المدير الأسبق للموازنة) ومن أجل تأمين تمثيلها في الخارج لجأت مجموعة كارليل إلى خدمات جون مايجور[٢٤] (رئيس الوزراء البريطاني الأسبق) وجورج بوش الأب[٢٥] (مدير السي.آي.إي الأسبق، ثم رئيس الولايات المتحدة).

بين القادة الآخرين لمجموعة كارليل، نجد سامي مبارك باعرما، المفوض من قبل خالد بن محفوظ، والمدعو طلعت عثمان. وهما شخصان وثيقا الصلة بالرئيس الحالي للولايات المتحدة.

حقاً، تعود ثروة جورج دبليو بوش الشخصية إلى ما حققه من صفقات على رأس شركة هاركن النيرجي (Harken Energy) [٢٦]. هذه الشركة النفطية الصغيرة في تكساس كانت قد فازت بالامتيازات النفطية البحرانية على سبيل عمولات مكتسبة جراء عقود أميركية كويتية قام الرئيس جورج بوش الأب بالتفاوض في شأنها[٢٧]. وهذه العملية، بطبيعة الحال، كانت عملية غير شرعية على الإطلاق.

كان خالد بن محفوظ مساهماً في هاركن بنسبة ١١,٥٪. وحامل هذه الأسهم هو أحد مفوضيه، واسمه عبد الله طه بخش. وكان طلعت عثمان مديراً. بيد أن سالم، شقيق بن لادن الأكبر، كان قد فوض الأميركي، جايمس ر. باث لتمثيله في مجلس إدارة هاركن.

وكان هذا العالم الصغير المتنوع (آل بوش، وأتباعهم السياسيون، وشركاؤهم الماليون، والسي.آي.إي الحاضرة على الدوام) قد اعتاد على هذا التلاعب. فقد لعب دوراً مركزياً في الفضيحة المصرفية الكبرى في التسعينات: إفلاس الـ بي.سي.سي.آي (BCCI) [٢٨].

كان مصرف التسليف والتجارة الدولية (BCCI) مؤسسة إنكليزية ـ باكستانية حاضرة في ثلاثة وسبعين بلداً وكانت تملكها ثلاث عائلات مجتمعة: آل غوكال (باكستان)، وآل بن محفوظ (العربية السعودية) وآل غيث فرعون[٢٩] (أبو ظبي).

استخدم رونالد ريغان المصرف لرشوة الحكومة الإيرانية كي تؤخر الإفراج عن الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران، وبالتالي تخريب نهاية ولاية جيمي كارتر (عملية سميت «مفاجأة أكتوبر»). ومن ثم، استخدمت إدارة ريغان أيضاً الـ بي.سي.سي.آي، بتشجيع من المدير الأسبق للسي.آي.إي ونائب الرئيس، جورج بوش الأب، لتمرير الهبات السعودية المرسلة إلى قوات الكونترا (Contras) في نيكاراغوا، ومن أجل تمرير أموال السي.آي.إي للمجاهدين في أفغانستان. والـ بي.سي.سي.آي متورطة أيضاً في صفقات أسلحة قام بها الوسيط السوري سركيس ساركيناليان، وفي فضيحة كيتينغا في الولايات المتحدة، وفي صفقات التاجر مارك ريش، وفي تمويل جماعة أبو نضال، الخ. في نهاية المطاف، غرق المصرف لما ثبت أنه يقوم بتبييض أموال كارتل مديلين. وعندما أقفل هذا المصرف أبوابه، اختلس أموال مليون من صغار المودعين.

لا غرابة في أن يكون مصرف الـ بي.سي.سي.آي قد استخدم أداة طيّعة، إن لم يكن صنعة السي.آي.إي. نفسها. ثمة. تقليد مصرفي عريق في الأجهزة السرية الأميركية، منذ أن أسّس فريقاً من محامي الأعمال، والسماسرة، في وول ستريت مكتب الأجهزة السرية (OSS). سبق لمديرين سابقين لـ سي.آي.إي، ريتشارد هلز ووليم كايسي، أن عملا في الـ بي.سي.سي.آي، علاوة على اثنين من عملاء نافذين لـ سي.آي.إي هما عدنان خاشقجي[٣٠] (ممثل مجموعة بن لادن السعودية في الولايات المتحدة) ومانوشير غبانيفار (الوسيط الرئيسي في صفقة إيران غيت). ناهيك عن كمال أدهم (نسيب الملك فيصل ورئيس الأجهزة السرية السعودية حتى عام ١٩٧٧)، والأمير تركي الفيصل آل سعود (رئيس الأجهزة السرية السعودية من ١٩٧٧ حتى آب/أغسطس ٢٠٠١ وولي أمر أسامة ابن لادن)، وعبد الرؤوف خليل (نائب رئيس الأجهزة السرية السعودية).

ونشير، على سبيل التذكير، إلى أن الـ بي.سي.سي.آي يبدو أنه لعب أيضاً دوراً خفياً في فرنسا. فهو أسهم خصوصاً في إخفاء تحويل التكنولوجيا النووية الأميركية ـ الفرنسية إلى الباكستان والمبالغ المدفوعة مقابل تحرير

الرهائن. فقد أدين دومنييك سانتيني، رجل الأعمال المقرب من شارل پاسكوا، في الخارج بسبب الدور الذي لعبه في الـ بي.سي.سي.آي[٣١]، وهذا بمعزل عن التهمة الموجهة إليه في فرنسا في قضية إلف ـ ثينت (Elf-Thinet). بعد مضي ثلاث سنوات على انهيار المصرف، إنهم مدراؤه السابقون الذين لعبوا دور الوسيط في صفقة الزوارق المعروفة بصواري ٢ (Sawari-II) ونظموا نسقاً من العمولات المخصصة لتمويل حملة إدوار بلادور الرئاسية. إن التساؤلات المثارة إثر بيع الزوارق للعربية السعودية قادت جاك شيراك، ما إن وطأت قدماه قصر الإليزيه، إلى وضع مكالمات فرانسوا ليوتار، وزير الدفاع الأسبق في حكومة إدوار بلادور، موضع رقابة.

وكان مصرف الـ بي.سي.سي.آي. يعمل بتعاون وثيق مع الـ (SICO) [٣٢]، الفرع السويسري لاستثمارات مجموعة بن لادن، وكان من بين مدرائها أحد أشقاء أسامة بن لادن واسمه سالم.

باعتباره مسؤولاً عن إفلاس الـ بي.سي.سي.آي مسؤولية تضامنية، فقد أدين خالد بن محفوظ في الولايات المتحدة عام ١٩٩٢. ونجح في رفع الأعباء عن كاهله عام ١٩٩٥ على إثر تسوية أجراها مع دائني المصرف بلغت قيمتها ٢٤٥ مليون دولار.

* * *

ولئن كان صحيحاً، كما زعم رسميون أميركيون كثر، أن آل بن لادن ما زالوا يقيمون الصلات مع أسامة ويمولون أنشطته السياسية، فإن مجموعة كارليل، المكلفة بإدارة التوظيفات المالية لمجموعة بن لادن السعودية، تكون في هذه الحال متورطة بالضرورة في جريمة المطّلع. وجورج بوش قد يكون أحد المستفيدين المحظوظين من التلاعب الذي حصل في البورصة والمرتبط بحادثة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. وذلك هو سبب كاف لدفع الـ إف.بي.آي والـ IOSCO إلى إقفال الشق المالي من التحقيق.

هوامش الفصل الثامن

(١) عرضت عدة كتب سيرة ابن لادن. معظمها تتصف بالدعاية أو الإثارة أكثر مما تتصف بالتحقيق الرصين. الكتب الأكثر مبيعاً مثل، **ابن لادن الرجل الذي أعلن الحرب على أمريكا ليوسف بودانسكي** (*Bin Laden, the Man who Declared War on America* de Yossef Bodansky, Prima Publishing éd., 1996). [بودانسكي هو من ناحية أخرى مستشار للكونغرس] أو **باسم أسامة بن لادن لرولان جاكار** (*Au nom d'Oussama Ben Laden* de Roland Jacquard, Jean Picollec éd., 2001)، كلها تعتمد على تقارير غير منشورة أعدتها أجهزة الاستخبارات، فإذاً على معلومات لا يسعنا التأكد من صحتها. والأكثر جدية هي التحقيقات التي أجرتها مجلة فرونتلاين التلفزيونية على محطة PBS، لاسيما. **مطاردة ابن لادن (٢٠٠١) وداخل شبكة الإرهاب (٢٠٠٢)** (*Hunting Bin Laden* (2001) et *Inside the Terror Network* (2002)). مسجلة كاملة على (http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows).

(٢) انظر **دولارات الإرهاب، الولايات المتحدة والإسلاميون** تأليف ريشار لابيڤيير (غراسّيه، ١٩٩٩)، **والجهاد، انتشار الإسلاموية وانهيارها**، تأليف جيل كيبل (غاليمار، ٢٠٠٠).

(٣) بخصوص توظيفات أسامة بن لادن المالية، يراجع كتاب: **ابن لادن، الحقيقة الممنوعة**، تأليف جان ـ شارل بريزار وغيّوم داسكييه (Ben Laden, La Vérité interdite de Jean-Charles Brisard et Guillaume Dasquié, Denoël éd., 2001).

(٤) **مطاردة بن لادن**، فرونتلاين (2001 PBS) /http://www.pos.org/wgbh/pages/frontline).

(٥) طوني بلير، «المسؤولية عن فظاعات الإرهاب داخل الولايات المتحدة»، ١١ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١ (الصيغة الأولى) (http://www.number10.gov.uk/evidence.htm).

(٦) **لقاء مع الصحافة**، إن. بي. سي (NBS)، ٢٣/ ٩/ ٢٠٠١ (http://www.state.gov/secretary/rm/2001/index.cfm?docid=5012).

(٧) والتر پينكوس وكارن دي يونغ، «شريط جديد يدين ابن لادن»، **واشنطن پوست**، ٩/ ٢/ ٢٠٠١ (http://www.washingtonpost.com).

(٨) رسالة السفير نيغروپونتي إلى رئيس مجلس الأمن. وثيقة الأمم المتحدة ٩٤٦/ ٢٠٠١/ S. راجع أيضاً رسالة السفير إلدون، وثيقة الأمم المتحدة ٩٤٧/ ٢٠٠١/ S.

(٩) طوني بلير، «المسؤولية عن فظاعات الإرهاب داخل الولايات المتحدة»، ١١ أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١ (الصيغة الثانية) تحمّل عن بعد على العنوان: (http://www.pm.gov.uk/file.asp?fileid=2590).

(١٠) **هذا الأسبوع**، ABC، ٩/ ١٢/ ٢٠٠١.

(١١) النص الحرفي للشريط كما أعلنته وزارة الخارجية مثبت في الملحق.

(١٢) بنيامين ڤايزر وجايمس رايزن، «كيف تقنع مناضلاً» **نيويورك تايمز** ١/ ١٢/ ١٩٩٨.

(١٣) رافائيل پيرل، «الإرهاب: رد أميركا على تفجيري كينيا وتانزانيا، توجه سياسي جديد؟» (Congressional Research Service The Library of Congress, 1er Septembre 1998) تحميل عن بعد على العنوان (hhp://www.gov/crstmp/98-733.pbf)؛ العنف السياسي ضد الأميركيين وحوادثه المعبّرة وزارة الخارجية الأميركية (١٩٨٨) تحميل عن بعد على العنوان (hhp://www.dsosac.org/publications/documents 1998.pdf).

(١٤) ميشال شوسودوڤسكي، «أسامة غيت» مركز الأبحاث حول العولمة ٩/ ١٠/ ٢٠٠١ (http://www.globalresearch.ca/articles/CHO11OA.html)؛ و«جنود بن لادن في البوسنة وكوسوڤو» بقلم كوستا كريستيتش، **بالكان إنفو** تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠١.

(١٥) مايكل واينز «الحرب ضد الإرهاب تسلط أضواء جديدة على النزاع في الشيشان» **نيويورك تايمز** ٩/ ١٢/ ٢٠٠١ (http://www.nytimes.com).

(١٦) الكساندرا ريشار، «السي. آي. إي تلتقي ابن لادن في دبي، في تموز/ يوليو، **لوفيغارو** ٣١/ ١٠/ ٢٠٠١.

(١٧) باري پترسن، «عامل المستشفى: رأيت أسامة» سي. بي. إس (CBS)، ٢٩/ ١/ ٢٠٠٢ (http://www.cbsnews.com).

(١٨) أنطوني بارنت، وكونال والش «الإرهاب يتصل بأجهزة الرقابة المتلفزة في المملكة المتحدة» **أوبزرڤر** ١٤/ ١٠/ ٢٠٠١؛ و«شركات حراسة المنشآت النووية البريطانية» بقلم نفس الكتاب، **أوبزرڤر**، ٤/ ١١/ ٢٠٠١ (http://www.observer.co.uk).

(١٩) ب. رامان، «جهاز الاستخبارات الباكستانية (ISI)»، South Asia Analysis Group, Paper 287, 1er août 2001 (http://www.saag.org).

(٢٠) *India Helped FBI trace ISI-Terrorist Link*, in *Times of India* du 9 octobre http://www.timessofindia.com.

(٢١) الصواريخ من طراز بي. جي. أم ـ ١٠٩ (BGM ١٠٩) توماهوك هي من صنع «جنرال داينميكس» بالتعاون مع «ماكدونيل دوغلاس». تبلغ قيمة الفاتورة المقدمة للجيش الأميركي بين ٦٠٠ ألف ومليون ومئتي ألف دولار تبعاً لأنواعها. كلفة الذخائر لهذه العملية الانتقامية وحدها بلغت إذاً بين خمسة وأربعين وتسعين مليون دولار.

(٢٢) ميشال شوسودوڤسكي، «من هو أسامة بن لادن؟» **لوتر جورنال** تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١. مقال على العنوان (http://www.globalresearch.ca/articles/CHO1094.html).

(٢٣) عالجنا هذه العلاقات تفصيلياً في ملف «العلاقات المالية الخفية بين آل بوش وآل بن لادن» مذكرة معلومات لشبكة ڤولتير ١٦/ ١٠/ ٢٠٠١ (http://www.prosceso.commx/1303/1303n19.html).

(٢٤) «صلة جون مايجور بآل بن لادن» **سانداي هيرالد** ٧/ ١٠/ ٢٠٠١.

(٢٥) «بوش العرب» في ذي ناشن، ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٠ و*Elder Bush in Big Cast Toiling for Top Equity Firm, in The New York Times* du 5 mars 2001.

(٢٦) في البدء كان اسم هاركن إنرجي كوربورايشن، أربوستو (Arbusto).

(٢٧) *Fuel for Fantasy*, in *Forbes* du 3 septembre 1990; et *Ex-Bush Aide Turns to Stumping for Kuwait... While Jr. Reaps Oil Windfall in the Guardian* du 12 décembre 1990.

(٢٨) كُتب الكثير عن فضيحة الـ بي. سي. سي. آي. رجعنا إلى تقرير وضعه السيناتور جوزف كرّي (مقاطعة مساشوستس) والسيناتور هانك براون (منطقة كولومبيا) وقدم للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ وللجنة المتخصصة بالإرهاب والمخدرات والعمليات الدولية، ٣٠/ ٩/ ١٩٩٢.

النص الحرفي على عنوان (http://www.fas.org/irp/congress/1992-rpt/bcci) راجع أيضاً *Evil: Money, Encounters along the Money Trial* de Rachel Ehrenfeld (Harper Buisiness éd., 1992), *False Profits, The Inside Story of BCCI, The World's Most Corrupt Financial Empire* de Peter Truell et Larry Gurwin (Houghton éd., 1992), *A Full Service Bank, How the BCCI Stole Billions Around the World* (Simon & Schuster éd., 1992), The *Outlaw Bank, A Wild Ride Into the Secret Heart of BCCI* de Jonathan Beaty et S.C. Gwynne (Random House, 1993) et Bankrupt, the BCCI Fraud de Nick Kochan & Bob Whittington (Victor Gollancz Ltd éd., 1991).

(٢٩) ابتاع القائم بأعمال غيث فرعون في فرنسا، فريد جوهري، صفحتين إعلانتين في جريدتي **لوفيغارو ولوموند** في تشرين الثاني/أكتوبر ٢٠٠١. وكان الغرض من هذه العملية تكذيب أي علاقة بين غيث فرعون وأسامة بن لادن، والتأكيد على استقامة أعمال غيث فرعون، إلا أن هذا الأخير ما يزال مطلوباً لـ إف.بي.آي ولـ IRS منذ فضيحة الـ بي.سي.سي.آي. وهو متهم كذلك في الأرجنتين ضمن إطار صفقة للأسلحة تورط فيها الرئيس الأسبق، كارلوس منعم، انظر *Gaith Pharaon s'offre la presse française*, in *Intelligence Online* du 18 octobre 2001 (http:// wwwintel-ligenceOnline.fr.).

(٣٠) رونالد كسلر، عدنان خاشقجي، أغنى رجل في العالم، *Adnan Khashoggi, The Richest Man in the World* de Ronald Kessler (Warner Books Inc. éd., 1986).

(٣١) تيري ميسان، **لغز باسكوا**، *L'énigme Pasqua* de Th. Meyssan (Golias éd:, 2001).

(٣٢) Initialement, la SICO se dénommait CYGNET (في البدء كان اسم SICO، سيغنت CYGNET).

الفصل التاسع

الأعمال مستمرة

في السابع من تشرين الثاني/أكتوبر ٢٠٠١، ظهر جورج دبليو بوش مباشرة على التلفزة في مناسبة رسمية. لم يَجرِ نقلُ خطابه من المكتب البيضاوي، بل من قاعة المعاهدات في البيت الأبيض: أعلن عن بدء الحرب[(١)].

«بناءً لأوامري، بدأت قوات الولايات المتحدة العسكرية بمهاجمة قواعد إرهابيي القاعدة والمنشآت العسكرية التابعة لنظام طالبان في أفغانستان. تستهدف هذه الضربات المحكمة منع استخدام أفغانستان كقاعدة للعمليات، كما أنها موجهة ضد القدرات العسكرية لحكومة طالبان.

تشترك معنا في هذه العملية، صديقتنا الوفية بريطانيا العظمى، وانضم إلينا أصدقاء آخرون، لاسيما منهم كندا واستراليا وألمانيا وفرنسا، لمساعدتنا تباعاً مع تطور العملية. ووافقت أكثر من أربعين دولة في الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا وآسيا على فتح أجوائها ومطاراتها أمام حركة طائراتنا عبوراً وهبوطاً. ووافقت دول كثيرة على تزويدنا بما يتوفر لديها من معلومات. لقد حصلنا على دعم من إرادة العالم الجماعية.

منذ أكثر من أسبوعين، أعلمت قادة طالبان بعدة طلبات واضحة ومحددة: إغلاق قواعد تدريب الأرهابيين، تسليم قادة شبكة القاعدة وتحرير جميع الرعايا

الأجانب، بمن فيهم المواطنون الأميركيون المحتجزون في بلدكم بغير وجه حق. لم يلبوا أياً من هذه المطالب. الآن، سيدفع نظام طالبان الثمن.

(...) سيلمس الشعب المضطهد في أفغانستان أريحية الولايات المتحدة وحلفائها. سنضرب أهدافاً عسكرية، إنما في الوقت نفسه نرمي لهم من الجو مؤناً وأدوية وأدوات للرجال والنساء والأطفال الذين يعانون الجوع في أفغانستان.

الولايات المتحدة بلد صديق للشعب الأفغاني ونحن أصدقاء لحوالي مليار من الناس في العالم ممن يعتنقون الإسلام ديناً. الولايات المتحدة عدوة أولئك الذين يدعمون الإرهابيين والمجرمين البرابرة الذين يدنسون ديناً عظيماً بارتكابهم المجازر باسمه.

(...) نحن لم نتطوع لهذه المهمة، بل سننفذها».

في لندن، توجه طوني بلير بالحديث إلى البريطانيين من مقره الكائن في ١٠ داوننغ ستريت. أكد أن القوات الملكية ستقاتل إلى جانب الأميركيين.

بينما كانت حمم القذائف تتساقط على كابول، بثت قناة **الجزيرة** رداً لأسامة بن لادن كان مسجلاً من قبل[٢].

«ها هي أميركا التي وجه الله لها ضربة استهدفت نقطتها الأكثر جروحية وإيلاماً ما أدى، والشكر لله، إلى تدمير أبنيتها الأكثر سحراً وعظمةً، وإنّا لنشكر الله على هذا ونحمده. ها هي أميركا وقد استولى عليها الذعر والهلع، من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها. وإنّا نشكر الله على هذا ونحمده. لقد وجه الله خطى حفنة من المسلمين الطليعيين الذين دمّروا أميركا ونبتهل لله أن يرفع شأنهم ويفتح لهم أبواب جنانه.

(...) عقب ما حدث، ما صرح به المسؤولون الكبار في الولايات المتحدة، وفي مقدمتهم بوش قائد الكفار في العالم، وبعد أن حشدوا رجالهم وخيلهم [كذا] حرضوا الدول التي تدّعي الإسلام ضدنا (...) خرجوا ليقاتلوا

جماعة متمسكة بدينها زاهدة بأمور الدنيا، خرجوا لمقاتلة الإسلام والاعتداء على الشعوب بحجة الإرهاب.

(...) لقد قسمت هذه الأحداث العالم إلى فسطاطين: المؤمنون والصادقون من جهة، والكافرون، حمانا الرب منهم، من جهة أخرى.

على كل مسلم أن يهب لنصرة دينه لأن رياح الإيمان والتغيير عصفت للقضاء على الجور والظلم في شبه جزيرة سيدنا محمدٍ (ص).

أوجّه إلى أميركا كلمات معدودات، أقسم بالله العظيم إن أميركا لن تنعم بالأمن أبداً قبل أن تنعم به فلسطين وقبل أن ترحل جميع الجيوش الغربية الكافرة من الأراضي المقدسة».

هذا الحوار عبر الإعلام بين الرئيس بوش وعميل السي.آي.إي ابن لادن، بعد أن جاء يؤكد للعالم أن حرب أفغانستان ما هي إلا رد على اعتداءات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، جاء أيضاً إيذاناً بانطلاق الأعمال.

***

إن انهيار الاتحاد السوفياتي واستقلال دول آسيا الوسطى فتحا الأبواب لعودة «اللعبة الكبرى»[٣]. لقد نحت روديارد كيبلينغ هذا التعبير في القرن التاسع عشر، ليشير إلى الصراعات على النفوذ بين الامبراطوريات الكبرى في المنطقة من دون أن تتصادم مباشرة قدر الإمكان.

ولا بد من معرفة أن تختزن هذه المنطقة احتياطاً كبيراً جداً من النفط والغاز. توجد أيضاً في الجبال أحجار ثمينة. وأخيراً يزرع فيها الخشخاش[٤].

شكل جورج دبليو بوش، عقب وصوله إلى البيت الأبيض، فريقه الحكومي بضمّه لكبار ممثلي اللوبي النفطي. هكذا، فإن مستشارة الأمن القومي، كوندوليزا رايس[٥]، هي مديرة سابقة لشركة شيفرون ـ تكساكو (Chevron-Texaco)[٦]، ووزيرة الداخلية، غال نورتون، كانت ممثلة لمصالح ب ب ـ أموكو (BP-Amoco)[٧] ومصالح الشركة السعودية دلتا أويل (Delta

(Oil). منذ ٢٠٠١/١/٢٩ وكان نائب الرئيس ديك تشيني ـ رئيس لهاليبورتون (Halliburton)[٨] سابقاً (أول مجهز للصناعات النفطية في العالم) ـ قد أسس مجموعة التنمية السياسية الوطنية للطاقة (NEPD). اجتماعاتها محاطة بحماية فائقة، ولائحة أعضائها سر من أسرار الدولة، ومحظور أن تدوّن فيها وقائع النقاشات. كل ما يمت إليها بصلة محاط بقدر عال من السريّة، بحيث اعتبرتها واشنطن بوست على الفور «صنفاً من صنوف الجمعيات السرّية»[٩].

يجمع المحللون ـ وهم ما زالوا يجهلون ما ستتكشف عنه عملية إفلاس شركة إنرون (ENRON)، أول سمسار عالمي في حقل الطاقة ـ على الاعتقاد بأن هدف مجموعة تنمية السياسة الوطنية للطاقة هو استثمار مصادر الطاقة النفطية في بحر قزوين. والمسألة هي معرفة كيفية نقل النفط والغاز من دون الاضطرار للتفاوض مع روسيا وإيران. ولذلك، يتعيّن مد خط أنابيب بين بحر قزوين والمتوسط مروراً بأذربيجان وجيورجيا وتركيا (وهو معروف بمشروع Bakou-Tiblissi-Ceyhan- BTC ـ باكو ـ تبليسي ـ سيهان). بانتظار ذلك، جرى تنفيذ خط آخر يربط بحر قزوين بالبحر الأسود، وللأسف كان عليه أن يمر بروسيا التي اقتطعت حصتها من عائداته. وهذا الخط يربط تنغيز نوفوروسيسيك، وقد دشن بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢٧. ثمن خط ثالث أكثر أهمية يفترض به أن يربط بحر قزوين بالمحيط الهندي (مشروع شركة أونوكال (UNOCAL) الذي يحظى بمساعدة شركة دلتا أويل)[١٠]. المشكلة هي أن هذا الخط لا بد أن يمر، ليس فقط عبر الباكستان، بل كذلك عبر أفغانستان التي تتنازعها صراعات داخلية منذ انتفاء أي شكل من أشكال سلطة الدولة، في أعقاب الهزيمة السوڤياتية. في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٧، تعيّن على أونوكال تعليق مشروعها لاصطدامه بعدم استجابة طالبان. أخفقت كل مساعي الحلحلة رغم تعيين نائب رئيس الشركة، جون ج. ماريسكا، سفيراً للولايات المتحدة في أفغانستان.

من أجل إطلاق المفاوضات ثانية، وافق كولن پاول في أيار/مايو ٢٠٠١ على منح نظام طالبان مساعدة قدرها ٤٣ مليون دولار من أجل تحويل نشاط

مزارعين الخشخاش. عقب الحصول على موافقة قمة مجموعة الدول الثمانية (G-8) في جنوى (اشتركت فيها الهند بصفة مراقب)، نُظِّمت مفاوضات متعددة الأطراف في برلين ضمت الأميركيين والإنكليز والباكستانيين والأفغان والروس. وقد استضافت ألمانيا هذا المؤتمر بصفتها رئيسة لجنة متابعة الملف الأفغاني في الأمم المتحدة. ولكن مع أي أفغان سيتم التفاوض. أيتمُّ مع حكومة الرئيس الشرعي ربّاني، المعترف بها دولياً، وإنما لا تسيطر على ما له شأن، أم مع الإمارة الإسلامية التي تحكمها طائفة قروسطية، ألا وهي حكومة طالبان؟ اتخذ قرار دعوة هذه الأخيرة، وذلك خرقاً لقرار صادر عن مجلس الأمن للأمم المتحدة يحظر استقبالها. وإذ ستحصلوا على تأشيرات دخول صحيحة، استغلّ أعيان طالبان مرورهم في ألمانيا للدعوة إلى جمع الأموال في هامبورغ.

ينتمي رجال طالبان[١١] إلى طائفة سنّية مغلقة تدعو للعودة إلى الإسلام السلفي. قادتهم من قدماء المحاربين ضد السوڤيات وجميعهم من معوقي الحرب. يعترفون بسلطة رجل ريفي، يدعى ملاً عمر، ما خرج يوماً من بلده ولا تتجاوز معرفته ببلاده ثلث مساحتها. في ظل المعمعة التي سادت عقب رحيل السوڤيات، نجح نظام طالبان في الانسحاب من اللعبة اعتماداً على العصبيات الإثنية، إذ إنهم جميعاً من الباشتون على غرار معظم قادة أجهزة الاستخبارات الباكستانية (ISI).

نصّب الملاً عمر نفسه أميراً للمؤمنين، وأسس إمارة لم تعترف بها سوى الباكستان والعربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. ونظراً لافتقارهم لأي خبرة في العلاقات الدولية، لجأ نظام طالبان إلى بعض أصدقائه الأميركيين الذين مدّوا له يد العون لمقاومة السوڤيات. وهكذا تمثل نظام طالبان في الأمم المتحدة عبر شخص ليلى هلمز، ابنة شقيق ريتشارد هلمز (مدير السي.آي.إي من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٣). في السياسة الداخلية، فرض طالبان نظاماً صارماً على السكان، ينص على التفرقة ضد المرأة ويمنع أعمال الزندقة. وبعدما غضوا الطرف لفترة طويلة عن زراعة الخشخاش، عادوا عن ذلك حارمين قسماً من

الفلاحين من أي مورد. كما اقطعوا أسامة بن لادن مساحة واسعة من الأراضي.

ونظراً لقلة اطلاعهم على الأعراف الدبلوماسية، سعى طالبان للتفاوض من أجل الحصول على اعتراف دولي مقابل سماحهم بعبور خط الأنابيب أراضيهم. وإذ ووجه مسعاهم بالرفض بسبب اعتراف الأمم المتحدة بحكومة أفغانية أخرى ـ حكومة برهان الدين رباني ـ فقد قطعوا المفاوضات. وحسب الدبلوماسي الباكستاني، نياز نايك، فقد شهر الوفد الأميركي التهديد وأعلن في منتصف تموز/يوليو أن الخلاف سيحسم بالسلاح.

وارتقبت الولايات تصفية قادة الفصائل الأفغانية البارزين، سواء الملاّ عمر أو القائد مسعود (المشهود له بعدائه للأميركيين)، واستبدالهم بحكومة دُمية تستمد شرعيتها من مباركة الملك الأسبق ظاهر شاه، العاهل المنسي الذي يقضي ما تبقى من حياته منفياً في روما.

في منتصف تموز/يوليو، وافقت القوى العظمى على تلك الخطة. هكذا ورد في البيان الختامي الصادر إثر اللقاء بين هوبير ڤيدرين (وزير الخارجية الفرنسية) وفرانسيسك ڤاندريلّ (رئيس بعثة الأمم المتحدة الخاصة بأفغانستان)، بتاريخ ١٧/٧/٢٠٠١، ما مفاده أن: «المسؤولَين استطلعا معاً الطرق المفضية، في المدى المنظور، إلى تطور إيجابي، وبالأخص التشجيع الذي يمكن للأسرة الدولية أن توفره لجهود الملك (كذا) الآيلة إلى جمع ممثلي المجتمع الأفغاني حوله. كما ذكّرا بأهمية تعزيز الحوار مع الباكستان. فيما يتعدى ذلك، يتعيّن التفكير بالطبع بما تفترضه عملية إعادة إعمار أفغانستان بعد انتهاء النزاع (كذا)»[12].

لقد بدأ الحديث منذ شهر تموز/يوليو عن الملك المخلوع، ظاهر شاه، بصفته ملك أفغانستان، وجرى الحديث عن مناقشات موازية حول «النزاع» و«إعادة إعمار» البلاد!

استمرت المفاوضات في لندن ثم في جنيف، تحت عنوان مؤتمر الأعمال

والمساعدات الإنسانية (Business Humanitarian Forum)[13] (كذا) ـ الممول على نطاق واسع من قبل شركة أونوكال النفطية ـ، ولكن بأهداف ومشاركين آخرين (منهم اليابانيون الذين يعلقون آمالاً كبيرة على حقول النفط في بحر قزوين). وكما كان يترقبه السيدان ڤيدرين وڤاندريلّ، لم يعد الكلام عن التحضير للسلام جارياً، بل عن الحرب وإعادة الإعمار.

خشية من التعرض لضغط أنكلو ـ أميركي شديد، حاولت الباكستان البحث عن حلفاء جدد قبل هبوب العاصفة. فوجهت الدعوة لوفد صيني لكي يزور إسلام آباد ووعدته بفتح منفذ للصين على المحيط الهندي مقابل دعم عسكري. وبينما انزعج الأنكلو ـ أميركيون، قرروا الانتقال على وجه أسرع مما كان مرتقباً إلى الهجوم، وعلى كل حال قبل دخول الصينيين على الخط وبلبلة اللعبة الكبرى[14]. وتحول بحر عمان إلى ميدان لأكبر انتشار لقوات البحرية البريطانية منذ حرب المالوين، بيد أن الحلف الأطلسي أرسل أربعة آلاف من جنوده إلى مصر. في التاسع من أيلول/سبتمبر، اغتيل[15] زعيم الجبهة الإسلامية المحبوب، القائد مسعود. لقد سمحت اعتداءات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر بقلب ما لم يكن سوى حملة استعمارية إلى عملية مشروعة.

كان يفترض إطلاق اسم «عدالة بلا حدود» أو «عدالة مطلقة» على الحملة. غير أن ذلك قد يترك أثراً سيئاً على التواصل مع العالم الإسلامي. فسميت بالتالي «حرية دائمة»[16]. فتلقت الحملة الدعم من تحالف دبلوماسي ظرفي ـ التحالف الدولي ـ ضم ١٣٦ دولة[17] عرضت مساعدتها العسكرية على الولايات المتحدة[18]. وإذ بقي الأميركيون محتفظين بذكرى التورط السوڤياتي في القتال البري أثناء الحرب الأفغانية الأولى (١٩٧٩ ـ ١٩٨٩)، فقد أحجموا عن إرسال رجال الـ GI's إلى ساحة القتال. وآثروا شراء أمراء الحرب بأثمان باهظة وتكليفهم بالقيام بهذه الحرب ضد طالبان، نيابة عنهم. كانت هذه الطريقة تفترض بالطبع تسليح الفصائل المتحاربة، وذلك خرقاً للخطر المفروض من الأمم المتحدة. وحيال المنحى الذي اتخذته الأحداث، عمدت روسيا إلى

تسليح الجبهة الإسلامية التي كان يتزعمها المغفور له أحمد شاه مسعود، بيد أن إيران قامت بتلسيح الهزارى الشيعة. واكتفت الولايات المتحدة بتولي قصف الأهداف قصفاً مركزاً، دعماً للقوات المناهضة لطالبان وأحياناً لكبح جماحها. بالفعل، فإن الأهداف الحربية لمقاتلي مختلف الفصائل لا تمت بأي صلة لتلك التي أعلنها التحالف الدولي (القبض على أسامة بن لادن)، ولا للمطامع النفطية المضمرة.

عندئذٍ غيَّر الأنكلو ـ أميركيون تكتيكهم. وعادوا لاعتماد بساط القذائف الذي يجعل المزعجين مكشوفين للضربات. عجز طالبان عن حماية دكتاتوريتهم على أراضيهم والحؤول دون تقطع أوصالهم فباتوا موزعين فرقاً معزولة. في الوقت نفسه، اخترقت الجبهة الإسلامية، التي استعادت تسميتها «تحالف الشمال»، تسهيلاً للتواصل الدولي، خطوط قوات طالبان الأمامية المضعضعة.

وراحت القوات الجوية الأميركية تطارد فلول الهاربين. حاول رجال طالبان أن يتجمعوا في قندهار، بيد أن المنتصرين عمدوا إلى ارتكاب عدة مجازر، لاسيما في مزار شريف بقيادة الجنرال دستم. وفي نهاية المطاف، اختبأ حوالى ألف إلى ألفي متطرف، تابعين لطالبان والقاعدة مجتمعين، في مرتفعات تورا ـ بورا، فتعرضوا لوابل من القذائف، ثم فاوضوا على الاستسلام لأصدقائهم الباكستانيين. وفي الحصيلة الإجمالية، قامت الطائرات الأنكلو ـ أميركية بـ٤٧٠٠ طلعة جوية ألقي عبرها ٢٠٠٠ قذيفة أودت بحياة ما يناهز ١٠٠٠٠ مقاتل[١٩]، و«بصورة موازية» ١٠٠٠ مدني على الأقل[٢٠]. ودفع التصعيد العسكري القوات الجوية الأميركية إلى التخلي عن نظرية «الضربات الجراحية» واستخدام أسلحة دمار شامل مثل قنابل BLU-82 [٢١]، المسماة أيضاً مِحَشَّة زهرة الربيع، لشل مقاومة ما تبقى من المقاتلين المنتشرين في الجبال.

انتهت الحرب بصدور القرار رقم ١٣٧٨[٢٢] عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وهو قرار حدد إطار مفاوضات في بون[٢٣]، حيث توافقت فصائل أفغانية متعددة على تشكيل حكومة جديدة[٢٤]. توصلت الطاولة

المستديرة إلى تشكيل إدارة مؤقتة وأملت أن يرأسها الملك ظاهر شاه. وهذا الأخير قد تنحى، كما كان مرتقباً، عن المنصب لصالح حميد قرضاي الذي عيّن رئيساً للحكومة، والذي كان قد ارتبط أثناء الحرب ضد السوفيات بمدير السي.آي.إي آنذاك، وليم كاسي، ومن ثم هاجر إلى الولايات المتحدة حيث أصبح صديقاً لآل بوش وعمل موظفاً في إحدى فروع شركة أونوكال[٢٥]. نجح الجنرال عبد الرشيد دستم، الملقب بـ جنكيز خان بسبب الفظائع التي ارتكبها طيلة عشرين عاماً، في الانضمام، في الوقت المناسب، إلى التحالف الدولي. كان على حق في ذلك، إذ إنه لم يلاحق بسبب جرائم الحرب التي ارتكبها، بل دخل إلى التركيبة الحكومية الجديدة. في السادس من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١ جاء القرارا ١٣٨٣[٢٦] الصادر عن مجلس الأمن ليصدق على هذه الترتيبات. وأخذ مئات الألوف من الأفغان الهاربين، اتقاءً من الضربات الجوية، يعودون إلى بلدهم.

وقاد حملة «الحرية الدائمة»، في مجلس الأمن القومي، زالماي خليلزاد[٢٧]، ابن أحد مستشاري الملك الأسبق ظاهر شاه، وكان قد أتم دراسته في أميركا بجامعة شيكاغو. قاتل في بلاده مرتبطاً بالسي.آي.إي أثناء الحرب ضد الاتحاد السوفياتي، قبل أن يحصل على الجنسية الأميركية ويصبح مستشاراً في وزارة الخارجية خلال عهد رونالد ريغان. وفي عهد الرئيس بوش الأب، عيّن نائباً لوزير الدفاع ولعب دوراً رئيسياً في حملة «عاصفة الصحراء» ضد العراق. وفي عهد كلينتون عمل لحساب راند كوربورايشن (Rand Corporation) وأونوكال. وفيما كانت المفاوضات تسير سيراً حسناً مع طالبان، وقف مدافعاً عنهم في صحيفة **واشنطن بوست** فكتب يقول: «إنهم لا يتخذون مواقف معادية للأميركيين على شاكلة مواقف المتطرفين الإيرانيين». وقد غير موقفه ما إن توقفت المفاوضات النفطية وعاد ليصبح الخبير ـ المرجع لإدارة بوش عقب الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر[٢٨]. مع نهاية الحرب، عين موفداً خاصاً إلى فغانستان. وبات مطلوباً منه الإشراف على خط الأنابيب الذي طالما

كان مرغوباً به. ودعيت الصحافة الدولية لزيارة بقايا منشآت لطالبان والقاعدة فاكتشفت أكواخاً حقيرة تتكدس فيها أسلحة موروثة عن الحرب ضد السوفيات. غير أنه ما من صحافي عثر على أثر لمصانع أسلحة كيميائية أو جرثومية، أو مراكز لتجميع قنابل ذرية، ومن باب أولى، قواعد لإطلاق أقمار صناعية كما كان صرح بذلك دونالد رامسفيلد.

أما أكبر جيش في العالم فلم يعثر بعد على العدو رقم ١، والذي شنّ حملته من أجل القبض عليه، هذا في حين هرب الملاّ عمر إلى باكستان مستقلاً دراجة نارية.

الأعمال مستمرة. وباستطاعة زراعة الخشخاش أن تزدهر تلبية لأسواق أميركا الشمالية(٢٩). وفي التاسع من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١ وقع حميد قرضاي مع زميله الباكستاني، الجنرال مشرف، على اتفاق لمدّ خط أنابيب آسيا الوسطى(٣٠).

هوامش الفصل التاسع

(١) خطاب الرئيس إلى الأمة، ٧/ ١٠/ ٢٠٠١ (http://www.whitehouse.gov/news/releases/2001/10/20011007-8.html).

(٢) نص تصريح أسامة بن لادن (برقية أ. إف. پ بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠٠١.

(٣) إن عبارة «اللعبة الكبرى» وضعها أحمد رشيد مجدداً في التداول عبر مقالاته في *(Far Eastern Economic Review)*. راجع *The New Great Game in Muslim Central Asia* بقلم إحسان أحراري M. Ehsan Ahrari, McNair Paper no.47. (National Defense University, 1996), téléchargeable depuis http://www.ndu.edu/inss/macnair/mcnair47/mcnair47.pdf; *Central Asia: A New Great Game?* par Dianne L. Smith (US Army War College, 1996), téléchargeable depuis http://carlisle-www.army.mil/usassi/ssipubs/pubs96/centasia/centasia.pdf; *The New Great Game: Oil Politics in the Caucasus and Central Asia* (Heritage Foundation. 1996): *Jihadi Groups. Nuclear pakistan, and the New Great Game par Ehsan Ahrari* (US Army War College, 2001). téléchargeable depuis http://carlisle-www.army.mil/usassi/ssipubs/pubs2001/jihadi/jihadi.pdf; Voir aussi *Les Rivalités autour du pétrole de la mer Caspienne* par le Comité 4 de la 51e session de l'Institut des Hautes études de la Défense nationale, 1999 http://www.ihedn.fr.

(٤) *Taliban and the Drug Trade* par Richard F. Perl (Congressionnal Research Service, The Library of Congress, 5 octobre 2001) téléchargement http://www.fpc.gov/CRS-REPS/crstalib.pdf et *Central Asia: Drugs and Conflict* par l'International Crisis Group http://www.crisis-web.org/projects/asia/centralasia/reports/A400495-26112001-2.pdf.

(٥) *Critics Knock Naming Oil Tanker Condoleezza*, par Carla Marinucci, in *San Francisco Chronicle* du 5 avril 2001.

(٦) كانت السيدة رايس مديرة ومساهمة في شركة شيڤرون إلى أن عينت مستشارة مجلس الأمن القومي. وشيڤرون هو الاسم الجديد لشركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا المسماة إسو ستاندارد. اندمجت شيڤرون وتكساكو في ٩/ ١٠/ ٢٠٠١ (http://www.Chevron Texaco.com). بلغ رأسمالها ١١٠ مليار دولار وهي ثاني شركة متعددة الجنسيات أميركية خلف إكسون موبيل (٢٢٠ مليار دولار).

(٧) ب. پ (BP (British Petroleum)-Amoco) هي ثالث مجموعة نفطية عالمية برأسمال قدره ١٤٥ مليار دولار (http://www.bp.com). أدمجت BP-Amoco بعض خدماتها في أوروبا مع شركة موبيل (Mobil).

(٨) الموقع الرسمي (http://www.halliburton.com). هاليبورتون، برأسمالها البالغ ١١ مليار دولار، هي أول مجهز للصناعات النفطية في العالم.

(٩) *Energy Task Force Works in Secret* by Dana Milbank et Eric Pianin, in *Washington Post* du 16 avril 2001 http://www.washingtonpost.com.

(١٠) ضماناً لحسن تنفيذ مشروعها أسست شركة أونوكال، بادىء ذي بدء، اتحاد غاز آسيا الوسطى (Control Asia Gas) المسمى سنتغاز (Cent Gas) ذلك بالتعاون مع دلتا أويل غازپروم

وتوركمانوغاز (Delta Oil, Gazprom, Turkmenogaz) ثم أسست مشروع خط أنابيب نفط آسيا الوسطى (Central Asian Oil Pipeline Project) بالتعاون مع الشركة السعودية دلتا أويل وحكومة تركمانستان، وشركة النفط الأندونيسية (INPEX) والشركة اليابانية ITOCHU وشركة هيونداي الكورية ومجموعة الهلال الباكستانية.

(١١) أحمد رشيد، ظل طالبان، *L'Ombre des Talibans* par Ahmed Rashid (Autrement éd., 2001).

(١٢) تصريح الناطق باسم وازرة الخارجية الفرنسية بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠٠١.
(http://www.diplomatie.gouv.fr/actual/declarations/pp/20010717.html).

(١٣) موقع رسمي على الانترنت (http://www.bhforum.org).

(١٤) مقابلة سجلها بُنوَا كاليفانو، وبيار ترويبه وغيلام روندو مع نياز نايك (إنتاج مشترك بين ITV وDokumenta، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١) لم تنشر.

(١٥) جرى التكتم على اغتيال أحمد شاه مسعود لأيام عدة، ولم يعلن عنه إلا بعد الاعتداءات على الولايات المتحدة. وحملت المسؤولية عنها لأسامة بن لادن. والحال، فإن الرواية الحالية لمقتله لا تتطابق على الإطلاق مع الشهادات التي جمعت فوراً من قبل فرانسوا كوسّ. رجّح محيط أحمد شاه مسعود في حينه، أن يكون الاغتيال من تدبير أجهزة الاستخبارات الباكستانية.

(١٦) إن أفضل الأعمال الشاملة المكتوبة حول «الحرية الدائمة» هي تلك العائدة لمكتب الدراسات التابع للبرلمان البريطاني: *11 September 2001, the Response* (Research Paper 01/2, 3 octobre 2001), *Operation Enduring Freedom and the Conflict in Afghanistan, an Update* (Research Paper 01/81, 31 octobre 2001) et *The Campaign Against International Terrorism, Prospects After the Fall of the Taliban* (Research paper 01/112). Ces documents sont respectivement téléchargeables depuis http://www.parliament.uk/commons/lib/research/rp2001/rp01-072.pdf; http://www.parliament.uk/commons/lib/research/rp2001/rp01-081.pdf; http://www.parliament.uk/commons/lib/research/rp2001/rp01-112.pdf.

(١٧) لتحليل التعهدات،، دولة بدولة، انظر: *Operation Enduring Freedom: Foreign Pledges of Military & Intelligence Support*, Congressional Research Service (The Library of Congress, 17 octobre 2001). Téléchargement http://www.fpc.gov/CRS-REPS/crsfree.pdf.

(١٨) *The Global War on Terrorism, The First 100 Days*, document officiel des Coalition Information Centers. Téléchargement http://www.white-house.gov/news/releases/2001/12/100 day report.pdf.

(١٩) برقية الـ AFP بتاريخ ٦/ ١٢/ ٢٠٠١.

(٢٠) *Operation Enduring Freedom: Why a Higher Rate of Civilian Bombing Casualties*, Projet on Defense Alternatives, Briefing Report #11 (18 janvier 2002) http://www.comw.org/pda/0201 oef.html; *US Silence and Power of Weaponery Conceal Scale of Civilian Toll, in Sydney Morning Herald* du 26 janvier 2002 http://www.smh.comau; *Afghans are Still Dying as Air Strikes Go On. But No One Is Counting* par Ian Traynor, in *The Guardian* http://www.guardian.co.uk; et Civilian Toll in Us Raids Put at 1,000 par John Donnelly et Anthony Shadid, in Boston Globe du 17 février 2002 http://www.boston.com/globe.

(٢١) لم تصنع قنابل الـBLU-82 في البدء للقتال، لشدة ما كانت الأضرار التي تحدثها كبيرة وشاملة، بل صممت لسلاح الهندسة. فهي قد استخدمت في ڤيتنام لاجتثاث الغابات وإجلاء مناطق لهبوط الطوافات العسكرية.

(٢٢) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٨ (http://www.un.org/french/docs/sc/2001/res1378.pdf).

(٢٣) موقع المفاوضات الرسمي في بون http://www.uno.de/frieden/atfghanistan/talks.htm; Texte de l'Accord de Bonn téléchargeable depuis http://www.uno.defrieden/afghanistan/talks/agreement.pdf.

(٢٤) *Strange Victory: a Critical Appraisal of Operation Enduring Freedom and the Afghanistan War par* Carl Conetta, Project on Defense Alternatives, monograph #6 (30 janvier 2002) http://www.comw.org/pda/0201 strangevic.html.

(٢٥) *Afghanistan, the Taliban and the Bush Oil Team* par Wayne Madsen, in *Democrats.com* du 23 janvier 2002 http://www.democrats.Com.

(٢٦) قرار مجلس الأمن رقم ١٣٨٣ (http://www.un.org/french/docs/sc/2001/res 1383f.pdf).

(٢٧) تحقيق أجراه بيبي إسكوبار في آسيا تايمز *The Roving Eye, Pipelineistan* بقلم Pepe Escobar بتاريخ ٢٥ و٢٦/ ١/ ٢٠٠٢ (http://atimes.com).

(٢٨) راجع رسمه في *Bush's Favorite Afghan* بقلم Jacob Weisberg في *Slate* du 5 octobre 2001 http://slate.msm.com و *New US Envoy to Kabul Lobbied for Taliban Oil Rights* بقلم Kim Sengupta et Andrew Gumbel في The Independent du 10 janvier 2002 http://www.indepen.dent.co.uk. من المفيد أيضاً قراءة ما كتبه زالماي خليلزاد (http://www.alwac.org/speech/khalilzad.html), *Speech before the Los Angeles World Affairs Council* (9 mars 200). Daniel Byrman *Afghanistan: The Consolidation of a Rogue State, in The Washington Quaterly* (Hiver 2000).

(٢٩) *Opium Farmers Rejoice at Defeat of the Taliban* par Richard Lloyd Parry in The Independent du 21 novembre 2001 http://www.independent.co.uk; et *Victorious Warlords Set to Open the Opium Floodgates* par Paul Harris, in *The Observer* du 25 novembre 2001 (même URL que le Guardian http://www.guardian.co.uk).

(٣٠) *Musharraf, Karzai Agree Major Oil Pipeline in Co-operation Pact in Irish Times* du 9 février 2002 http://ireland.com.

الفصل العاشر

العمليات السرّية

في وسعنا أن نقرأ في مذكرة كتبها ليونارد وونغ لمعهد الدراسات الاستراتيجية التابع للجيش الأميركي تحت عنوان: «كيف نحافظ على تأييد الجمهور للعمليات العسكرية»[1]:

«إن تأييد الجمهور للحملة العسكرية بلغ مستوى لم يبلغه في أعقاب الهجوم على پرل هاربور. يؤكد الأميركيون اليوم أنهم مقتنعون بجدوى الحملة العسكرية ويؤيدون حرباً طويلة، وهم على استعداد لتحمل الأعباء السلبية الناجمة عن الحرب. وعلى الرغم من الاستطلاعات المؤيدة، فإن الأميركيين قد يغيرون رأيهم فجأة (...). وبقدر ما يعودون إلى الحياة العادية سيتراجع تأييدهم للحل العسكري، اللهم إلا إذا قدّم العسكريون الدليل على تقدم متواصل في حربهم على الإرهاب وعرفوا كيف يحافظون على تعاطف الأمة مع قواتها المسلحة، وكيف يوفرون الأمن في الداخل بصورة فعلية، ولو تم ذلك بطريقة غير مرئية». وبكلام آخر، فإن الرأي العام سيبقى منحازاً انحيازاً بالغاً إلى جانب الحرب الأميركية على الإرهاب، طالما استمر عامل الإثارة».

بدأت عملية «الحرية الدائمة» في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١. وابتعدت قرقعة السلاح متجهة صوب آسيا الوسطى. ونظراً لطبيعة ميزان القوى القائم، كانت نتائج المعركة محسومة سلفاً لصالح قوات التحالف. فبدأ انتباه

الجمهور الأميركي يتراجع. بالفعل، لم يسجل أي عمل إرهابي قامت به «خلايا نائمة» مقيمة على الأرض الأميركية، فيما كانت مغاور القاعدة تتعرض للضرب، وكان أسامة بن لادن يطلق التهديدات على التلفزة ضد أميركا. وكان قد بدأ الشك بوجود خطر ما. ماذا حصل، في ظنكم؟

في الثاني عشر من تشرين الأول/أكتوبر، نشرت وكالات الأنباء معلوماتٍ مثيرةً للقلق. تلقى بعض الصحافيين والبرلمانيين رسائل مسممة بالانتراكس (anthrax). بالإجمال، أرسلت خمس رسائل ملغومة، لصحيفة **ناشيونال إنكوايرر** وشبكة الـ إن.بي.سي (NBC) و**نيويورك بوست** وإلى مكتبي الشيخين داشل وليهي. سقط خمس ضحايا. تعطلت حياة الأميركيين اليومية. لم يعد في وسعهم فتح بريدهم من دون استعمال قفازات وكمامة على الأنف. نفد مخزون بائعي الأقنعة المضادة للغاز والأدوات المحافظة على الحياة. أصيب نظام البريد برمته بالشلل. أصيبت البلدان الحليفة بحالة من الهواس. اكتشفت رسائل تحتوي على المسحوق القاتل في جميع بلدان أوروبا: ساد الظن أن القاعدة قررت اللجوء إلى الهجوم باستخدامها الأسلحة الكيميائية والبيولوجية التي حصلت عليها بفضل مساعدة صدام حسين التقنية. قررت الولايات المتحدة وحلفاؤها تكوين مخزون من اللقاحات المضادة للأنتراكس. أعيد إطلاق صناعات الأدوية التي تلقت طلبات بملايين الجرعات. ثم توقف كل شيء. عدا خمسة رسائل، لا يعدو كل شيء آخر كونه مزاحاً وهلوسة جماعية.

يبقى أن المغلفات الخمسة حوت شكلاً عسكرياً من الانتراكس انتج في مختبرات جيش الولايات المتحدة. كان الخطر من الداخل. أشارت باربرا هاتش روزنبيرغ، من فدرالية العلماء الأميركيين، أن حوالى خمسين باحثاً فقط – يمكن تحديد هويتهم فوراً – كان في وسعهم حيازة جذيمات الأنتراكس وتداولها[٢]. كانت رسالة مجهولة موجهة إلى القاعدة العسكرية كانتيكو أواخر أيلول/سبتمبر – أي قبل أن تأخذ الصحافة علماً بالاعتداءات بواسطة الانتراكس – قد فضحت تصرفات باحث أسبق في مختبرات الجيش الأميركي، الدكتور

أسعد. ومرة أخرى راح الـ إف.بي.آي يكثر من شروحاته من دون أن يوضح شيئاً.

ما إن تراجعت موجة الرعب وانتهت حملة «الحرية الدائمة» الخاطفة، حتى ظن الجمهور أنه بات في وسعه طي الصفحة. فأخذت وزارة الدفاع على عاتقها تذكيره بالخطر ثانية. وجرى اقتياد «إرهابيين خطرين للغاية» إلى قاعدة غوانتانامو العسكرية (كوبا)، بمساعدة كمية كبيرة من صور صادمة. اقتيد الموقوفون، من أفغانستان، بالطائرة، بعد أن خُدِّروا وأوثقوا بمقاعدهم. ما إن وصلوا حتى أُخضعوا لبرنامج من شأنه تعطيل حواسهم: تعصيب عيونهم، وضع خوذات على آذانهم وسد أنوفهم. شرح الخبراء القانونيون لوزارة الدفاع[٣]، من دون أن يرفّ لهم جفن، كيف أن السلطات الاتحادية هي وحدها التي تحظّر ممارسة التعذيب، والحال فإن هذه القوانين لا تطبق في غوانتانامو[٤] الواقعة خارج الأراضي الأميركية. أما الدستور، فلا يذكر كلمة في هذا الشأن: لقد شرح الجنرال الفرنسي، بول أوسّاريس، وهو إذ اعترف بتنظيمه للتعذيب في الجزائر وزود، لاحقاً، القوات الخاصة الأميركية بدروسه السقيمة، شرح وهو العارف، على التلفزة، مدى الفائدة من اعتماد التعذيب[٥].

أثيرت مشاعر «الأسرة الدولية». فبادرت ماري روبنسون، المفوضة العامة للأمم المتحدة في شؤون حقوق الإنسان (الرئيسة السابقة لجمهورية إيرلندا)، إلى التعبير علانية عن سخطها، مذكرة الحكومة الأميركية بضرورة التقيد بالأنظمة[٦]، إذ يحق للمحتجزين الاستفادة من نظام سجناء الحرب، وفقاً لما تنص عليه اتفاقية جنيف، ويتعين معاملتهم معاملة إنسانية ويجب أن تكون محاكمتهم عادلة منصفة.

* * *

في الوقت الذي كان فيه الرأي العام رازحاً تحت وطأت الرعب والحماس، كانت «الحرب على الإرهاب» تشهد إطلاق شرارتها الأولى بعيداً عن الأضواء. إلا أن الإرهاب ليس دولة ولا منظمة ولا عقيدة ولا نمط نشاط

تستطيع الحكومات أن تستخدمه (ديكتاتورية روبسبيار، في العام ١٧٩٣، سميت «الإرهاب»)، كما وأن في وسع الأقليات المعارضة أن تستخدمه. وأحياناً يكون الإرهاب مبرراً كل التبرير. هكذا، فخلال الحرب العالمية الثانية، عمدت المقاومة الفرنسية إلى شن عمليات إرهابية ضد قوات الاحتلال ومن يتعاون معها، من مدنيين وعسكريين. إن شعار «الحرب على الإرهاب» أجوف، شأنه في ذلك شأن شعار «الحرب على الحرب».

حقاً، إن لدى جورج دبليو بوش فهماً ضيقاً جداً للإرهاب. وبالتالي، فهو لا يعتبر «إرهاباً» ما قامت به فرق الموت في نيكاراغوا، بحيث وصل به الأمر إلى تعيين حاميها، جون نيغروپونتي، سفيراً للولايات المتحدة في الأمم المتحدة(٧). وهو، في عالم بات عالماً أحادي القطب منذ انهيار الاتحاد السوڤياتي، ينظر إلى الإرهاب على أنه كل شكل عنيف يتخذه أيُّ رافض للزعامة الأميركية.

إن بوب وودوارد (أحد الصحافيين اللذين فضحا قضية ووترغيت)، استناداً إلى ما كشف عنه مشاركون عديدون في اجتماع حكومة بوش، وبعد مراجعته محاضر الجلسة وصف بدقة في واشنطن پوست ما جرى فيها لجهة منح السي.آي.إي صلاحيات غير محدودة لشن «حرب سرّية على الإرهاب»(٨). وكان ذلك قد حصل في الخامس عشر من أيلول/ سپتمبر ٢٠٠١، أثناء ندوة حكومية عقدت في كامب دايڤيد.

بدأت الجلسة بالطبع بدقيقة صلاة تلاها جورج دبليو بوش وطلب من كل المشاركين أن يتلوها بدورهم. ثم عرض كل من وزير المال ووزير الخارجية خطتهما. وقدم جورج تينت، مدير السي.آي.إي، عندئذ، مشروعين مدعمين بوثيقتين معدتين إعداداً بالغ الإتقان. الأولى بعنوان: «الضربة الأولى: تدمير القاعدة وإغلاق المعبد [الأفغاني]». وشرح تينت ضرورة أن تنظم عمليات سرّية ضد القاعدة، ليس فقط في أفغانستان، إنما في جميع أنحاء العالم، وإذا لزم الأمر بالتعاون مع أجهزة تابعة لبلدان غير ديمقراطية، وبعد نجاحه في إقناع

الجميع طلب أن تمنح له ما يلزم من صلاحيات لإنجاز المهمة. «طلب تينت مرسوم تكليف على درجة كافية من العمومية تتمكن بواسطته السي.آي.إي من قيادة كل العمليات السرية الضرورية دونما حاجة إلى طلب الموافقة الشكلية عند كل عملية بعينها. أكد تينت أنه بحاجة إلى صلاحيات جديدة لتمكين الوكالة من المبادرة من دون قيود - وأنه ينتظر من الرئيس كل التشجيع لمواجهة المخاطر. أحضر معه مشروع مرسوم جمهوري من شأنه أن يمنح السي.آي.إي. حق استخدام جميع وسائل العمليات السرّية، بما فيها الاغتيال (...). وقضى الاقتراح الآخر بأن توثق السي.آي.إي صلاتها بأجهزة استخبارات أجنبية ذات شأن. كان تينت يتوخى الحصول على مساعدة تلك الوكالات بواسطة مئات ملايين الدولارات المرصودة في الميزانية التي رغبا في الحصول عليها. باطنياً، كان من شأن استخدام مثل تلك الأجهزة أن يزيد من فعالية السي.آي.إي ثلاثة أضعاف أو أربعة. إن مثل هذه الترتيبات لا يخلو من المخاطر، شأنها شأن أمور كثيرة في عالم العمليات الخفية: قد تضطر الولايات المتحدة أن تقيم صلات بأجهزة مشبوهة، بعضها مثقلة ملفاتها بجرائم ضد حقوق الإنسان. وبعض تلك الأجهزة ذائعة الصيت في لجوئها إلى الممارسات الوحشية والتعذيب لانتزاع الاعترافات».

مضى الاجتماع في جو أقل توتراً، إذ تابع تينت يعرض استراتيجيته في أفغانستان. ثم قدم ورقته الثانية، مستعيداً أنفاسه. العنوان: «مخطط الهجوم العالمي». «عرض تفاصيل لعمليات سرّية موضوعة حالياً موضع التنفيذ، أو يقترح إطلاقها الآن في ثمانين دولة. توزعت العمليات بين أعمال الدعاية العادية وبين الاغتيالات الممهدة للهجمات العسكرية. لقد أعطى رامسفيلد موافقته بكل حماس، متجاوزاً بذلك التنافس التقليدي بين السي.آي.إي والپنتاغون. «عقب فراغ مدير السي.آي.إي من عرضه، لم يترك بوش مجالاً لأي شك حول قناعته بما سمع فصرخ بحماس قائلاً: عمل رائع!».

كانت تلك الحرب السرّية تشق طريقها. عمدت السي.آي.إي، في

الخفاء، إلى ضرب المعارضين لسياسة جورج دبليو بوش في مختلف أنحاء العالم. لقد عيّن الصحافي واين مارسن أربع ضحايا شهيرة[٩].

ـ في الحادي عشر من تشرين الأول/نوفمبر ٢٠٠١، اختطفت وحدة خاصة من الجيش الإندونيسي زعيم پاپوازيا الغربية، تيّس إيلواي، وكانت هذه الوحدة المتورطة في مجازر تيمور الشرقية قد تلقت التدريب على يد رجل الظل الأميركي، وأطّرتها السي.آي.إي. كان تيّس إيلواي مناضلاً من أجل استقلال بلاده ومعارضاً لنهب شركة فريپورت ماك موران ثروات بلاده المعدنية، وهذه الشركة هي شركة أميركية من لويزيانا بإدارة هنري كيسنجر المحنك.

ـ في ٢٣ كانون الأول/دسمبر ٢٠٠١، قُتل شيف بولاغا إيجّه، وزير العدل النايجيري، في غرفته، من قبل فرقة كوماندوس لم يتم تحديد هويتها. وكان الوزير مرشحاً للرئاسة باسم اتحاد قبائل اليوروبا من أجل الديمقراطية، وقد عارض الامتيازات الممنوحة لشركة شيڤرون (التي كانت تديرها كوندوليزا رايس) وإكسون موبيل[١٠].

ـ في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٢، وجه حاكم ولاية آسّيه رسالة إلى زعيم حركة تحرير آسّيه، عبد الله سيّافي مقترحاً عليه الاشتراك في مفاوضات سلام. لم يكن سيّافي يكتفي بالمطالبة بالاستقلال، بل عارض الحفريات التي كانت تجريها شركة أكسون موبيل. ولمّا كان منتمياً لحركة اللاعنف ـ هو عضو في الـUNOP بهولندا ـ، قرر الانضمام إلى الكفاح المسلح. والرسالة كانت تحتوي على برغوتة الكترونية تمكنت بواسطتها الأقمار الصناعية لوكالة الفضاء الأميركية (NASA) أن تكشف موقعه. قتله فدائي من الـ KOPASSUS في ٢٢ كانون الثاني/يناير.

ـ قُتل زعيم اليمين المتطرف. إيلي حبيقة، قائد الميليشيات المسيحية اللبنانية، ومعه حراسه، في ٢٤ كانون الثاني/يناير، وذلك بواسطة سيارة مفخخة. وكان حبيقة، المسؤول الأول عن مجزرة صبرا وشاتيلا (1982)، قد

انقلب على إسرائيل، وكان عازماً على الإدلاء بشهادة ضد أريل شارون في المحاكمة التي نظمت ضده في بلجيكا بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية. وقد أعدت العملية بالتعاون بين السي.آي.إي والموساد[١١].

وتتحدثون عن «الحرب على الإرهاب»؟

***

بتاريخ ١٣ شباط/فبراير، نشرت صحيفة **واشنطن بوست** مقالاً مطولاً للدكتور هنري كيسنجر[١٢]، روى فيه مرشد السياسة الخارجية الأميركية، وقائع النقاشات الدائرة في العاصمة. ثمة خيارات ثلاثة طرحت لما بعد نجاح الحملة على أفغانستان.

أولاً: اعتبار العملية منجزة وصالحة لأن تكون درساً لجميع الذين يغريهم السير حذو طالبان؛ ثانياً: ممارسة الضغط على بعض البلدان المتراخية إزاء الإرهابيين، على شاكلة الصومال واليمن؛ وثالثاً: تركيز الجهود من أجل إطاحة صدام حسين في العراق، إظهاراً لاستمرارية الإرادة الأميركية في تعديل الموازين الإقليمية في الشرق الأوسط.

ثم دافع هنري كيسنجر عن هجوم حاسم يشن على العراق، يتم فيه المزج بين انتشار للقوة ودعم للمعارضة.

وما دامت نتائج بالون الاختبار إيجابية، فقد قررت الإدارة الأميركية استئناف عملها.

في ٢٩ كانون الثاني/يناير، ألقى الرئيس الأميركي، أمام الكونغرس، «الخطاب التقليدي عن حالة الاتحاد»، وكان ذلك بحضور رئيس الحكومة الانتقالية الأفغانية، حميد قرظاي، فكشف فيه النقاب عن الأهداف الجديدة لـ«حرب على الإرهاب».

«ستسعى الولايات المتحدة، دون كلل، وراء هدفين كبيرين اثنين أولاً: يتعين علينا إغلاق معسكرات التدريب وكشف مخططات الإرهابيين وجر هؤلاء

للمثول أمام القضاء. ثانياً: يتعيّن علينا الحؤول دون تمكُّن الإرهابيين والحكومات من الحصول على الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية، وبالتالي لن يستطيعوا تهديد الولايات المتحدة والعالم.

لقد وضع جيشنا معسكرات تدريب الإرهابيين في أفغانستان في حالة لن تمكّنها من إلحاق أي الضرر، ولكن ثمة معسكرات أخرى قائمة في حوالى اثني عشر بلداً على الأقل. وهناك عالم إرهابي متخفٍ، يتكوّن من مجموعات مثل حماس وحزب الله والجهاد الإسلامي وجيش محمد، ينشط عناصرها في الأدغال والصحاري النائية وفي قلب بعض المدن بالطبع.

(...) ويتمثل هدفنا الثاني في منع الحكومات الراعية للإرهاب من تهديد الولايات المتحدة وأصدقائها بواسطة أسلحة الدمار الشامل.

لزم بعض هذه الحكومات الهدوء منذ الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر لكننا نعرف طابعها الحقيقي. إن كوريا الشمالية يحكمها نظام يعمل على تجهيز نفسه بالصواريخ وأسلحة الدمار الشامل في الوقت الذي يجوّع فيه شعبه، وتسعى إيران سعياً حثيثاً لصناعة مثل هذه الأسلحة، وتصدر الإرهاب، بينما حفنةٌ من الأشخاص غير المنتخبين تخنق توق الشعب الإيراني إلى الحرية يستمر العراق في إعلان عدائه للولايات المتحدة وتشجيع الإرهاب. ويتآمر الحكم العراقي، منذ ما يزيد على عشر سنوات، لإنتاج الجمرة الخبيثة والغازات الخانقة وأسلحة نووية. وقد سبق لهذا الحكم أن استخدم الغازات الخانقة لقتل آلاف من مواطنيه بالذات، مخلفاً وراءه جثث الأمهات وهن يغمرن أولادهن. وعمد هذا الحكم إلى طرد المفتشين بعد أن كان قد وافق على قيامهم بمهمتهم، ولا بد أن هذا الحكم يمتلك ما يخفيه عن أنظار العالم المتمدن.

إن مثل هذه الدول، ومعها حلفاؤها الإرهابيون يشكلون، محوراً للشر، ويهدد تسلحها السلام العالمي.

***

جاءت الضغوط على حلفاء الولايات المتحدة قوية للغاية. لقد تعيّن عليهم تصديق كل شيء طيلة خمسة شهور. ولم يكن بالإمكان توجيه أي نقد لانحراف الولايات المتحدة، طيلة فترة الحداد التي أعقبت اعتداءات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر. وحرصت الولايات المتحدة، بالضبط، على تعميم الحداد ليشمل حلفاءها، والعمل على تمديد أمده بشتى ألوان الطقوس والمآتم والمزاعم والمراسم والاحتفالات التذكارية والاستعراضات المتلفزة.

مع ذلك، ففي السادس من شباط/ فبراير، قرر وزير الخارجية الفرنسية، هوبير ڤيدرين، الانتقال إلى العمل[١٣]. بادر في ذلك مدعوماً من رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية. وصرح على أثير إذاعة فرنسا الدولية (France-Inter) قائلاً:

«نحن حلفاء الولايات المتحدة، نحن أصدقاء هذا الشعب. لقد تضامنا معهم تضامناً صادقاً وعميقاً في مأساة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، ضد هذا الاعتداء الإرهابي. فنحن ملتزمون، مثل العديد من الحكومات، بمحاربة الإرهاب. وليس ذلك تضامناً مع الشعب الأميركي فحسب، ولكن المنطق يقتضي ذلك. علينا اجتثاث الشر. ومعالجة مسبباته أيضاً. إلا أننا مهددون اليوم، بتبسيطة جديدة متمثلة في اختصار جميع قضايا العالم بقضية مكافحة الإرهاب وحدها. فهذا ليس من الجدية في شيء.

(...) لا يسعنا حصر كل قضايا العالم في قضية مكافحة الإرهاب حتى ولو كان ذلك أمراً لا مفر منه ـ بالوسائل العسكرية وحدها. لا بد من معالجة جذور المسائل: أوضاع الفقر والظلم، والإذلال، إلخ.

(...) يجب أن تبقى أوروبا هي هي. إذا كنا غير راضين عن السياسة الأميركية فعلينا البوح بذلك. نستطيع البوح به ويتعين علينا (...). لا يعني كوننا أصدقاء الشعب الأميركي وحلفاء للولايات المتحدة في الحلف الأطلسي، أن نكون ملحقين. كما لا يعني التخلي عن أن يكون لنا فكرنا الخاص في أي شأن من الشؤون.

(...) سنحاور الولايات المتحدة حواراً في مناخ من الصداقة. لا نطلب من الولايات المتحدة أن تتكفىء على ذاتها، بل العكس. نتمنى أن تتدخل الولايات المتحدة في شؤون العالم، لأنه لا حل لأي قضية جدية من دونها. المطلوب أن يتدخلوا ولكن على قاعده تعدد الأطراف والمشاركة وإمكانية التحدث إليهم. وإذا اقتضى الأمر أن ترتفع النبرة لإسماع صوتنا، سنفعل ذلك».

في واشنطن، رد كولن پاول على تصريح الوزير الفرنسي بعجرفة، متهكماً على هؤلاء «المثقفين الباريسيين المغشى عليهم».

بعيد ذلك بيومين، انتهز رئيس الحكومة، ليونيل جوسپان، فرصة عقد اجتماع لرؤساء برلمانات الاتحاد الأوروبي ليصر على الموقف أمام حضور دولي(١٤):

«غداة اعتداءات الحادي عشر، عبرنا عن تضامننا الثابت مع الولايات المتحدة وشاركنا، إلى جانبها، في الرد على ما كان يفترضه هذا الاعتداء. سيستمر هذا العمل المشترك ضد الإرهاب. ولكن ذلك لا يعني على الإطلاق، أن نمتنع عن التمعن بالدروس التي يتوجب استخلاصها من أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر. لا يمكن حقاً اختزال قضايا العالم في بُعد واحد فقط، والمتمثل بمكافحة الإرهاب ـ أياً تكن الحاحيتها ـ، أو الاعتماد في حلّها، فقط، على غلبة الوسائل العسكرية.

إن رؤيتنا إلى العالم تطمح لبناء مجتمع دولي أكثر توازناً، وعالم أكثر أماناً وعدالة. ترتكز هذه الرؤية على منهج متعدد الأطراف. وهي تراهن على جميع أشكال التعاون الكفيلة بتمكين أعضاء المجتمع الدولي من التصدي معاً للقضايا الأساسية. إذ لا يمكن لأي منهم الادعاء بالقدرة على حلها بمفرده (...). نتمنى أن تقوم الولايات المتحدة بالتدخل معنا في هذا الطريق، متخلية بذلك عن نزعتها الجارفة للتفرد، إذ أنه من الصعب التوصل إلى توازنات جديدة، من غير

مشاركتهم. أما في ما يختص بنا فنحن مستمرون في العمل من أجل أن تتقدم هذه الرؤية على سواها».

لقد ساد في أوروبا جو من الشك. وفي اليوم التالي جاء دور كريس پاتّن (المفوض الأوروبي المكلف بعلاقات الاتحاد الخارجية) للعمل على «كسر جليد الصمت». في حديث مع جريدة **ذي غارديان**، شرح الانتقادات الفرنسية الموجهة ضد «الاستبداد والتبسيط» مضيفاً إليها بعض الملاحظات المبطنة حول ضرورة أن تعير الولايات المتحدة آذاناً صاغياً لحلفائها: «لا يسع غوليڤر السير وحده وليس مستحباً أن نعتبر أنفسنا بمثابة أقزام لا يجرؤون على رفع صوتهم»(١٥). في العاشر من شباط/فبراير، انتقلت عدوى الموقف إلى مؤتمر الوزراء الأوروبيين للشؤون الخارجية، المنعقد في كوانكاس (إسبانيا). فوقف الجميع خلف الثنائي، غير المتوقع، المشكل من ڤيدرين ـ پاتّن.

وبمناسبة قمة الناتو، في برلين. انتقلت العدوى إلى دول الحلف. فذكّر رئيس الوزراء الكندي، جان كريتيان، بأن قرارات الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي لا تتعلق بأفغانستان فقط، وبأنه لن يكون مفهوماً بالنسبة له أن تتورط الولايات المتحدة من طرف واحد في نزاعات أخرى(١٦).

فهل نحن على مقربة من ساعة الحقيقة؟

هوامش الفصل العاشر

(١) الحفاظ على تأييد الجمهور للعمليات العسكرية *Maintaining Public Support for Military Operations par* L. Wong, in *Defeating Terrorism, Strategic Issues Analysis* (Strategic Studies Institute). http://carlisle-www.army.mil/usassi/public/pdf.

(٢) *Is the FBI Dragging Its Feet?* par Barbara Hatch Rosenberg, Federation of American Scientists, 5 février 2002 http://www.fas.org/bwc/news/anthraxreport.htm.

(٣) حول هذا السجال *Trying Terrorists as War Criminals* par Jennnifer Elsea, Congressional Research Service (The Library of Congress, 29 octobre 2001). Téléchargement. http://www.fpc.gov/CRS-REPS/trying %20 terrorists.pdf.

(٤) كانت كوبا قد أجّرت قاعدة غوانتانامو للولايات المتحدة لمدة ٩٩ سنة، وكان استقلالها، في إعقاب الحرب الأميركية الإسبانية، ما يزال في حداثة عهده. لدى انتهاء العقد لم يجدده فيدل كاسترو. ومع ذلك لم تخل الولايات المتحدة قاعدة غوانتانامو وهي ما زالت تشغل القاعدة إشغالاً غير شرعي. على صعيد القانون الدولي، إن القانون الكوبي هو المعترف به على أرض القاعدة، غير أن الحكومة الكوبية لا تستطيع ممارسة سلطتها عليها.

(٥) *L'autre sale guerre d'Aussaresses* par Pierre Abramovici, in *Le Point* du 15 juin 2001, et *The French Connection in the Export of Torture* par César Chelala, in *The International Herald Tribune* de 22 juin 2001.

(٦) تصريح المفوضة العامة لشؤون حقوق الإنسان حول احتجاز مساجين طالبان والقاعدة في غوانتانامو، الأمم المتحدة، ١٦/١/٢٠٠٢ (المستند HR/02/4) (http://www.unher).

(٧) دخل نيغروپونتي إلى الأمم المتحدة بموافقة أجمع عليهما الشيوخ، بقلم غي ألّلار، غراما انترناشيونال تشرين أول/ أكتوبر ٢٠٠١.

(٨) *Saturday; September 15, At Camp David, Advise and Dissent* par Bob Woodward et Dan Balz, in *Washington Post* du 31 janvier 2002 http://www.washingtonpost.com.

(٩) إني أتهم - فرق بوش للموت، بقلم واين مادسن، في ميكينغ نيوز كوم بتاريخ ٣/١/٢٠٠٢.

(١٠) «موت وطنيّ»، في نيوز واتش بتاريخ ٣٠/١٢/٢٠٠١ (http://www.neuswatchngr.com).

(١١) إيلي حبيقة، «صدمة اغتيال وتفاصيل تنشر للمرة الأولى حول الاغتيال»، في إيدوماغازين بتاريخ ٢٢/٢/٢٠٠٢ (http://www.magazine.com.lb).

(١٢) *Phase II and Iraq par* Henry Kissinger, in *Washington Post* du 13 février 2002 http://www.washingtonpost.com.

(١٣) حديث مع هوبير ڤيدرين أجرته إذاعة فرنسا الدولية - بتاريخ ٦/٢/٢٠٠٢ (http://www.deplomatie.fr.).

(١٤) «مداخلة رئيس الحكومة أمام مؤتمر رؤوساء برلمانات الاتحاد الأوروبي ضد تبييض الأموال». الجمعية الوطنية، ٨/٢/٢٠٠٢.

(١٥) «كسر جليد الصمت، حديث مع كريس پاتّن»، ذي غارديان، ٩/٢/٢٠٠٢، (http://www.guardian.co.uk).

(١٦) ساندرا كوردون، «كريتيان يقاوم الضغوط الأميركية بشأن العراق» ذي هاليفاكس هيرالد (http://www.Horald.ms.ca) بتاريخ ١٦/٢/٢٠٠٢، ودانيال لوبلان «قلق أميركي من موقف رئيس الوزراء من ضرب العراق»، غلوب أندمايل بتاريخ ١٨/٢/٢٠٠٢ (http://www.Globeand Mail.com).

الفصل الحادي عشر

المؤامـرة

إن ما بحوزتنا الآن من مُعطيات يحملنا على الاعتقاد بأن اعتداءات الحادي عشر من أيلول/ سپتمبر حصلت بناء على طلب من داخل جهاز الدولة الأميركية. غير أن هذا الاستنتاج يصدمنا لأننا اعتدنا على خرافة «مؤامرة ابن لادن» ولأنه يؤلمنا أن يكون من بين الأميركيين من وسعه بكل صلافة التضحية بثلاثة آلاف من مواطنيه. هذا مع العلم أن هيئة الأركان العامة، خططت، في الماضي - إنما لم تنفذ أبداً - لحملة إرهابية ضد شعبها بالذات. لا بد إذن من تذكير تاريخي.

* * *

في العام ١٩٥٨، أقدم متمردون، بقيادة العقداء فيديل وراوول كاسترو وتشي غيفارا وكميلو ثينفويغوس، على قلب النظام - الدمية لفولغنثيو باتيستا. ووضعت الحكومة، التي لم تصبح شيوعية بعد، حداً لنظام الاستغلال وفرض الخوّة الذي فرضته على الجزيرة مجموعة من الشركات الأميركية المتعددة الجنسيات (ستاندار أويل، جنرال موتورز، أي تي تي، جنرال إلكتريك، شيراتون، هيلتون، يونايتد فروت، إيست إنديان كو) وآل باكاردي، منذ ست سنوات. وفي المقابل أقنعت هذه المبادرات الرئيس أيزنهاور بضرورة قلب الكاسترويين.

وافق الرئيس أيزنهاور، في السابع عشر من آذار/مارس ١٩٦٠، على «برنامج عمليات سرية ضد نظام كاسترو» مشابه لـ«مخطط» جورج تنيت، وإن اقتصر على كوبا وحدها. هدفه «استبدال نظام كاسترو بآخر أكثر انسجاماً، مع مصالح الشعب الكوبي الحقيقية، ويكون مقبولاً أكثر من الولايات المتحدة، وذلك باستخدام وسائل تتجنب إظهار التدخل الأميركي العلني»[١].

في السابع عشر من نيسان/أبريل ١٩٦١، حاولت فرقة من المنفيين الكوبيين والمرتزقة، من الذين أطرتهم السي.آي.إي. سراً على وجه التقريب، تنفيذ إنزال بحري في خليج الخنازير. كان الفشل هو مصير العملية. وكان الرئيس جون ف. كنيدي، الذي وصل لتوه إلى البيت الأبيض، قد رفض إرسال سلاح الجو الأميركي دعماً للمرتزقة. وقع ألف وخمسمائة رجلاً في أسر السلطات الكوبية. شجب كنيدي العملية وأقال مدير السي. آي.إي (ألن دالس)، ونائبه (شارلز كابلّ) ومدير جهاز الظل (ريتشارد بيسلّ). وكلف مستشاره العسكري، الجنرال ماكسويل تايلور، بإجراء تحقيق داخلي، ولكن لم تستتبعها تدابير ملموسة. وطرح كنيدي أسئلة على نفسه حول موقف هيئة الأركان العامة التي صادقت على العملية بينما كانت تعلم أن مصيرها سيكون الفشل المحتوم[٢].

كل شيء بدا وكأنه مؤامرة، سعى الجنرالات بواسطتها إلى توريط الولايات المتحدة في حرب مكشوفة مع كوبا.

ولئن كان الرئيس كنيدي قد دان مناهج السي.آي.إي وإخفاقاتها، فإنه لم يُعِد النظر بسياسة واشنطن إزاء السلطة القائمة في هافانا. فقد شكل «مجموعة خاصة موسّعة» مكلفة بالإعداد للكفاح المناهض للكاستورية وبقيادته. ضمت تلك المجموعة شقيقه، روبرت كنيدي (وزير العدل)، ومستشاره العسكري (الجنرال ماكسويل تايلور)، ومستشار الأمن القومي (ماك غورج بوندي)، ووزير الخارجية (دين راسك)، يعاونه مستشار (الكيس جونسون)، ووزير الدفاع (روبرت ماكنمارا)، يعاونه مستشار (روزويلّ جيلپاتريك)، والمدير الجديد

للسي.آي.إي، (جون ماكّون)، وقائد الأركان العامة (الجنرال ليمان ل. ليمنيتزر).

ابتكرت هذه اللجنة الخاصة الموسعة مجموعة من العمليات السرّية، أدرجت تحت العنوان الشامل لعملية «مانغوز» (نمس). ولتنفيذها، عهد بالتنسيق العملاني بين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع والسي.آي.إي إلى الجنرال إدوار لانسدال (مساعد وزير الخارجية المكلف بالعمليات الخاصة) وبصفته هذه كان مكلفاً بإدارة وكالة الأمن القومي (NSA). بيد أن وحدة متخصصة شكلت داخل السي.آي.إي، هي «المجموعة W»، بقيادة وليم هارفي.

* * *

في نيسان/أبريل ١٩٦١، اخترقت أزمة خطيرة الجيش الأميركي: عزل الرئيس كنيدي[٣] الماجور جنرال إدوين أ. وولكر، الذي أثار مواجهات عنصرية في ليتل روك قبل توليه قيادة المشاة المتمركزين في ألمانيا. وجهت إليه التهمة بالعمل على تعبئة يمينية متطرفة داخل الجيوش، وكان هو نفسه ينتمي إلى جمعية (John Birch Society) وإلى فرسان الكلوكلوكس كلان الأصيلين (Authentiques Chevaliers du Klux Klan).

قادت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ تحقيقاً عن اليمين العسكري المتطرف. وقاد جلسات الاستماع الشيخ ألبرت غور (ديمقراطي – تينيسي)، والد نائب الرئيس الأميركي الأسبق. لقد اشتبه أعضاء مجلس الشيوخ بقائد الأركان العامة، الجنرال ليمان ل. ليمنيتزر، في ضلوعه بـ«مؤامرة وولكر»[٤]. يعلم غور علم اليقين أن ليمنيتزر هو خبير في العمليات السريّة: كان قد تولّى، في العام ١٩٤٣ قيادة المفاوضات التي آلت إلى سلخ إيطاليا عن الرايخ الألماني، ثم أنه، في العام ١٩٤٤، قاد، بمعية آلن دالس، المفاوضات السرّية مع النازيين، في أسكونا (سويسرا)، تمهيداً للاستسلام (عملية سانرايز)[٥]. لقد شارك في إنشاء شبكة الظل التابعة لحلف شمال الأطلسي،

التي جندت عملاء نازيين في الكفاح ضد الاتحاد السوفياتي، وفي تهريب مرتكبي جرائم ضد الإنسانية إلى أميركا اللاتينية. غير أن غور لم يتمكن من كشف النقاب عن مسؤوليته في القضايا الأحدث عهداً.

لقد بينت مراسلة أجراها الجنرال ليمنيتزر، نشرت مؤخراً، أنه كان يتآمر مع قائد القوات الأميركية المرابطة في أوروبا (الجنرال لوريس نورستاد) وضباط آخرين، من ذوي الرتب العالية، لتخريب سياسة جون ف. كنيدي.

إن العسكريين المتطرفين قد استنكروا رفض كنيدي التدخل عسكرياً في كوبا. وهم يُحمِّلون عناصر السي.آي.إي المدنيِّين مسؤولية سوء التخطيط للانزال الذي تم في خليج الخنازير، ويتهمون الرئيس كنيدي بالجبن لرفضه تأييد القوات الجوية الأميركية. ولإخراج الوضع من المأزق، ابتكروا ما من شأنه توفير ذريعة سياسية ليتدخل كنيدي عسكرياً. وهذه الخطة المسماة «نورثوودز» (غابة الشمال) استدعت إعداد دراسات معمقة تولى صياغتها العميد وليم هـ. كريغ. وعرضها الجنرال ليمنيتزر نفسه، أمام المجموعة الخاصة الموسعة، بتاريخ ١٣/٣/١٩٦٢. عقد الاجتماع في البنتاغون، في مكتب وزير الدفاع، من الساعة الثانية والنصف حتى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، انتهى الاجتماع نهاية سيئة للغاية: رفض روبرت ماكنمارا الخطة برمتها، بيد أن الجنرال ليمنيتزر عمد إلى إطلاق التهديدات.

تلا ذلك ستة أشهر من النزاعات المتواصلة بين إدارة كنيدي وهيئة الأركان العامة، ثم إبعاد ليمنيتزر وتعيينه قائداً للقوات الأميركية المرابطة في أوروبا. قبل مغادرته، أصدر الجنرال الأمر بإتلاف كل أثر لمشروع نورثوودز، إلا أن روبرت ماكنمارا احتفظ بنسخة من المذكرة التي كانت قد سلمت له[٦] (انظر الملحق).

***

إن ما هدفت إليه عملية نورثوودز هو إقتناع المجتمع الدولي بأن فيدل كاسترو بلغ من اللامسؤولية مبلغاً بات معه يشكل خطراً على سلام الغرب.

ولتحقيق ذلك، تم التخطيط لتنفيذ عمليات تلحق الضرر بالولايات المتحدة على أن يتمَّ بعد ذلك تحميل كوباً المسؤولية عنها. وهذه بعض الاستفزازات المخطط لها:

ـ مهاجمة قاعدة غوانتانامو الأميركية. وكان يفترض أن ينفذ العملية مرتزقة كوبيون يرتدون زي قوات فيدل كاسترو، وقد تضمنت عدة عمليات تخريب وتفجير مستودع ذخائر كان من شأنها لو حصلت أن تحدث بالتأكيد أضراراً مادية وبشرية هائلة.

ـ تفجير سفينة أميركية داخل المياه الإقليمية الكوبية على نحو يعيد إلى الذاكرة تدمير الماين (Maine)، عام ١٨٩٨ (٢٦٦ قتيلاً)، الذي استدعى التدخل الأميركي ضد أسبانيا[٧]. وقضت العملية أن تكون السفينة خالية من كل شيء وموجهةً عن بعد، وأن يكون الانفجار مرئياً من هافانا أو من سانتياغو، لتوفير الأدلة. وكان لا بد من تنظيم عمليات إنقاذية تؤول إلى تصديق وقوع خسائر، وإعداد لوائح تنشر في الصحافة، وتنظيم جنائز وهمية لإثارة السخط. وحدِّد توقيت حدوث الانفجار لحظة التقاء سفن وطائرات كوبية في المنطقة المعيّنة بحيث يصبح بالإمكان أن يُعزى إليها سبب الهجوم.

ـ دب الرعب في أوساط المهاجرين الكوبيين، عن طريق رمي بعض المتفجرات ضدهم في ميامي وفلوريدا وحتى في واشنطن. وثمة عملاء كوبيون وهميون لا بد من توقيفهم لانتزاع اعترافات منهم. كما أنه لا بد من إعداد المستندات الثبوتية مسبقاً، ليتم اكتشافها وتوزيعها على الصحافة.

ـ تعبئة الدول المجاورة لكوبا بحيث يتكون لديها الاعتقاد بأن ثمة خطر غزو يتهددها. ويقضي ذلك بأن تقوم طائرة كوبية وهمية بالإغارة ليلاً على جمهورية الدومينيكان، أو أي دولة أخرى في المنطقة. ويجب أن تكون القنابل بالطبع من صنع سوفياتي.

ـ تعبئة الرأي العام الدولي وذلك عن طريق تدمير رحلةٍ فضائية ويكون

على متنها رائد فضاء. ولشد الانتباه، ارتؤي أن يكون الضحية جون غلين، أول رائد فضاء أميركي دار حول مدار الأرض دورة كاملة (رحلة ميركوري).

وجرى البحث في عملية استفزاز بحثاً مختصاً:

ـ بالإمكان افتعال حادث يثبت بطريقة مقنعة أن طائرة كوبية هاجمت طائرة نقل مدنية وأسقطتها أثناء رحلتها من الولايات المتحدة إلى جامايكا، أو غواتيمالا، أو باناما أو فنزويلا. ومن أجل ذلك قضى الأمر بأن تستقل مجموعة من الركاب المتواطئين فيما بينهم، وقد يكونون من الطلاب، على سبيل المثال، طائرة شارتر تابعة لشركة تملكها السي.آي. إي بشكل غير معلن. وفوق سواحل فلوريدا قد تلتقي طائرتهم بنسخة مطابقة، وتكون بالفعل طائرة مشابهة في الظاهر، إنما خالية وقد تم تحويلها إلى طائرة بدون طيار. ثم يعود الركاب أدراجهم إلى قاعدة للسي.آي.إي، بيد أن الطائرة بدون طيار قد تواصل في الظاهر، رحلتها. فترسل الطائرة إشارات استغاثة تؤكد عبرها أنها قد تعرضت لهجوم من مقاتلات كوبية وتنفجر في الجو[٨].

يتطلب تنفيذ هذه العمليات، بالضرورة، التضحية بالعديد من المواطنين الأميركيين، مدنيين وعسكريين. لكن كلفتها البشرية، بالضبط، هي التي تجعل منها عمليات تلاعب فعّالة.

* * *

كان ليمنيتزر، بنظر جون ف. كنيدي، شخصاً معادياً للشيوعية عداء هستيرياً، يتمتع بدعم من الشركات المتعددة الجنسيات العديمة الذمة. لقد فهم الرئيس الجديد معنى تحذير سلفه، الرئيس أيزنهاور، قبيل سنة، عندما قال في خطابه الوداعي: «في اجتماعات الحكومة علينا أن نحذر الاستحصال على نفوذ غير شرعي، سواء سعى وراءه المجمع الصناعي العسكري أم لا. ثمة مخاطر أن تنحو أي سلطة مغتصبة منحى كارثياً ولا مفر من ذلك. علينا ألا نسمح أبداً لهذه العلاقات المشبوهة أن تهدد حرياتنا وتفسد السيرورات الديمقراطية. لا يسعنا اعتبار أي شيء محسوماً. يقظة المواطنين ووعيهم وحدهما يشكلان

الضمانة لإرساء توازن بين الآلة الدفاعية الصناعية والعسكرية وبين مناهجنا وأهدافنا السلمية، وذلك على نحو يستطيع معه الأمن والحرية أن ينمُوا معاً»[٩].

وفي نهاية المطاف، استطاع جون ف. كنيدي أن يتصدى للجنرالين وولكر وليمنيتزر ولأصدقائهما، ورفض دفع أميركا إلى مزيد من التورط في حرب إبادة ضد الشيوعية، في كوبا، أو لاووس، أو الفييتنام، أو في بلدان أخرى. قتل كنيدي في ٢٢/١١/١٩٦٣[١٠].

وأحيل الجنرال ليمنيتزر إلى التقاعد في العام ١٩٦٩. ولكن في العام ١٩٧٥، وفيما كان مجلس الشيوخ قد شرع في استقصاءاته عن دور السي.آي.إي المحدد في عهد نيكسون، طلب منه جيرالدفورد، الذي تولى منصب الرئاسة بالنيابة منذ انكشاف أمر فضيحة ووترغيت، السماح له بالاشتراك بذلك التحقيق. وبعد أن ساعد فورد في طمر السجال عاد يطلب من الكونغرس مجدداً أن يسمح له بتنشيط مجموعة ضغط، لجنة الخطر الراهن (CPD). هذه الجمعية صنعتها السي.آي.إي، التي كان يرأسها، آنذاك جورج بوش الأب. وقادت الحملة ضد الخطر السوفياتي. ونجد في عداد مدرائها مسؤولين عدة في السي.آي.إي وبول د. ولفوويتس (نائب وزير الدفاع الحالي المكلف بالعمليات في أفغانستان). وفي موازاة ذلك عمد جيرالد فورد إلى ترقية العميد وليم هـ. كريغ، الذي وجه الدراسات الأولى لعملية نورثوودز، وعيّنه مديراً لوكالة الأمن القومي (NSA).

توفي الجنرال لايمان ل. ليمنيتزر في ١٢/١١/١٩٨٨.

عاد الرأي العام الأميركي ليطرح في العام ١٩٩٢ الأسئلة حول اغتيال الرئيس كنيدي، عقب نشر فيلم لأوليفر ستون يفضح عدم تماسك الرواية الرسمية. لقد أمر الرئيس كلينتون بالإفراج عن العديد من الوثائق العائدة لفترة كنيدي، فعثر في أوراق وزارة الدفاع على النسخة الوحيدة، المحفوظة، عن مشروع نورثوودز.

* * *

تذكّرنا هذه السابقة التاريخية أنه بإمكان وجود مؤامرة داخلية أميركية يتقرر فيها التضحية برعايا من الأميركيين، في إطار حملة إرهابية، ليس بالأمر المستحيل، بكل أسف. في العام ١٩٦٢ قاوم جون ف. كنيدي، جنون هيئة أركانه، فدفع حياته، على الأرجح، ثمناً لذلك، ولا ندري ماذا كان يمكن أن تكون عليه ردة فعل جورج دبليو بوش لو كتب له أن يواجه مثل هذه الحالة.

إن تاريخ الولايات المتحدة المباشر يبيّن لنا أن الإرهاب الداخلي هو من الممارسات التي تشهد نمواً. منذ العام ١٩٩٦ ينشر الـ إف.بي.آي تقريراً سنوياً عن النشاط الإرهابي الداخلي[١١]: أربع عمليات في ١٩٩٥، ثمانية في ١٩٩٦، خمسة وعشرون في ١٩٩٧، سبعة عشر في ١٩٩٨ وتسعة عشر في ١٩٩٩. نفذ معظم هذه العمليات مجموعات عسكرية وشبه عسكرية تنتمي إلى اليمين المتطرف.

* * *

إن إثبات وجود مؤامرة داخل القوات المسلحة الأميركية لتنفيذ اعتداءات الحادي عشر من أيلول متضمن في إفادة الملازم أول دلمارت إدوارد ڤريلاند أمام محكمة تورونتو العليا (كندا)[١٢].

إذ كان قد ضبط بمخالفة استخدام بطاقة مصرفية، راح الملازم أول ڤريلاند يدافع عن نفسه بإثبات انتمائه إلى جهاز استخبارات البحرية الأميركية (Naval Intelligence) وروى لرجال الشرطة أنه جمع في روسيا معلومات، عن اغتيال مارك باستيان، أحد مستخدمي الشيفرة في سفارة كندا بموسكو، وعن التحضير لاعتداءات على نيويورك. وبعد أن تأكدت من أن مارك باستيان قضى جراء ابتلاعه كمية مفرطة من عقار مضاد للانهيار العصبي، بينما كان في حالة سكر، ولم يقضِ اغتيالاً، لم تعر الشرطة أقوال ڤريلاند أي اهتمام، معتبرة إياها بمثابة دفاع يدعو للشفقة. فزج به في السجن.

في ١٢/٨/٢٠٠١، سلم ڤريلاند إدارة السجن مغلفاً مغلقاً يحتوي على

إفادة تتعلق باعتداءات مقبلة. لم تعرها السلطات الكندية أي اهتمام. في ١٤ أيلول/سبتمبر، فتحت المغلف ووجدت فيه وصفاً دقيقاً للاعتداءات التي كانت قد وقعت، في نيويورك قبيل هذا التاريخ بثلاثة أيام. وعلى أثر استجوابها للپنتاغون مباشرة، تلقت جواباً مفاده أن دلمارت «مايك» ڤريلاند كان قد ترك البحرية في العام ١٩٨٦ بسبب كفاءاته المتدنية، ولم يكن يوماً ملتحقاً بجهاز الاستخبارات البحرية. لم يأخذ النائب الفدرالي أقوال ڤريلاند على محمل الجد، بل صاح متعجباً، أمام محكمة تورونتو العليا، قائلاً: «هل هذه القصة معقولة؟ لن أجزم في القول إنها مستحيلة، إنما هي غير مقنعة البتة».

أول إثارة، الطبيب الشرعي، لاين دوشين، الذي محّص في أسباب وفاة الدبلوماسي مارك باستيان فاستنتج أنه قضى اغتيالاً، مما جعل أقوال ڤريلاند تستعيد صدقيتها. الإثارة الثانية حدثت أثناء جلسة استماع علانية جرت في محكمة تورونتو العليا، بتاريخ ٢٧/١/٢٠٠٢: اتصال أجراه محاميا الملازم أول ڤريلاند، الأستاذ روكّو غالاتي وپاول ذْلانسكي، بمقسم الپنتاغون بواسطة هاتفٍ مزودٍ بمكبر للصوت، وأمام القضاة الذين كاوا يصغون للمكالمة تلقيا التأكيد بأن موكلهم كان في الخدمة النشطة داخل البحرية. إضافة إلى ذلك، لما طلبا التحدث إلى مرؤوسيه حولت عاملة المقسم المكالمة للاستخبارات البحرية.

* * *

هذه الاعتداءات كانت على علم بها خمسة أجهزة استخبارات (ألمانية، مصرية، فرنسية، إسرائيلية وروسية)، وعميل للاستخبارات البحرية مثل ڤريلاند، وأصحاب رسائل مجهولو الهوية كانوا قد حذروا فيها أوديجو (Odigo)، ناهيك عن المطلعين غير الذين راهنوا في البورصة إلى أي مدى وصلت التسريبات؟ وما هي حدود التورط؟

كان بروس هوفمان، نائب رئيس راند كورپورايشن، قد صرح أثناء استجوابه من قبل مجلس النواب، أن الاعتداءات فاقت كل «التصورات»[١٣]

الراند كوربورايشن[١٤]، التي بلغت ميزانيتهما ١٦٠ مليون دولار، هي أهم مركز أبحاث خاص في العالم، متخصص في حقل الاستراتيجية والتنظيم العسكري. وهي أروع تعبير عن المجمع الصناعي العسكري الأميركي. وهي إذ يرأسها جايمس تومسون، تضم بين مسؤوليها الإداريين آنّ ماكلوغن كورولوغوس (الرئيسة الأسبق لمعهد آسبن (Aspen)) وفرانك كارلوتشي (رئيس كارليل غروب). وتوالى على إدارتها كوندوليزا رايس ودونالد رامسفيلد بمقدار ما كانت تسمح لهما به وظيفتاهما الرسميتان، وقد عمل فيها زالماي خليلزاد، محللاً.

إلا أن بروس هوفمان يكذب: في محاضرة نشرتها أكاديمية سلاح الجو الأميركي في آذار/مارس الماضي (أي قبل وقوع الاعتداءات بستة أشهر)، كان قد توقع تماماً سيناريو الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ذاك، الذي «فاق كل تصور»[١٥]. وفي حديث موجه إلى جمهور من الضباط الكبار في سلاح الجو الأميركي حدَّد قائلاً «إننا نسعى إلى إعداد العدة لمكافحة القاعدة، التنظيم - أو ربما الحركة - التابع لإبن لادن»، (...) «فكروا برهة بماكان عليه الاعتداء بالمتفجرات، ضد مركز التجارة العالمي، في العام ١٩٩٣، والآن، ليكن في علمكم أن بالإمكان جعل البرج الشمالي ينهار على البرج الجنوبي وقتل ٦٠٠٠٠ شخص» (...) «سيعثرون على أسلحة أخرى، وتكتيكات أخرى، ووسائل أخرى، لبلوغ أهدافهم. لديهم إمكانيات واضحة في اختيار الأسلحة التي يريدون، منها الطائرات بدون طيارين [أي طيارات تقاد عن بعد]».

يا لها من بصيرة، أليس كذلك؟

***

بغية التهدئة من روع النزاعات العدوانية للحزب الجمهوري وافق الديمقراطيون، بمناسبة التصويت على قانون الميزانية لعام ٢٠٠٠، على تشكيل لجنة تقويم لتنظيم وتخطيط أمن الولايات المتحدة في مجال الفضاء. أنجزت اللجنة تقريرها[١٦] وسلمته في ١١/١/٢٠٠١، قبيل أيام من تعيين رئيسها دونالد

رامسفيلد المحترم وزيراً للدفاع في إدارة بوش، وقبيل أيام من إخلائه لمقعده في مجلس إدارة مؤسسة راند كوربورايشن. كان في عداد أعضائه الاثني عشر، ثمانية من الضباط المتقاعدين. جلهم من أنصار برنامج «الدرع الواقي من الصواريخ». بحيث أن أيام عمل اللجنة الاثنين والثلاثين لم تخصص لمراجعة الأوضاع، بل للبحث عن حجج تبرِّر لاحقاً القناعات المشتركة التي يحملها جميع أعضائها.

كان الفضاء، بنظر «لجنة رامسفيلد»، مجالاً يضاهي البر والجو والبحر أهمية، من الناحية العسكرية. ويتعيّن أن يتوفر له سلاحه الخاص بالتكافؤ مع سلاح البر والجو والبحر. على الولايات المتحدة أن تحتل هذا المجال وتمنع أي قوة أخرى من احتلال موقع لها فيه. فبفضل هذا التفاوت في الوسائل، يصبح تفوقها العسكري محققاً ولا محدوداً.

بلورت لجنة رامسفيلد عشرة اقتراحات:

١ - يتعين على سلاح الفضاء أن يكون تابعاً للرئيس.

٢ - على الرئيس أن يحيط نفسه بمستشار لشؤون الفضاء كي تستغل الولايات المتحدة الأميركية تفوقها أفضل استغلال.

٣ - يجب التنسيق بين مختلف وكالات الاستخبارات ووضعها تحت سلطة سلاح الفضاء داخل مجلس الأمن القومي.

٤ - حيث أن سلاح الفضاء هو في آن واحد وسيلة استخبار وسلاح مهلك، فإن استعماله يفترض قيام تنسيق بين وزير الدفاع ومختلف أجهزة الاستخبارات؛ وتوضع هذه الأخيرة تحت سلطة وحيدة، هي سلطة مدير السي. آي. إي.

٥ - يتعين أن يعاون وزير الدفاع نائبٌ وزير لشؤون الفضاء.

٦ - يجب فصل قيادة الفضاء عن القيادة الجوية.

٧ ـ يجب أن يكون في وسع أجهزة الأسلحة الأخرى أن تستخدم سلاح الفضاء.

٨ ـ يجب ربط الـ NRO (وكالة التصوير الفضائي) بنائب وزير لشؤون سلاح الجو.

٩ ـ يجب أن يتولى وزير الدفاع شخصياً الإشراف على التوظيفات في مجال الأبحاث والتنمية الفضائية، على نحو يتّسع معه التفاوت بين القوات الأميركية وقوات القوى العسكرية الأخرى.

١٠ ـ لا بد من تخصيص ميزانيات أكبر لتمويل برنامج التسلح الفضائي.

علاوة على نقض معاهدة أي.بي.إم (ABM) لعام ١٩٧٢، فإن هذا البرنامج الطموح الآيل إلى عسكرة الفضاء، يفترض إجراء تلك الإصلاحات في التنظيم والاستراتيجية الأميركية، التي تبدو غير قابلة للتحقيق. لذا كتبت لجنة رامسفيلد تقول: «التاريخ مليء بأوضاع تجاهلنا فيها التحذيرات وقاومنا التغيير إلى أن يقع حادث كنا حتى لحظة وقوعه نعتبره «غير متوقع»، فيضغط على البيروقراطيات المتحفظة. والسؤال المطروح هو معرفة ما إذا كانت الولايات المتحدة ستتحلى بحكمة العمل على نحو مسؤول وتُقْدِمُ بأسرع ما أمكن على تخفيف انكشاف قوتها الفضائية. أو ما إذا كان الحدث الوحيد الكفيل باستنهاض طاقات الأمة وإجبار حكومة الولايات المتحدة على التصرف، كما سبق أن حصل في ما مضى، هو وقوع اعتداء مدمِّر على البلاد وشعبها، أي «پرل هاربور فضائي».

لقد تلقينا التحذيرات، إنما لسنا في حالة تأهب».

بنظر دونالد رامسفيلد وجنرالات سلاح الجو، فإن حوادث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر شكلت، إلى حد ما، «مفاجأة ربّانية».

في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، عند الساعة الثامنة عشر واثنين وأربعين دقيقة، نظم دونالد رامسفيلد مؤتمراً صحافياً في البنتاغون[١٧]. وللتعبير

عن وحدة أميركا في تلك الأوقات العصيبة، انضم إليه الزعماء الديمقراطيون والجمهوريون الأعضاء في لجنة الدفاع المنبثقة عن مجلس الشيوخ. كانت أخبار الرئيس بوش مقطوعة، والعالم في وضعية انتظار قلق لما سيكون عليه رد الولايات المتحدة، إلا أنه في منتصف المؤتمر، وفي بث مباشر أمام عدسات الصحافة الدولية، هاجم دونالد رامسفيلد الشيخ كارل ليفين (ديمقراطي ـ ميشيغان) قائلاً: «أنتم وآخرون من ممثلي الحزب الديمقراطي في الكونغرس، عبّرتم عن خشيتكم من عدم توفّر وسائل تمويل الزيادات في ميزانيات الدفاع التي طلبها البنتاغون، لاسيما الدفاع المضاد ـ للصواريخ. تخشون من اضطراركم لسحب الأموال من صندوق الضمان الاجتماعي لتمويل هذا الجهد، هل تكفي مثل هذه الأحداث الواقعة لتوها لإقناعكم بأنه بات ملحاً لهذا البلد زيادة النفقات المخصصة للدفاع، وأنه لا بد من سحب أموال من صندوق الضمان الاجتماعي، إذا اقتضى الأمر، لتغطية النفقات العسكرية؟ ـ زيادة النفقات العسكرية؟».

لعله انفعال يقوم مقام اعتراف.

(١) «برنامج عمليات سرّية ضد نظام كاسترو» وثيقة للسي.آي.إي مفرج عنها، مؤخرة ١٦/ ٤/ ١٩٦١.

(٢) *The Chairmen of the Joint Chiefs of Staff*, Willard J. Webb et Ronald H. Cole, DoD. 1989. *Swords and Plowshares*, Maxwell D. Taylor, 1972.

(٣) راجع دراستنا: «Les Forces spéciales clandestines», in *Les Notes d'information du Réseau Voltaire* n° 235. Pour de plus amples détails, *Edwin A. Walker and the Right Wing in Dallas*, par Chris Cravens. South Texas State University, 1993.

(٤) منذ نهاية الحرب الكورية، كان المايجور جنرال إدوين وولكر على يقين من أن حكومة الولايات المتحدة كانت منخرطة في سياسة تراجع أمام زحف الشيوعية. عقب إقصائه عن وظائفه من قبل وزير الدفاع، روبرت ماكنمارا، وبعد أن وُجِّه إليه توبيخٌ، كان قد دبّر انتفاضة في جامعة الميسيسيبي احتجاجاً على انخراط مدرس زنجي في سلك التعليم. لوحق آنذاك من قبل وزير العدل، روبرت كنيدي، وأوقف بتهمة التآمر والتحريض والانتفاضة والثورة. بعد أن استفاد من دعم الصحافة المحافظة التي وصفته على أنه «سجين آل كنيدي السياسي»، أفرج عنه بعد دفع كفالة مالية وقدرها مئة ألف دولار. وسوف نشاهده يموّل مؤامرة للـ OAS (منظمة الجيش السرّي) لاغتيال شارل ديغول. ثم يحرك «اللجنة 8F» المشتبه بها في التخطيط لاغتيال جون ف. كنيدي.

(٥) Les Secrets d'une reddition, Allen Dulles, Calmann-Lévy, 1967.

(٦) نشرت وثائق عملية تورثوودز بداية في أستراليا من قبل جون إلّيستون (*Psy War on Cuba, The Declassified History of US Anti-Castro Propaganda*, Ocean Press éd., 1999) من دون أن يثير ذلك أي رد فعل في الولايات المتحدة. وقد استخدمها ثانية جايمس بامفورد، الصحافي في شبكة ABC News، في كتابه عن تاريخ وكالة الأمن القومي (*Body of (NSA) Secrets, Anatomy of the Utra-Secret National Security Agency from the Cold War to the Dawn of a New Century*, Doubleday éd., 2001) مما أثار وقتئذٍ القلق في أوساط المؤرخين.

(٧) في تلك الفترة، كانت كوبا مستعمرة إسبانية، وتدخلت الولايات المتحدة عسكرياً لإتمام إزالة الاستعمار من كوبا إزالة تامة وإخضاعها لنظام الحماية.

(٨) إن مراقبة المجال الجوي قد تطورت إلى درجة أصبح معها من الصعب، اليوم، أن تستبدل طائرات من دون أن يلاحظ المراقبون هذه الخدعة. إلا أن ذلك ليس بمستحيل. من المعلوم أن كل طائرة ركاب مزودة بجهاز مخصص للإستجابة الرادارية يرسل إشارات يحدد فيها هوية الرحلة ومعطياتها (الارتفاع، السرعة، الخ)، وذلك على نحو يستطيع معه المراقبون أن يروا على شاشات رادارهم ليس مجرد نقطة، إنما لوحة أرقام تسجيل الطائرة. مع ذلك، فإن المعرفة الدقيقة للمجال الجوي محمية من قبل الدفاع السري، والرادارات المدنية مزودة بمِرشح مضلل إذا ما رصدت طائرات تعمل أجهزتها الرادارية على إرسال شيفرات عسكرية. كي يتم استبدال الطائرات، لا بد من الحيازة على شيفرة عسكرية وتعطيل الأجهزة الرادارية المدنية أثناء الاستبدال.

من الملاحظ، في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، أن أجهزة الاستجابة الرادارية للطائرات الأربع المخطوفة رسمياً قد توقفت عن الإرسال لسبب مجهول. وتبعاً للإجراء المعمول به، يتعيّن على القيّمين على أجهزة المراقبة الجوية الاتصال على الفور، عبر الراديو، للتأكد من أن الطائرة ليست في خطر، وفي حال تعذر عليهم ذلك يتوجّب عليهم إبلاغ السلطة العسكرية (NORA) لإجراء اتصال مرئي بمطارداتها.

(٩) دوايت إيزنهاور، خطاب الوداع، ١٧/ ١/ ١٩٦١.

(١٠) جون ف. كنيدي، تشريح جريمة دولة، JFK. *Autopsie d'un crime d'État*, William Reymond, Flammarion, 1998.

(١١) Terrorism in United States, FBI. Téléchargements 1996: http://www.fbi.gov/publications/terror/terroris.pdf; 1997: http://www.fbi.gov/publications/terror/terr97.pdf; 1998: http://www.fbi.gov/publications/terr98: pdf; 1999: http://www.fbi.gov/publication/terror/terror99.pdf.

(١٢) كتب عن هذه القضية أربعة مقالات لـ: Nick Pron dans le *Toronto Star* (http://www.thestar.com). *Did this Man Predict Sept.* 11? (23 Octobre). *US Looks Into Inmate's Story, Jail Man Said He Tried to Warn. Plot to Murder Judge May Never Have Existed* (31 octobre) *et Was Embassy Worker Poisoned?* (21 janvier 2002) يحيل المقال الثالث إلى شهادة في التحضير لاغتيال قاضٍ. وتراجع الشرطة في تلك القضية قد استخدم على ما يبدو للتقليل من اعتبار ڤريلاند. وفضلاً عن ذلك، فإن مايكل رابيرت، ناشر كتاب (*From The Wilderness*) الذي يقيم صلة بمحامي ڤريلاند، قد خص هذه القضية بعدة مقالات على العنوان (http://www.copvcia.com).

(١٣) استجواب ٢٦/ ٩/ ٢٠٠١ (http://www.rand.org/publications/CT/CT182/CT182.pdf).

(١٤) الموقع الرسمي لراندكوربورايشن http://www.rand.org

(١٥) *Twenty-First Century Terrorism, in The Terrorism Threat and US Government reponse: Operational and Organizational Factors*, US Air Force Academy, Institute for National Security Studies, March 2001. ونص بروس هوفمان متوفر على العنوان (http://www.usafa.af.mil/inss/foreword.htm).

(١٦) *Report of the Commission to Assess U.S. National Security Space Management and Organization* (http://www.defenselink.mil/pubs/space20010111.html.

خاتمة

لئن كانت مجموعة الضغط المرتبطة بمصالح الطاقة هي المستفيدة الأولى من حرب أفغانستان، فإن مجموعة الضغط المرتبطة بالمجمع الصناعي العسكري هي الرابحة الكبرى من الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر. إن أكثر طموحاتها جنوناً قد وجدت سبيلها إلى التحقُّق.

بادىء ذي بدء، نقض الرئيس جورج دبليو بوش من طرف واحد معاهدة الـ أي. بي. أم (ABM)، التي تعيّن حدوداً لتطوير التسلح.

ثم إن الأمر لم يقتصر على عدم عزل مدير السي. آي. إي عقب انكسار الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر الفاضح، بل إن الاعتمادات المخصصة للوكالة زيدت على الفور بما نسبته ٤٢٪ ضماناً لحسن تنفيذ «مخطط الهجوم العالمي».

إن الميزانية العسكرية للولايات المتحدة، التي عرفت تخفيضاً متواصلاً منذ انحلال الاتحاد السوفياتي، قد شهدت نمواً مفاجئاً وجنونياً على حدّ سواء، وإذا ما جمعنا الاعتمادات المقررة بصورة مستعجلة عقب الاعتداءات والزيادات المرتقبة في الميزانيات، فإن السنتين الأوليين من رئاسة بوش تميّزتا بزيادة الإنفاق العسكري بنسبة ٢٤٪. على امتداد خمس سنوات، ستمثل ميزانية الجيش في الولايات المتحدة أكثر من ألفي مليار دولار، في حين أن سباق التسلح قد انتهى، وأنه لم يعد لها عدو يحسب له حساب. باتت ميزانية

الولايات المتحدة العسكرية مساوية لمجموع ميزانيات الجيوش الخمسة والعشرين الأكبر التي تليها.

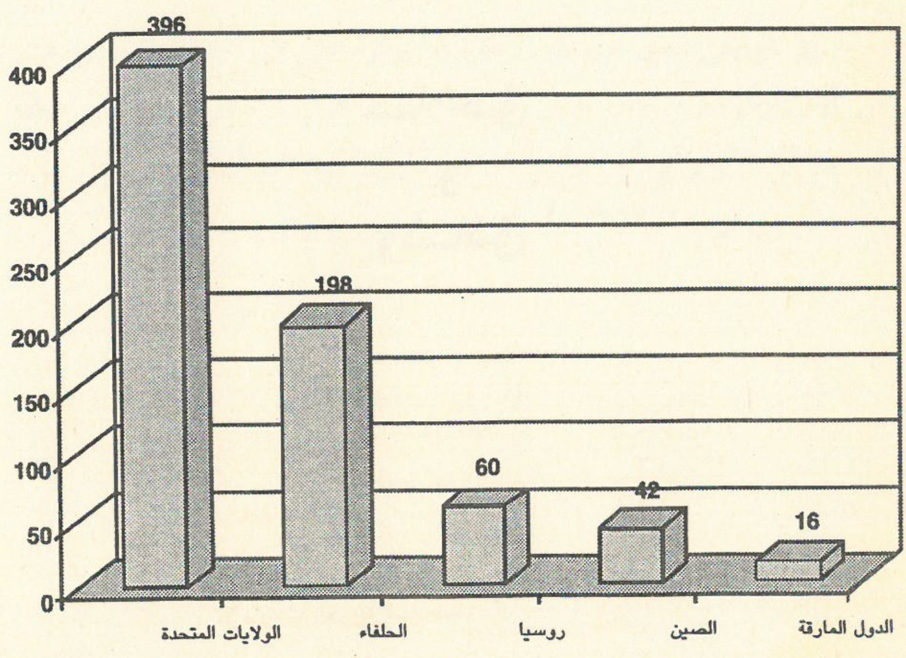
إن بنود الميزانية الأفضل تجهيزاً هي تلك المتعلقة بالفضاء والعمليات السرية، الأمر الذي يُظهر، وعلى هذا النحو، طغيان التحالف، داخل جهاز الدولة، بين مسؤولي العمليات السرية (المجتمعين حول جورج تينت) وأنصار سلاح الفضاء. هؤلاء الأخيرون اجتمعوا حول دونالد رامسفيلد والجنرال رالف إ. إبرهارت، القائد العام الحالي لـ NORAD والضابط الأعلى الرئيسي الذي قاد عمليات الرقابة الجوية في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.

إنَّ المنحى الذي اعتمدته الإدارة الأميركية على أثر أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، ينذر بوابل من «الدماء والعرق والدموع» بحسب عبارة ونستون تشرشل. بقي أن نعرف الآن من سيدفع الثمن عن كوكبنا.

باريس في ٢٠/٢/٢٠٠٢

ملاحق
و
وثائق

الموازنات العسكرية للبلدان الرئيسية



يُظهر الجدولان (بمليارات الدولارات الأميركية) طغيان أعباء النفقات العسكرية الأميركية، التي تفوق مجموع أعباء الدول الخمس وعشرين التالية لها.

(*) «الحلفاء» تشمل بلدان الحلف الأطلسي، واستراليا واليابان وكوريا الجنوبية.
«الدول المارقة» (Rogues) تشمل كوبا وإيران والعراق وليبيا وكوريا الشمالية والسودان وسوريا.

الولايات المتحدة	٣٩٦
روسيا	٦٠
الصين	٤٢
اليابان	٤٠
المملكة المتحدة	٣٤
العربية السعودية	٢٧
فرنسا	٢٥
المانيا	٢١
البرازيل	١٧
الهند	١٥
كوريا الجنوبية	١١
إيران	٩
إسرائيل	٩
تايوان	٨
كندا	٧
اسبانيا	٦
استراليا	٦
هولندا	٥
تركيا	٥
سنغافورة	٤
السويد	٤
الإمارات العربية المتحدة	٣
بولونيا	٣
اليونان	٣
الأرجنتين	٣
المجموع خارج الولايات المتحدة	٣٨٢

(بمليارات الدولارات الأميركية)

مذكرة توثيق لوزارة الخارجية
حول أسامة بن لادن

نشرت وزارة الخارجية مذكرة توثيق كتبت فيها أسطورة أسامة بن لادن لتبرير القصف في ٢٠ آب/ أغسطس ١٩٩٨ في أفغانستان والسودان.

في ٢٠ آب/ أغسطس ١٩٩٨، هاجم الجيش الأميركي عدة قواعد تابعة للشبكة الإرهابية التي يقودها أسامة بن لادن. تقوم هذه الشبكة حالياً بقيادة وتمويل وإلهام مجموعات متطرفة إسلامية ترتكب أعمالاً إرهابية في كل أنحاء العالم.

إن شبكة ابن لادن متعددة الجنسيات ومتواجدة في العالم كلّه. وزعماء هذه الشبكة هم أيضاً مسؤولون رفيعو المستوى في منظمات إرهابية أخرى، لاسيما في تلك التي صنفتها وزارة الخارجية بالمنظمات الأجنبية الإرهابية كالجماعة الإسلامية (مصر) والجهاد الإسلامي (مصر). ويسعى أسامة بن لادن وشبكته إلى افتعال حرب بين الإسلام والغرب وإلى إطاحة الحكومات المسلمة الحالية كالحكومتين في مصر والمملكة العربية السعودية.

وأتى قرارنا بقصف القواعد التابعة لشبكة أسامة بن لادن نتيجةً لمعلومات موثوقة مفادها أن جماعته كانت المسؤول الأصلي عن الهجمات الفظيعة في ٧ آب/ أغسطس التي استهدفت السفارتين الأميركيتين في نيروبي (كينيا) ودار السلام (تنزانيا) وذلك بالاشتراك مع جماعات إرهابية أخرى.

وشارك أفراد من شبكة أسامة بن لادن الأسبوع المنصرم في مؤامرة تقضي بتنفيذ هجمات أخرى تستهدف سفارات الولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك، أعربت في ٩ آب/ أغسطس جبهة إسلامية أنشأتها شبكة ابن لادن وحملت اسم الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين عن فرحتهم بالهجمات بالقنابل التي شنت ضد سفارتنا وأعلنت:

«إن مستقبل الولايات المتحدة لسوف يكون مظلماً (. . .) ستنهال عليها الاعتداءات من كل مكان وستظهر جماعات إسلامية الواحدة تلو الأخرى لمناهضة المصالح الأميركية».

لم تكن الاعتداءات الوحشية التي وقعت في أفريقيا المرة الأولى التي يقوم فيها أفراد شبكة أسامة بن لادن بأعمال إرهابية تستهدف الولايات المتحدة وحلفاءها. فلائحة أعمالهم تلك حافلة: لقد تآمروا لقتل جنود أميركيين في اليمن كانوا يستعدون للمشاركة في العملية ذات الطابع الإنساني التي تمت في الصومال في ١٩٩٢. لقد دبروا في الصومال اغتيال جنود أميركيين وآخرين من جنسيات أخرى كانوا موجودين هناك لتوزيع المؤن على الصوماليين الذي يعانون الجوع. ساعدت شبكة أسامة بن لادن إرهابيين مصريين حاولو اغتيال الرئيس حسني مبارك (مصر) في العام ١٩٩٥، وقتلوا في السنوات الأخيرة العشرات من السيّاح في مصر. أمّا الجهاد الإسلامي (مصر) وهو من أهم تكتلات هذه الشبكة فقد شنّ في العام ١٩٩٥ هجوماً استهدف السفارة المصرية في الباكستان، بواسطة سيارة مفخخة. أدى هذا الهجوم إلى مقتل ما يقارب العشرين من المصريين والباكستانيين. وخطّط أفراد من شبكة أسامة بن لادن لفتجير طائرات تابعة لشركات ملاحة أميركية في المحيط الهادىء وتآمروا لاغتيال البابا.

فجّر بعض اتباع هذه الشبكة في العام ١٩٩٥ قنبلة في مباني اللجنة الأميركية السعودية للتدريب العسكري في الرياض (المملكة العربية السعودية).

أعلنت شبكة أسامة بن لادن مراراً وتكراراً برنامجها المتطرف المعادي لأميركا:

- في آب ١٩٩٦ أذاع أسامة بن لادن «إعلان الحرب» على الولايات المتحدة.
- في شباط ١٩٩٨، أعلن: «إن قتل جندي أميركي أفضل من إضاعة الوقت في عمل آخر».
- في شباط ١٩٩٨، أعلنت الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين، وهي جزء من شبكة أسامة بن لادن، عن نيّتها في شنّ هجمات على الأميركيين وحلفائهم في جميع أنحاء العالم، تستهدف العسكريين والمدنيين على حدّ سواء.

في أيار ١٩٩٨، أعلن أسامة بن لادن، خلال مؤتمر صحفي عقده في أفغانستان، أن العالم سيشهد نتائج تهديداته «خلال أسابيع قليلة».

شبكة أسامة بن لادن

أشار أسامة بن لادن إلى أن هدفه كان «توحيد المسلمين كلهم وإنشاء حكومات تتبع قوانين الخلفاء». إن الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه المساعي هي إطاحة حكومات بلاد المسلمين كلها تقريباً وإزاحة التأثير الغربي عليها وإزالة الحدود الدولية بينها. دعمت شبكته الإرهابيين في أفغانستان والبوسنة والشيشان وطاجكستان والصومال واليمن وكوسوفو حالياً. ويدرب أسامة بن لادن أفراد جماعات إرهابية من بلاد مختلفة كالفيليبين والجزائر واريتريا.

معلومات متفرقة

أسّس أسامة بن لادن. الابن الأصغر لمتعهد سعودي ثري، في السبعينات، منظمة عالمية يهدف من خلالها إلى تجنيد إرهابيين مسلمين يرغبون في المشاركة في الحرب ضد السوفيات في أفغانستان. في العام ١٩٨٨، أنشأ شبكة متخصصة في الإرهاب والتخريب. في العام ١٩٨٩، عاد إلى المملكة العربية السعودية ولكن لفترة وجيزة فحسب، لأن الحكومة السعودية طردته في العام التالي لدعمه المستمر للجماعات الإرهابية. استقر عندها أسامة ابن لادن في السودان ولم ينقطع، وهو مقيماً فيها، عن دعمه للنشاطات الإرهابية. إلا أن

السودان طردته في العام ١٩٩٦، بناءً على إلحاح الولايات المتحدة، وإثر محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك التي كان ابن لادن متورطاً فيها، والحكومة السودانية شريكة. غير أنه احتفظ بمصالح مالية مهمة في تلك البلاد.

حرب أميركا المقدسة

بقلم وليم س. كوهين

في الثاني عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، غداة الاعتداءات، دعا وزير الدفاع السابق بيل كلينتون إلى إحلال فكرة «الحرب على الإرهاب» محل «الحرب الباردة على الشيوعية» في مقال حرٍّ حمل عنواناً موحياً: «حرب أميركا المقدسة»[1]. نشرت صحيفة واشنطن بوست هذا المقال الذي استبق فيه البلاغة السياسية الدينية التي سيتحدث بها جورج دبليو بوش في إطار حملته الصليبية.

الدخان ينقشع على مهلٍ في سماء نيويورك وواشنطن وغرب بنسيلفانيا.. غير أن هذا الصباح ظلّ الغموض يخيّم على أمور كثيرة تتعلق بالاعتداءات الإرهابية التي وقعت في الأمس. والجلي هنا أن الشعب الأميركي لن يستسلم للإرهابيين – ولن يعرف الراحة طالما لم تتم إحالة المسؤولين عن هذه الأعمال أمام القضاء.

نحن في الواقع مجتمع حرّ، يجدده ويعززه على الدوام أفراد ينتمون إلى دول أخرى وثقافات أخرى. وهذا الواقع يجعل أميركا بوجه خاص عرضةً لأولئك الذين يستغلون هذا الانفتاح، إن الهدف الذي يسعى إليه الإرهابيون هو دفع أميركا إلى الاحتماء والانعزال عن العالم والتخلي عن غاياتها. لكن أميركا

(١) *American Holy War* بقلم ويليام س. كوهين في *The Washington Post* في ١٢ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ .http://www.washingtonpost.com

لا تستطيع أن تنعزل في شرنقة قارية تبقى بعيدة عن عالم محفوف بالمخاطر. لنا مصالح شاملة، اقتصادية وسياسية أو متعلقة بأمننا، مصالح تقضي بتدخلنا الفعلي في أمور تجري في بلاد أخرى. حتى ولو انسحبنا من قضايا العالم، ستظل أميركا رمزاً بحيث لن يتوقف أولئك، الذين تدفعهم اعتراضاتهم إلى استعمال العنف، عن استهداف الولايات المتحدة في اعتداءاتهم.

لقد دفعت أجيال كثيرة الثمن الأغلى في الدفاع عن حريتنا ولن نسمح لأنفسنا اليوم بالانسحاب من العالم أو بالتخلي عن بعض مبادئنا. في الواقع، على أميركا أن تباشر اليوم حربها المقدسة، حرب لا يغلب عليها الكره والدم، لكن يدفعنا إليها التزامنا بالحرية والتسامح وأولية القانون. يجب أن تتسلّح سواعدنا بالرغبة في استخدام كل الوسائل التي بحوزتنا للدفاع عن المبادىء والقيم. لم يدخر الإرهابيون أياً من جهودهم، فلنقم بالمثل.

ما من حكومة يمكنها أن تؤمن الحماية التامة لمواطنيها، في خارج البلاد كما في داخلها. لكن ما من حكومة تسمح بأن يتعرض مواطنوها للهجوم خوفاً من أن تفقد إخلاص هؤلاء الذين وكّلوهما بحمايتهم ووضعوا ثقتهم بهما.

(...)

سيقتضي هذا الجهد، ليكون فعالاً، تعاوناً دولياً أكبر ومزيداً من النشاط الاستخباراتي في الخارج وجمع معلومات أفضل من قِبَل قوى الأمن في بلادنا. إن المعلومة هي القوة وإذا ما أردنا تحسين فرص حصولنا على المعلومات، على الشعب الأميركي وممثليه المنتخبين أن يجدوا التوازن الضروري بين حماية الحياة الخاصة والحماية بوجه عام. كان من الصعب في الماضي فتح حوار دائم وعقلاني وعام حول مسألة حساسة كهذه. لكن كلما أبكرنا في بدء هذا الحوار، نُبكر في إيجاد التوازن المرجو. فنقاش مماثل سيثير مسائل خطيرة تتعلق بتدخل الحكومة بالحياة الخاصة. لكن الفوضى والمجزرة من جراء هجوم بيولوجي لن نكون مستعدين له كفايةً، والنداءات بالرد التي ستلي هجوماً مماثلاً، أمور تهدّد

حرياتنا الفردية بشكل أكبر وتعرضها للخطر. أولئك الذين يستخدمون الرعب سلاحاً يتكلون على مشاعر الخوف أو الضعف التي تختلج نفس عدوّهم ولا خيار أمام ضحايا الهجمات سوى القتال أو الاستسلام. لقد وقف شعبنا كله، لا المسؤولون فحسب، في وجه الفاشية ومن ثم الشيوعية حيث انتهكت هاتان الحركتان الحرية. لم ينتصر الأميركيون بعد معركة طويلة في ظليل الحرب الباردة ليبددوا هذا الانتصار اليوم في الحرب الحالية ضد المتطرفين المجهولين. كما في الحرب الماضية، لن يكون الرد العسكري سبيلنا الوحيد إلى الفوز. على الشعب الأميركي، كي يخرج منتصراً، أن يثبت شجاعته وإيمانه ووحدته وعزمه على الصمود في المستقبل.

جلسة استجواب مجلس الشيوخ
للجنرال مايــرز

في الثالث عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، استمعت لجنة القوات المسلحة إلى الجنرال ريتشارد مايزر في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة. تهدف جلسة الاستجواب هذه المتوقعة منذ زمن إلى التصديق على تعيين الجنرال في منصب رئيس هيئة الأركان العامة بدلاً من الجنرال هيوغ شِلتون. ودارت كذلك حول الرد العسكري على الاعتداءات مع الأخذ بالاعتبار الأحداث التي وقعت قبل يومين.

كان الجنرال مايرز في مكتب السيناتور كليلاند ساعة الاعتداء. وصل متأخراً إلى البنتاغون وقاد العمليات من مركز القيادة العسكرية الوطنية (National Military Command Center) بصفة رئيس مساعد هيئة الأركان العامة، بما أن رئيسه الجنرال شِلتون كان في بروكسل.

بدا الجنرال مايرز، خلال تصريحاته أمام اللجنة، عاجزاً عن وصف الرد العسكري على الاعتداءات، ما أفسح المجال أمام الاعتقاد بأنه لم يُؤتَ بأي ردٍ. أصدرت NORAD لاحقاً، في مسعى لاستكمال جلسة الاستماع أو تصحيحها، بياناً يفيد أن من الممكن أن يكون طيارون مطاردون حاولوا تعقّب الطائرات الثلاث المخطوفة إلى نيويورك وواشنطن.

السيناتور كارل لڤين: هل اتصلت وزارة الدفاع بوكالة سلاح الجو الفدرالي (*FAA*) أو بال إف.بي.آي أو حتى بأي وكالة أخرى بعد أن اصطدمت الطائرتان الأولى والثانية المخطوفتان بمركز التجارة العالمي وقبل أن يُمسّ بالپنتاغون؟

الجنرال ريتشارد مايرز: أجهل جواب هذا السؤال يا سيدي. يمكنني أن أرفقها لك ببيان جلسة الاستجواب هذه.

لڤين: شكراً. هل اتخذت وزارة الدفاع ـ أو هل التمست وزارة الدفاع اتخاذ ـ التدابير ضد أي طائرة معينة؟

مايرز: يا سيدي، كنا. . .

لڤين: وهل اتخذتم التدابير ضد ـ على سبيل المثال، أفيد عن إسقاط الطائرة التي تحطمت في پنسيلڤانيا وما زالت هذه الشائعات متداولة.

مايرز: سيدي الرئيس، لم تسقط القوات المسلحة أي طائرة. عندما تحدّدت طبيعة التهديد، أمرنا بإقلاع طائرات مطاردة وطائرات إيواكس وطائرات رادار وطائرات مموّنة للبدء في تحديد المدارات في حال دخلت طائرات مخطوفة أخرى ضمن نظام الـ(*FAA*). لكننا لم نُجبَر قط على استخدام القوة.

لڤين: متى أصدر الأمر الذي تكلمت عنه للتو، قبل استهداف الپنتاغون أم بعده؟ أتعرف؟

مايرز: على حد علمي، صدر هذا الأمر بعد استهداف الپنتاغون.

السيناتور بيل نيلسون: سيدي الرئيس، إذا سمحت، ولتكن الأشياء قد ذُكرت. أتلو تسلسل الأحداث حسب السي.إن.إن. عند الساعة التاسعة وثلاث دقائق تماماً، اصطدمت الطائرة رحلة الخطوط الجوية الاتحادية بالبرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي؛ عند الساعة التاسعة وثلاث وأربعين دقيقة، تحطمت الطائرة رحلة ٧٧ التابعة للخطوط الجوية الأميركية على الپنتاغون. عند الساعة

العاشرة وعشر دقائق، تحطمت الطائرة رحلة ٩٣ التابعة للخطوط الجوية الاتحادية في پنسيلڤانيا.

مرّت إذاً أربعون دقيقة بين الهجوم على البرج الثاني والهبوط (الاضطراري) على الپنتاغون. ومرّت ساعة وسبع دقائق قبل الهبوط (الاضطراري) في پنسيلڤانيا.

لڤين: ما نفتقر له هو اللحظة التي أُبلغ فيها الپنتاغون تماماً، هذا إذا تمّ إبلاغه، من قبل الـ FAA أو الـ إف.بي.آي أو أي وكالة أخرى عن تهديد محتمل أو عن طائرات غيّرت مسارها أو أي أمر من هذا النوع. وستقولون لنا الشيء عينه الآن. . .

مايرز: بإمكاني الجواب في هذا الأمر. لقد حشدنا طاقم الأزمات التابع لنا لحظة الاصطدام الأول بمركز التجارة العالمي. وتمّ ذلك على الفور.

حشدناه إذاً وبدأنا باستشارة الوكالات الفدرالية. أما اللحظة التي أجهلها فهي اللحظة التي أرسلت *NORAD* فيها المطاردات. أجهل تلك اللحظة.

لڤين: كما تجهل ما سألتك عنه أي إذا كان الـ *FAA* أو الـ إف.بي.آي قد أعلماكم أن طائرات أخرى عدلت عن رحلتها أو خطة رحلتها وعادت أو اتجهت نحو واشنطن ـ إذا كان قد صدر عنهما أي إشارة لأن ذلك يُعتبر عجزاً جلياً في حالة النفي.

مايرز: بالضبط.

لڤين: ولكن في كل الأحوال.. الأهم قد تكونون في غاية اللطافة إن وجدتم لنا هذه المعلومة.

مايرز: لقد حصل ذلك على الأرجح... كما تذكرون، لم أكن موجوداً في الپنتاغون في تلك اللحظة فذلك الجزء مشوّش بعض الشيء. واستلمنا بعد ذلك إشعارات منتظمة عبر الـNORAD من الـ FAA إلى الـNORAD، حول

الرحلات الأخرى التي تقلقنا. كنا على علمٍ بالطائرة التي تحطمت في بنسيلڤانيا. أعيد وأكرر إني أجهل إذا ما تمّ إرسال مطارِدات خلفه. عليَّ أن. . .

لڤين: ليتكم إذاً تجدون لنا هذه التفاصيل عن الوقت. نعلم أنكم تجهلونها.

مايرز: سنجدها.

مقابلة مع نائب الرئيس ديك تشيني

دُعي نائب الرئيس تشيني إلى البرنامج التلفزيوني «لقاء مع الصحافة»[2] في ١٦ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فألقى على مسامع المشاهدين ما عاشه وخبره في أحداث الحادث عشر من أيلول/سبتمبر. سنبيّن أن الاستخبارات سيطرت على السلطة السياسية. سنذكر كذلك الحادثة الوهمية للطائرة التي حامت فوق واشنطن من دون أي تدخل للسلاح المضاد للطائرات.

نائب الرئيس تشيني: بارحت مكاني لعدة دقائق أتابع تطور الأحداث على التلفاز كنا لنظم أنفسنا لنقرر ما علينا فعله. في تلك اللحظة دخل عملاء وكالة الاستخبارات الذين لا يبالوا باللياقة في مثل هذه الظروف. فلا يقولون «أستميحك عذراً يا سيدي» ولا يطلبون منك بتهذيب أن ترافقهم. لقد دخلوا فحسب وقالوا لي «علينا الذهاب فوراً يا سيدي» فامسكوا بي و. . .

تيم رسرت: هل أمسكوا بك واقتادوك حرفياً؟

نائب الرئيس تشيني: نعم. كانت قدماي تطأ الأرض من وقتٍ إلى آخر. ولكن بما أنهم أكبر حجماً مني حملوني واقتادوني بسرعة. عبرنا رواقاً، نزلنا الدرج وعبرنا أبواباً ونزلنا إلى عمق أكبر حتى وصلنا إلى ملجأ ديماسي تحت

---

(٢) النص الكامل للحديث على الموقع: http://stacks.msmbc.com/news/629714.asp.

البيت الأبيض. كان في الواقع رواقاً مغلقاً من الجهتين. أخبروني هناك أنهم تلقوا خبراً مفاده أن طائرة تتجه صوب البيت الأبيض.

تيم رسرت: كانت الرحلة ٧٧ التي أقلعت من دالس.

نائب الرئيس تشيني: صحيح، تبين أن تلك الطائرة كانت الرحلة ٧٧. لقد أقلعت الطائرة من مطار دالس وتوجهت غرباً باتجاه أوهايو قبل أن يستولي عليها الإرهابيون. أطفأوا جهاز الإرسال، ما شكل السبب في أن أشارت المعلومات الأولى إلى طائرة ستتحطم في أوهايو. إلا أن ذلك بالطبع لم يكن هو الحال. ثم حيّدوا الطائرة عن مسارها باتجاه واشنطن. وبناء على المعلومات التي بحوزتنا، كانوا يتجهون رأساً نحو البيت الأبيض...

تيم رسرت: هل كانت الطائرة على مرأى من البيت الأبيض؟

نائب الرئيس تشيني: لا، لم تكن على مرأى منه، لكنها كانت تتجه رأساً نحوه. وفتحت وكالة الاستخبارات خطاً مباشراً مع الـ *FAA*، وظل الخط مفتوحاً منذ أن كان مركز التجارة العالمي...

تيم رسرت: كانوا يتبعون الطائرات على شاشات راداراتهم.

نائب الرئيس تشيني: وحين دخلت دائرة الأمن وبدت متجهة نحو البيت الأبيض هرع الرجال إلي وأمسكوا بي ووضعوني في ملجأ آمن. وكما تعلمون، لم تصطدم الطائرة بالبيت الأبيض بل غيرت مسارها. نظن أنها قامت بدائرة كاملة وعادت لتصطدم بالبنتاغون. هذا على الأقل ما يُظهره لنا تحليل الرادار.

(...)

نائب الرئيس تشيني: كان الرئيس في الطائرة الرئاسية، استلمنا تهديداً يتعلق بسلاح الجو رقم ١ إنها وكالة الاستخبارات التي مررته لنا...

تيم رسرت: تهديد يوجّه ضد طائرة سلاح الجو رقم ١ كان قابلاً للتصديق. إنك متأكد من ذلك.

نائب الرئيس تشيني: نعم، إني متأكد من ذلك. كان من الممكن بالطبع أن تكون مزحةً ولكن نظراً لما كان يحدث آنذاك لم يكن بمقدورنا أن نعرف ونتأكد. أعتقد أن التهديد كان قابلاً للتصديق بما فيه الكفاية لكي تطلعني وكالة الاستخبارات عليه. غادرت ملجأي الديماسي بعد أن تحدثت إلى الرئيس. ألححت عليه ألا يعود في ذلك الوقت. ثم توجهت إلى *PEOC*، مركز القيادة الرئاسي في حالات الأزمة وطلبت من نورمان مينيتا (...).

يجب تصفية الدول التي تدعم الإرهاب أيضاً

بقلم ريتشارد بيرل

نشرت صحيفة **ذي دايلي تلغراف**[٣] في ١٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ مقالاً حراً استنكر فيه ريتشارد بيرل، أحد «صقور» واشنطن، انعدام الروح القتالية عند الحلفاء. فهو يلحظ نوعاً من «الفيشية» في السؤال الدقيق جداً عن هوية الأرهابيين ويرفض مسبقاً الخيارات المتعلقة ببعض التحالفات. كما يرى أنه يجب إسقاط بعض الأنظمة: قلّما يهم أن لا تكون متورطة في الهجمات وإنها هي نفسها اعترضت أسامة بن لادن وطالبان. فصفة «الإرهابي» هنا لا تعني الجماعات التي قامت بأي نوع من الأعمال العسكرية بل تركز على أعداء الولايات المتحدة. ريتشارد بيرل، مساعد سابق لوزير الدفاع في إدارة رونالد ريغان (للفترة الممتدة بين ١٩٨١ و١٩٨٧) من المحركين في مركز السياسة الأمنية ومحررٌ في صحيفة **جروزالم بوست**.

ألهم نوعٌ ما من الانهزامية الفيشية المعلقين البريطانيين في الحرب الدائرة حالياً ضد الإرهاب.

لقد كرّت سبحة طويلة من الشعارات: نذكر منها على سبيل المثال: «لا نعرف مَن العدو» ـ «لا نعرف أين يجب أن نضرب» ـ «حتى لو كنا نعرف أين

(٣) *State Sponsors of Terrorism Should be Wiped Out, Too* بقلم ريتشارد بيرل، في The Daily Telegraph في ١٨ أيلول/ سبتمبر، .http://www.dailytelegraph.co.uk .

نجدهم، سنثير دعوات جديدة للاستشهاد فحسب». وأخيراً إن «المعذبون في الأرض (الاستعارة عنوان الكراس التحريضي ضد الاستعمار الذي كتبه فرانز فانون) هم في شدة اليأس بحيث أنهم لم يعودوا يخشون السقوط بشرف بنيران الشيطان الأكبر».

تمَّ إعداد دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي والأعضاء المهمين الآخرين في الحكومة على الوجه الأكمل ليقولوا أن العالم الحرّ يواجه هنا نوعاً جديداً من الحروب. لكن رغم التجديد، قد تكون الوحدات الفيشية على خطأ في اعتقادها أن الولايات المتحدة وحلفاءها عاجزون.

حتى ولو أننا ما زلنا نجهل مداخل الأعمال الوحشية التي ارتكبت في الأسبوع الماضي ومخارجها، فإننا نعلم ما يكفي عنها لنتحرك ونجعل من تحركنا تحركاً حاسماً.

الحقيقة أن المجتمع الدولي أرسى نظاماً عالمياً جديداً يتخطى فيه دعم الدول للإرهاب الحدود المقبول بها. فمن دون الدعم الواضح الذي وحدها الدول قادرة على تقديمه ـ المأوى والاستخبارات، والسوفيات والتدريب والاتصالات ورؤوس الأموال ـ لن يكون بمقدور ابن لادن وأمثاله إلاّ تفخيخ سيارة من وقت إلى آخر. احرموا الإرهابيين من المكاتب التي يعملون فيها، واحرموهم من البنى التحتية الهائلة التي يستندون إليها ـ طاردوهم بطريقة تدفعهم كل يوم للبحث عن مخبأ جديد ينامون فيه ـ فيتقلّص نطاق نشاطاتهم عندئذٍ تقلصاً ملحوظاً ويضيق.

(. . .)

لإيران أسبابها في دعم حركة عسكرية معارضة لنظام طالبان في أفغانستان. لكن لا يجدر بأحد أن يغترّ أو يرى في الدعم الإيراني لهذه الحملة تعهداً إيرانياً بمكافحة الإرهاب بوجه عام. فمن غير الوارد أن نقبل بها وسط ائتلافنا. إن التحالف ضد الإرهاب سيشمل دولاً تحترم المؤسسات الديمقراطية

والحرية الفردية وطابع الحياة المقدس، وذلك من أجل ضمان فرص معقولة للنجاح.

ليس بمقدور تحالف مماثل أن يضم دولاً تضطهد شعبها وتخالف الحقوق الأساسية وتحتقر قيم الحضارة الغربية الجوهرية. من المؤكد أن المساعدة معقولة ومؤقتة ودقيقة لضمان تفوق تكتيكي فوري على غرار ما قام به تشرشل حين تحالف مع الاتحاد السوڤياتي لقهر النازية. لكن ما من ائتلاف يسعى لقهر الإرهاب يمكنه أن يشمل دولاً توافق على حملات الكراهية والتحقير. لن يكون للدول التي تتساهل مع التحريض على قتل المدنيين ـ الأميركيين، والبريطانيين والإسرائيليين وغيرهم ـ أي دور شرعي في الحرب ضد الإرهاب.

يمكن لبعض الدول أن تتردد أو أن يستحيل عليها المشاركة في ائتلاف يفرض احترام قيم الحضارة الغربية وقوانينها. يمكن أن يُناقض مصدر قوتها المعارضة الحقيقية للإرهاب. فدول مماثلة تشكّل جزءاً من المشكلة لا من الحلّ، إذ لسنا على الإطلاق بحاجة إلى مساعدتها ولن نستفيد بأي شكل من تشجيعها. يجب تدمير الدول نفسها التي تأوي الإرهابيين ـ الدول التي تؤمن لهم وسائل قتل المدنيين الأبرياء.

إن الحرب ضد الإرهاب هي الحرب ضد هذه الأنظمة. فنحن سنخسر الحرب ضد الرعب حتماً إذا ما لاحقنا فقط الإرهابيين الأفراد لا غير، وذلك على النمط ذاته الذي لا يمكن فيه الفوز في حرب المخدرات بتوقيف المهربين في هيثرو فحسب.

إن هذه الشبكات التي ترسل الشبان في مهمات انتحارية وتكفلهم، هي التي يتعين تدميرها.

نوع جديد من الحروب

بقلم دونالد رامسفيلد

صدر هذا المقال الحر لوزير الدفاع في جريدة نيويورك تايمز في ٢٧ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١[٤]، وفي ظل نوع الحرب هذا، تحتجب مفاهيم كـ«مدني» و«حربي» لصالح مجتمع يكون فيه كل فرد عرضةً للاستيلاء عليه، حسب مفهوم «الحرب الشاملة» التي حددها غوبلز.

عمد الرئيس بوش إلى جمع الأمة حول حرب ضد الإرهابيين الذين ينقضون نمط حياتنا. فما من أحد يظن أن الضحية الأولى في كل الحروب هي الحقيقة. إلا أن الضحية الأولى في هذه الحرب هي: قول الحقيقة. والحقيقة أن هذه الحرب لا تشبه أي حرب خضناها من قبل، حتى أنه بات من السهل علينا أن نحدِّد تفاصيل السيناريو المستقبلي تبعاً لما سوف لن يحدث، بدلاً من تحديدها تبعاً لما سوف يحدث.

لن تكون هذه الحرب عمل ائتلاف واسع متحد. بل الغاية الوحيدة منها قهر محور يتكوّن من قوى معادية. إن هذه الحرب ستتضمن في الواقع تحالفات متحركة بين البلاد تكون عرضةً للتعديل والتطوير. ستؤدي دول متعددة أدواراً

(٤) *A New Kind of War* بقلم دونالد رامسفيلد في *Washington Post* في ٢٧ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ .http://www.washingtonpost.com

ومساهمات مختلفة. فإحداها ستقدم دعماً ديبلوماسياً وأخرى ستساهم مادياً وثالثة يكون دعمها عسكرياً أو لوجستياً. ستساعدنا بعض الدول علناً، فيما دول أخرى ستساعدنا بالسر وعلى انفراد، بحسب ما تقتضيه الظروف. إن المهمة في هذا التحالف هي التي ستحدد التحالف وليس العكس.

نحن نتفهم أن ثمة دولاً نعتبرها صديقة سيكون بمقدورها أن تساعدنا في بعض الأمور، وتبقى مكتوفة اليدين في أمور أخرى، فيما يمكن لتدابير أخرى مماثلة أن تعتمد على مشاركة الدول التي نعتبرها أقل من صديقة.

في هذا الإطار، يُعد القرار الذي اتخذته الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ـ دولتان صديقتان للولايات المتحدة ـ بقطع علاقاتها بطالبان أول نجاح مهم تسجّله حملتنا، لكن يجب ألا يُفهم من ذلك أنهما ستشاركان في كل تلك الحروب التي قد تشغلنا كلنا، وفي تحليل الأهداف العسكرية وفي حشد القوى بهدف إدراكها. لن تكون القوة العسكرية حقيقةً سوى إحدى الأدوات التي سنستخدمها لإحباط مساعي الأفراد والجماعات والدول التي تمارس للإرهاب.

قد تحمل ردة فعلنا إطلاق صواريخ بعيدة المدى باتجاه أهداف عسكرية تقع في مكان ما في العالم؛ قد ندخل أيضاً في معركة الكترونية هدفها اقتفاء أثر وإيقاف استثمارات تحاول المرور عبر مراكز مصرفية محصور نشاطها في الخارج. سيُشكل لباس المصرفيين المخطط وثياب المبرمجين البالية بزات هذا الصراع العسكرية في مثل ما سيُشكله حتماً تمويه الصحراء[٥].

ليس المقصود هنا حرب ضد فردٍ ما أو جماعة ما أو دين ما أو دولة ما. إن عدونا شبكة عالمية تضم منظمات إرهابية والدول التي تدعمها وتنصب على حرمان الشعوب الحرة من حقّها في العيش كما يحلو لها. وستتخذ أيضاً تدابير

---

(٥) ملاحظة الناشر: التشديد للكاتب.

عسكرية ضد الحكومات الأجنبية التي ترعى الإرهاب، ونسعى إلى أن نضمّ إلينا الشعوب التي تضطهدها هذه الدول.

ستكون هذه الحرب مختلفة حتى في معجمها. فحين «نجتاح أراضٍ عدوة»، قد يكون المقصود بهذه «الأرض» نظام التحكم الخاص بمجال العدو. لا ريب في أننا سننفذ من الإنزالات على الشواطىء عدداً أقل مما سنعطّل من المناورات الحربية. لن تكون المسألة مسألة «استراتيجية مَخْرَج»: بل تتعلق المسألة بتعهد ثابت لا حدود زمنية له. ليس لدينا كذلك قاعدة محددة حول طريقة نشر جنودنا. سنُصدر بالأحرى توجيهات لإعلامنا عما إذا كانت القوة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذا الهدف أو ذاك.

وربما سيشاهد الجمهور قتالاً عسكرياً مثيراً دون أن يؤدي ذلك إلى أي انتصار ظاهر، كما ستغيب عنه من دون شك أعمال أخرى تؤدي إلى الانتصارات الكبرى. إن «المعارك» ستكون معارك عملاء الجمارك الذي سيوقفون أفراداً مشتبه بهم على حدودنا ومعارك الديبلوماسيين الذين سينجحون في الحصول على مؤازرة من الخارج ضد تبييض الأموال.

غير أنه إذا كان المقصود نوعاً جديداً من الحروب فثمة شيء واحد سيبقى ثابتاً: ستظل أميركا جموحة لا تُقهر. إن الانتصار سيكون انتصار الأميركيين أنفسهم، الذين سيعيشون حياتهم كل يوم بيومه، يذهبون إلى العمل ويربون أطفالهم ويبنون أحلامهم كما فعلوا على الدوام، شعباً عظيماً وحراً.

THE WHITE HOUSE

WASHINGTON

October 5, 2001

MEMORANDUM FOR THE SECRETARY OF STATE
THE SECRETARY OF THE TREASURY
THE SECRETARY OF DEFENSE
THE ATTORNEY GENERAL
THE DIRECTOR OF CENTRAL INTELLIGENCE
THE DIRECTOR OF FEDERAL BUREAU OF INVESTIGATION

SUBJECT: Disclosures to the Congress

As we wage our campaign to respond to the terrorist attacks against the United States on September 11, and to protect us from further acts of terrorism, I intend to continue to work closely with the Congress. Consistent with longstanding executive branch practice, this Administration will continue to work to inform the leadership of the Congress about the course of, and important developments in, our critical military, intelligence, and law enforcement operations. At the same time, we have an obligation to protect military operational security, intelligence sources and methods, and sensitive law enforcement investigations. Accordingly, your departments should adhere to the following procedures when providing briefings to the Congress relating to the information we have or the actions we plan to take:

(i) Only you or officers expressly designated by you may brief Members of Congress regarding classified or sensitive law enforcement information; and

(ii) The only Members of Congress whom you or your expressly designated officers may brief regarding classified or sensitive law enforcement information are the Speaker of the House, the House Minority Leader, the Senate Majority and Minority Leaders, and the Chairs and Ranking Members of the Intelligence Committees in the House and Senate.

This approach will best serve our shared goals of protecting American lives, maintaining the proper level of confidentiality for the success of our military, intelligence, and law enforcement operations, and keeping the leadership of the Congress appropriately informed about important developments. This morning, I informed the House and Senate leadership of this policy which shall remain in effect until you receive further notice from me.

الترجمة على الصفحة التالية

البيت الأبيض

واشنطن ٥/١٠/٢٠٠١

مذكرة إلى: وزير الخارجية
وزير المالية
وزير الدفاع
وزير العدل
مدير السي. آي. إي
مدير الـ إف. بي. آي

الموضوع: إعلام الكونغرس

عقدت العزم، طيلة الحملة التي نشنها، سواء للرد على العدوان الإرهابي الذي استهدف الولايات المتحدة في الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، أو لحماية أنفسنا من اعتداءات إرهابية جديدة، على إرساء علاقة تعاون وثيقة مع الكونغرس. وسوف تطلع حكومتي أثناء قيامها بمهامها التنفيذية المتواصلة، هيئات الكونغرس القيادية على سير أكثر العمليات دقة وأهمية، كما ستطلعه على كل واقعة جديدة هامة من الناحية العسكرية أو الاستخبارية أو الأمنية. إلا أنه يترتب علينا أيضاً حماية أمن العمليات العسكرية، ومصادر المعلومات وطرق الوصول إليها، وسياق التحقيقات الأمنية الدقيقة. سوف تتقيد وزاراتكم، من الآن فصاعداً، بإخضاع تقاريرها المقدمة إلى الكونغرس للإجراءات التالية، عندما تتناول التقارير ما في حوزتنا من معلومات وما نخطط له من عمليات:

(أ) أنتم وحدكم، أو أعوانكم المعينين من قبلكم صراحة، مخولين بتقديم معلومات ذات طابع سرّي، أو متعلقة بتحقيقات أمنية دقيقة، إلى أعضاء الكونغرس.

(أأ) إن أعضاء الكونغرس الوحيدون المسموح لكم، أو لأعوانكم المخولين صراحة، بأن تقدموا لهم معلومات ذات طابع سري أو متصلة

بتحقيقات أمنية دقيقة، هم رئيس مجلس النواب وزعيم الأقلية في هذا المجلس وزعماء الأكثرية والأقلية في مجلس الشيوخ وأعضاء مكاتب اللجان البرلمانية التابعة لمجلسي النواب والشيوخ والمشرفة على أجهزة الاستخبارات.

إن هذه المقاربة من شأنها أن تخدم بأفضل صورة أهدافنا المشتركة في حماية أرواح الأميركيين، وفي المحافظة على درجة من السرية تضمن النجاح لعملياتنا العسكرية والاستخبارية والأمنية، وفي السهر على إطلاع الهيئات القيادية في الكونغرس على جميع الوقائع الجديدة المهمة، بالطرق الملائمة.
لقد أبلغت هذا الصباح الهيئات القيادية في مجلسي النواب والشيوخ بهذه السياسة التي ستبقى سارية المفعول إلى أن يصدر عني إشعار آخر.

جورج بوش

نائب وزير الدفاع

Defense Pentagon 1010
Washington, DC 20301-11

مذكرة موجهة إلى:
(الأمناء العامين في الأقسام العسكرية)
رئيس هيئة الأركان العامة
نواب وزير الدفاع
مدير الأبحاث والتنمية في وزارة الدفاع
المستشار العام في وزارة الدفاع
المفتش العام في وزارة الدفاع
مدير التجارب والتقويمات
مساعد وزير الدفاع
مدراء الوكالات التابعة لوزارة الدفاع
مدير النشاطات الميدانية في وزارة الدفاع

الموضوع: أمن العمليات في سائر أقسام وزارة الدفاع:

في ١٤ أيلول/سبتمبر، أعلن الرئيس حالة طوارىء أمنية بسبب الاعتداءات الإرهابية والتهديد المستمر والمباشر بوقوع اعتداءات جديدة على الولايات المتحدة. وبما أن وزارتنا أُشركت في الجهود المختلفة الآيلة إلى قهر الإرهاب الدولي، فإنه من البديهي أن يهدّد الخطر لفترة غير محددة حياة مواطنينا

في المؤسسات العسكرية والمدنية؛ وقدرة وزارة الدفاع والبنى التحتية التابعة له وموارده العملانية؛ وأخيراً ضمان المعلومات الأساسية للأمن القومي.

«إنه لأمر حيوي أن يتحلى عناصر وزارة الدفاع (DOD)، مثلهم مثل الأشخاص التابعين لمنظمات متعاونة مع وزارة الدفاع، بقدر عال من الحيطة أثناء نقاشاتهم لكل ما يمتّ بصلة إلى أنشطة وزارة الدفاع، وأيّاً كانت درجة مسؤولياتهم. لا تتحدثوا في شؤون نشاطاتكم المهنية في الأماكن المكشوفة والعامة أو أثناء تنقلاتكم من المنزل إلى العمل، أو كذلك عبر وسائل الاتصال الإلكترونية غير الآمنة. سيتم التداول بالمعلومات ذات الطابع السرّي حصرياً في الأماكن المعدة لهذا الغرض، ومع أشخاص لديهم، في آن واحد، أسباب محددة للاطلاع على المعلومات وحائزين على صفة مرخص لها أمنياً. وقد يتوجب التقيّد بالأمر ذاته في ما يتعلق بالمعلومات غير السرّية، حيث أنه بالإمكان الوصول عبر مطابقتها، إلى استنتاجات بالغة الأهمية. سيُسحب (كذا) القسم الأكبر من المعلومات في إطار مهمات وزارة الدفاع من التداول، لما تنطوي عليه هذه المعلومات من أهمية بالغة. وفي حال الشك، احجموا عن نشر معلومات رسمية ومناقشتها، اللهم إلا داخل وزارة الدفاع».

سترجع الأجهزة الرئيسية في هذه الوزارة، ومن بينها ديوان وزير الدفاع والدوائر العسكرية وهيئة الأركان العامة والقيادات العملانية ووكالات الدفاع ومسارح عمليات وزارة الدفاع وكل الوحدات الأخرى في وزارة الدفاع سيرجعون جميعاً إلى برنامج أمن العمليات *(OPSEC)* الموصوف في التوجيه الـ ٥٢٠٥,٢ الصادر عن وزارة الدفاع، وستحرص هذه الأجهزة على أن تلتزم سياساتها وإجراءاتها وطواقمها به. علينا أن نتأكد من أن أعداءنا سيحرمون من المعلومات الضرورية للتخطيط لأعمال إرهابية جديدة أو أعمال معادية مقرونة بها تستهدف الولايات المتحدة وهذه الوزارة وللتحضير لها أو تنفيذها.

بول ولفوويتس



DEPUTY SECRETARY OF DEFENSE
1010 DEFENSE PENTAGON
WASHINGTON, DC 20301-1010

18 OCT 2001

MEMORANDUM FOR SECRETARIES OF THE MILITARY DEPARTMENTS
CHAIRMAN OF THE JOINT CHIEFS OF STAFF
UNDER SECRETARIES OF DEFENSE
DIRECTOR, DEFENSE RESEARCH AND ENGINEERING
ASSISTANT SECRETARIES OF DEFENSE
GENERAL COUNSEL OF THE DEPARTMENT OF DEFENSE
INSPECTOR GENERAL OF THE DEPARTMENT OF DEFENSE
DIRECTOR, OPERATIONAL TEST AND EVALUATION
ASSISTANTS TO THE SECRETARY OF DEFENSE
DIRECTOR, NET ASSESSMENT
DIRECTORS OF THE DEFENSE AGENCIES
DIRECTOR OF THE DOD FIELD ACTIVITIES

SUBJECT: Operations Security Throughout the Department of Defense

On 14 September the President declared a national emergency by reason of terrorist attacks and the continuing and immediate threat of further attacks on the United States. As this Department assists wide-ranging efforts to defeat international terrorism, it is clear that US military and civilian service lives, DOD operational capabilities, facilities and resources, and the security of information critical to the national security will remain at risk for an indefinite period.

It is therefore vital that Defense Department employees, as well as persons in other organizations that support DOD, exercise *great* caution in discussing information related to DOD work, regardless of their duties. Do not conduct *any* work-related conversations in common areas, public places, while commuting, or over unsecured electronic circuits. Classified information may be discussed *only* in authorized spaces and with persons having a specific need to know and the proper security clearance. Unclassified information may likewise require protection because it can often be compiled to reveal sensitive conclusions. Much of the information we use to conduct DOD's operations must be withheld from public release because of its sensitivity. If in doubt, do not release or discuss official information except with other DoD personnel.

All major components in this Department to include the Office of the Secretary of Defense, the Military Departments, the Joint Staff, the Combatant Commands, the Defense Agencies, the DOD Field Activities and all other organizational entities within the DOD will review the Operations Security (OPSEC) Program, described in DOD Directive 5205.2, and ensure that their policies, procedures and personnel are in compliance. We must ensure that we deny our adversaries the information essential for them to plan, prepare or conduct further terrorist or related hostile operations against the United States and this Department.

Paul Wolfowitz

خطاب لورا بوش إلى الأمة

في السابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١ توجهت السيدة لورا زوجة الرئيس جورج دبليو بوش إلى الأمة الأميركية برسالة عبر الراديو. وليس الهدف من الحملة العسكرية على أفغانستان، برأيها، بناء خط للأنابيب بل الدفاع عن حقوق النساء والأطفال في أفغانستان.

استعدتم نهاراً،

أنا لورا بوش، أتحدث إليكم هذا الأسبوع لإطلاق حملة عالمية تهدف إلى لفت الانتباه إلى أعمال العنف والشراسة التي تلحقها شبكة القاعدة ونظام طالبان، الذي يدعم القاعدة في أفغانستان، بالنساء والأطفال. في الوقت الحالي تشهد مناطق عديدة في أفغانستان تراجع طالبان، ويشعر الأفغان، لاسيما النساء منهم، بالفرح والابتهاج. وتعرف النساء الأفغانيات ما يكتشفه باقي العالم اليوم: إن الهدف الرئيس الذي يسعى إليه الإرهابيون يتمثل بإخضاع النساء للاضطهاد والعنف.

فقد بدأ أفراد طالبان وحلفاؤهم الإرهابيون بتسميم حياة الأطفال والنساء قبل أن تندلع الحرب الحالية. يعاني سبعون بالمئة من الأفغان من سوء التغذية. وفي ظل غياب العناية الطبية، يتخطى طفل واحد فقط من أصل أربعة إلى الخامسة من عمره، ولا يحق للنساء استشارة الطبيب في حال أصبن بالمرض.

كانت الحياة تحت نظام طالبان حياة قاسية وصعبة إلى حدٍّ تختق فيه أبسط صيحات الفرح: حيث يمنع الأطفال من اللعب بطائرات الورق وتضرب النساء إذا ضحكت عالياً. ولم يكن باستطاعة أيٍّ منهنّ العمل خارج المنزل ولم يكن يسمح لها حتى بالخروج وحدها من المنزل.

ولا علاقة لهذا الاضطهاد العنيف للنساء في أفغانستان بأي ممارسة دينية شرعية، فقد استنكر المسلمون في دول العالم كلها هذا الإذلال الخسيس الذي تتعرض له النساء والأطفال تحت نظام طالبان.

ولا تتوافق حالة الفقر والمرض والجهل التي فرضها الإرهابيون ونظام طالبان على النساء الأفغانيات مع وسائل معاملة النساء في غالبية دول العالم الإسلامي، حيث تؤدي المرأة دوراً فاعلاً في مجتمعها. وحدهم الإرهابيون وطالبان يحظرون تعليم النساء. وحدهم الإرهابيون وطالبان يهددون بقلع أظافر كل امرأة تستعمل الطلاء. وليس عذاب النساء والأطفال في أفغانستان إلا نتيجة مباشرة للوحشية المتعمدة لمن يسعى إلى الإرهاب والسيطرة.

إزاء هذا الوضع يخالج الرعب والعار مشاعر الشعوب المتحضرة في العالم أجمع، ليس فقط بسبب العذاب الذي تقاسيه النساء ويرزح تحت عبئه الأطفال بل لأن تلك الحالة تشير إلى ما يريد هؤلاء الإرهابيون أن يفرضوه علينا.

من واجبنا جميعاً أن نتصدى لذلك كلّه. لا شك في أننا نتحدّر من بيئات مختلفة ونعتنق أدياناً مختلفة، إلا أن جميع الآباء والأمهات في العالم يحبون أطفالهم. ونحن كلنا نحترم أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا. وليست محاربة العنف الذي تتعرض له النساء والأطفال تعبيراً عن ثقافة معينة بل هي نابعة من اعترافنا بإنسانيتنا المشتركة ومن التزام كل الناس في كل القارّات بقضية واحدة.

بفضل نجاحنا العسكري القريب العهد في أفغانستان لم تعد النساء مسجونة وأصبح بإمكانهن الاستماع إلى الموسيقى وتعليم بناتهن بلا خوف. إلا

أن الإرهابيين الذين شاركوا في قيادة تلك البلاد يقومون اليوم بنصب المكائد وتدبير المؤامرات في دول عديدة. يجب علينا أن نوقفهم. وتبدأ مكافحة الإرهاب بالنضال في سبيل حقوق المرأة وكرامتها.

نحتفل الأسبوع المقبل في أميركا بعيد الشكر. وعلى ضوء الأحداث التي عانينا منها خلال الأشهر الماضية سنقترب من عائلاتنا أكثر من قبل، وسنكون ممتنين أكثر من قبل للخيرات التي نتمتع بها في أميركا. وآمل أن يتشارك الأميركيون مع عائلتنا لنكون على ثقة أن النساء والأطفال في أفغانستان سينعمون مجدداً بالعيش الكريم وتتلألأ أمامهم فرص الحياة.

أتمنى لكم أعياداً مجيدة وأشكر لكم إصغاءكم.



لورا بوش تتحدث إلى الأمة المصدر: البيت الأبيض

www.whitehouse.gov/news/releases/2001/11/images/20011117-2.html.

القضاء العسكري، عدالة منصفة وغير منقوصة

بقلم البيرتو غونزالس

في زاوية حرة، نشرتها جريدة نيويورك تايمز[٦] بتاريخ ٢٠٠١/١١/٣٠، دافع البيرتو غونزالس، المستشار القانوني لجورج دبليو بوش، عن القرار الرئاسي الذي صاغه بنفسه والقاضي بإنشاء اللجان العسكرية.

على غرار أسلافه من الرؤساء، استند الرئيس بوش إلى صلاحياته في إنشاء لجان عسكرية تتولى محاكمة المعتدين الأعداء الذين يرتكبون جرائم حرب. عندما تكون الظروف مؤاتية، توفر هذه اللجان فوائد جمة، بالمقارنة مع المحاكم المدنية. إذ إنها تحرِّر القضاة والمحلَّفين والمحاكم الأميركية من المخاطر التي تتضمنها محاكمات الإرهابيين. كما أنها تتيح للحكومة أن تستخدم المعلومات السرية كعناصر إثبات من غير أن تورِّط أجهزة الاستخبارات أو القوات المسلحة، وهي أيضاً تمكِّن من إجراء محاكمات سريعة قريباً من المناطق التي تخوض فيها قواتنا المسلحة معاركها، من دون أن تُصرف سنوات طويلة في الإجراءات التمهيدية أو في الاستئنافات اللاحقة.

يإمكان هذه اللجان أن تأخذ في حسبانها عناصر إثبات ملائمة وفيرة تبني

(٦) *Martial Justice, Full and Fair* par Alberto Gonzales, in The *New York Times* du 30 novembre 2001 http://www.nytimes.com.

عليها قرارها. وعلى سبيل المثال، إن الظروف التي تحيط بمناطق القتال غالباً ما يتعذر معها توفير الشروط المطلوبة لتصديق الوثائق أمام المحاكم المدنية، في حين أن الوثائق الصادرة عن مخابىء شبكة القاعدة في كابول قد تكون أساسية لاتخاذ القرار بشأن ما إذا كان أعضاء خلايا هذه الشبكة المختبئين في الغرب مجرمين حقاً أم لا.

يبدي بعض البرلمانيين وبعض أنصار الحريات المطلقة حذرهم من تشكيل لجان محاكمة عسكرية (ميدانية). إن انتقاداتهم مجانبة للصواب ومرتكزة إلى فكرة خاطئة عن ما يتوخاه الرئيس من قراره وعن تطبيق هذا القرار.

يطال القرار مجرمي الحرب الأعداء من الأجانب وحسب؛ ولا ينطبق على المواطنين الأميركيين أو حتى على الجنود الأعداء الذين يحترمون قوانين الحرب. لا يستطيع الرئيس، بموجب هذا القرار، أن يحيل إلى اللجان العسكرية إلا الرعايا الأجانب الذين هم أعضاء في تنظيم القاعدة أو في منظمات إرهابية دولية تستهدف الولايات المتحدة أو تقدم للأرهابيين العون الفعال. ويعود للرئيس أن يقرر ما إذا كان من مصلحة الولايات المتحدة أن يُحاكم هؤلاء الأشخاص من قبل لجنة عسكرية. ويجب أن يكون هؤلاء متهمين بالقيام بأعمال منافية لقانون الحرب الدولي، مثل الاعتداء على المدنيين والاختباء بين السكان المدنيين أو رفض حمل السلاح بصورة مكشوفة. ولا يحق لمجرمي الحرب الأعداء الاستفادة من إجراءات الحماية التي يستفيد منها أولئك الأشخاص الذين لا يحترمون قانوننا الوطني.

ليست المحاكمات أمام اللجان العسكرية محاكمات سرّية. يسمح القرار الرئاسي لوزير الدفاع أن يلحظ جلسات سرّية حرصاً منه على سرّية المعلومات. ولا يقضي أن تجري أية محاكمة أو أي جزء منها في السرّ. ستكون جلسات اللجان العسكرية مفتوحة، قدر الإمكان، أمام الجمهور طالما أن ذلك لا يتعارض مع مقتضيات الأمن الوطني الماسّة. إن شبح الإفراط في اللجوء إلى

المحاكمات السرية، كما جاء في عدد من الانتقادات، لا يعكس صورة دقيقة عن هذا القرار أو عما يضمره الرئيس.

ويقضي القرار، بالضبط، أن تكون أي محاكمة أمام لجنة عسكرية تامة ومنصفة. ويتمتع كل شخص يمثل أمام لجنة عسكرية بحق توكيل محام مختص وتقديم المرافعة. إنّ النظام القضائي الأميركي أفضل نظام في العالم. ويشهد له التقليد الذي ينطوي عليه والمتمثل بحظر أي ضغط قد تمارسه القيادة العسكرية على سير المحاكمة، وبتوفير محامين كفوئين ومتفانين، وبتأمين محاكمة منصفة. لقد حدث في الحرب العالمية الثانية أن برّأت لجان عسكرية بعض المتهمين الألمان واليابانيين. أما القول عن هذه اللجان أنها لن توفّر سوى محاكمة صورية على شاكلة المحاكمات التي تجري في الأنظمة الدكتاتورية فذلك يشكل إهانة للنظام القضائي العسكري.

لقد حافظ القرار على إمكانية أن تمارس المحاكم المدنية إشرافاً قضائياً. وبموجب هذا القرار سيتمكن أي شخص موقوف أو محتجز أو تتم محاكمته في الولايات المتحدة من قبل لجنة عسكرية من الطعن في اختصاص هذه اللجنة الاحتماء بقانون الحصانة الفردية أمام محكمة فدرالية. وحيثيات القرار مماثلة لتلك الواردة في القرار المتعلق بالمحاكم العسكرية، الذي كان الرئيس فرانكلن روزفلت قد أصدره، وكانت المحكمة العليا قد أوّلته على أنه يسمح بممارسة رقابة قضائية عن طريق طلب الحصانة الفردية و«إخلاء السبيل».

وتنسجم اللجان العسكرية مع التقاليد التاريخية والدستورية للولايات المتحدة. فقد جرت محاكمة عناصر من الشرطة الجنوبية كانوا قد تخفوا باللباس المدني وتوجهوا إلى نيويورك لإشعال حريق فيها. ومثل مخربون نازيون قدموا إلى لونغ أيلاند، في الحرب العالمية الثانية، متخفين بالهوية المدنية، بغرض الاعتداء على مصانع أسلحة أميركية، فقررت المحكمة العليا بصورة نظامية أن اللجوء إلى مثل هذه اللجان مطابق للقوانين.

ولا تمس اللجان العسكرية بالقيم الدستورية التي ترعى الحريات العامة أو فصل السلطات؛ لا بل إنها تحميها وتوفر للولايات المتحدة غطاءً شرعياً في حال شنت الحرب على أعداء خارجيين انتصرت عليهم. وفي سبيل الدفاع عن بلدنا، يسعى الرئيس بوش بحق لاستخدام جميع ما بحوزته من وسائل مشروعة. واللجان العسكرية إحدى هذه الوسائل وسيمكن اللجوء إليها بحكمة من المحافظة على أمن الأميركيين وحريتهم.

لائحة أسماء الانتحاريين التسعة عشر التي نشرها الـ إف.بي.آي

طائرة البوينغ ٧٥٧ التابعة للخطوط الجوية الأميركية (AA) ـ الرحلة ٧٧ (تحطمت على البنتاغون).

١ ـ خالد المحضار (يشتبه في أنه قد يكون سعودياً).
ربما أقام في سان دييغو بولاية كالفورنيا ونيويورك.
الأسماء المستعارة: سنان المكي وخالد بن محمد وعبد الله المحضار وخالد محمد السقاف.

٢ ـ ماجد مقعد (يشتبه في أنه قد يكون سعودياً).
الصيغ الأخرى لاسمه: ماجد م. ج هـ مقعد وماجد مشعان مقعد.

٣ ـ نواف الحازمي (يشتبه في أنه قد يكون سعودياً).
ربما أقام في فورت لي وووين بنيوجيرسي وسان دييغو بكالفيورنيا.
الصيغة الأخرى لاسمه: نواف م.س الحازمي.

٤ ـ سالم الحازمي (يشتبه في أنه قد يكون سعودياً).
ربما أقام في فورت لي ووين بنيوجيرسي.

٥ ـ هاني حنجور ربما أقام في فينيكس بأريزونا وسان دييغو بكاليفورنيا.

الصيغ الأخرى لاسمه: هاني صالح حنجور وهاني صالح وهاني صالح هـ حنجور.

طائرة البوينغ ٧٦٧ التابعة للخطوط الجوية الأميركية (AA) ـ الرحلة ٧٧ (تحطمت على البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي).

١ ـ سطام م. أ السقامي (يشتبه في أن يكون سعودياً).
تاريخ الميلاد المستخدم في وثائقه هو ٢٨/٦/١٩٧٦.
آخر عنوان معلوم له: دولة الإمارات العربية المتحدة.

٢ ـ وليد م. الشهري (يشتبه في أن يكون سعودياً).
تواريخ الميلاد المستخدمة في وثائقه: ١٣/٩/١٩٧٤ و١/٦/١٩٧٦ و٣/٣/١٩٧٦ و ٨/٧/١٩٧٧ و ٢٠/١٢/١٩٧٨ و ١١/٥/١٩٧٩ و٥/١١/١٩٧٩.
ربما أقام في هوليوود وأورلاندو ودايتون بيتش بفلوريدا.
يعتقد أنه كان طياراً.

٣ ـ وائل م. الشهري.
تاريخ الميلاد المستخدم: ١/٩/١٩٦٨.
ربما أقام في هوليوود بفلوريدا ونيوتن بماساتشوسيتس.
يعتقد أنه كان طياراً.

٤ ـ محمد عطا (يعتقد أنه مصري).
تاريخا الميلاد المستخدم: ١/٩/١٩٦٨.
ربما قام في هوليوود وكورال سبرينغز بفلوريدا وهامبورغ بألمانيا.
يعتقد أنه كان طياراً.
الصيغ الأخرى لاسمه: محن عطا ومحمد الأمير ومحمد السيد ومحمد محمد الأمير عوض السيد عطا ومحمد محمد الأمير عوض السيد.

٥ ـ عبد العزيز العمري (يشتبه في أن يكون سعودياً).
تاريخا الميلاد المستخدمان: ٢٤/١٢/١٩٧٢ و٢٨/٥/١٩٧٩.

ربما أقام في هوليوود بفلوريدا.
يعتقد أنه كان طياراً.

طائرة البوينغ ٧٦٧ التابعة للخطوط الجوية المتحدة (UA) ـ الرحلة ١٧٥ (تحطمت على البرج الجنوبي لمركز التجارة العالمي).

١ ـ مروان الشحي.
تاريخ الميلاد المستخدم: ٩/٥/١٩٧٨.
ربما أقام في هوليوود بفلوريدا.
يعتقد أنه كان طياراً.
الأسماء الأخرى: مروان يوسف محمد رشيد الشحي ومروان يوسف محمد رشيد لكراب الشحي وأبو عبد الله.

٢ ـ فايز رشيد أحمد حسن القعدي بني حماد.
ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.
الأسماء الأخرى: فايز أحمد وبني حماد فايز أبو ظبي بني حماد وفايز رشيد أحمد وبني حماد فايز ورشيد أحمد حسن القعدي وأبو ظبي بني حماد أحمد فايز.

٣ ـ أحمد الغامدي الصيغة الأخرى لاسمه: أحمد صلاح الغامدي.

٤ ـ حمزة الغامدي ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.
الصيغة الأخرى لاسمه: حمزة الغامدي صالح.
ـ مهند الشهري ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.
الأسماء الأخرى: محمد الشهري ومحند الشهري.

طائرة البوينغ ٧٥٧ التابعة للخطوط الجوية المتحدة (UA) - الرحلة ٧٧ (انفجر في الجو فوق ستوني كريك تاونشيب). - الرحلة ٩٣.

١ - سعيد الغامدي

ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.

الأسماء الأخرى: عبد الرحمن سعيد الغامدي وعلي سعد الغامدي وسعد م.س. الغامدي وسدا الغامدي وسهيد الغامدي وسيد الغامدي.

٢ - أحمد إبراهيم أ. الحزناوي (يشتبه في أن يكون سعودياً).

تاريخ الميلاد المستخدم: ١١/ ١٠/ ١٩٨٠.

ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.

الصيغة الأخرى لاسمه: أحمد الحزناوي.

٣ - أحمد النعمي

ربما أقام في ديلراي بيتش بفلوريدا.

الصيغ الأخرى لاسمه: علي أحمد النعمي وأحمد أ. النعمي وأحمد الناوي.

٤ - زياد سمير جراح

يعتقد أنه كان طياراً.

الصيغ الأخرى لاسمه: زياد جراحي وزيد سمر جراح وزياد س. جراح وزياد جراح جرات وزياد سمير جراحي.

شريط الڤيديو المسجل

لأسامة بن لادن عرضته وزارة الدفاع

تمهيد وزارة الدفاع:

عرضت وزارة الدفاع شريط ڤيديو لزعيم شبكة القاعدة أسامة بن لادن يتحدث فيه عن الهجمات الإرهابية التي أطلقت في الحادي عشرمن أيلول/ سپتمبر واستهدفت مركز التجارة العالمي ومبنى الپنتاغون. وقد صوّر الشريط خلال زيارة قام بها ابن لادن لشيخ مجهول في منتصف شهر تشرين/ نوڤمبر في قندهار (أفغانستان).

أعلن عن شريط الڤيديو مصحوباً بترجمة إنكليزية في الثالث عشر من كانون الأول/ ديسمبر، في واشنطن. ويبين الشريط، الذي كان رديئاً في الصوت والصورة، ابن لادن وهو يتحدث عن انهيار برجي مركز التجارة العالمي إثر اصطدام الطائرتين.

وجاء في المقطع الذي يتحدث فيه ابن لادن عن حجم الخسائر التي توقعها هو وزملاؤه من تنظيم القاعدة، وهو المقطع الذي عرض على الصحفيين العرب في واشنطن: «حسبنا وخططنا، فجلسنا نحسب ما حجم خسائر العدو، فقلنا إن ٤ طائرات فبعدد الذين في الطائرات. بالنسبة للأبراج قلنا عدد الذين سيصطدم بهم الطائرة ٣/ ٤ أدوار. فهذا كان حسابنا، فكنت أكثرهم تفاؤلاً لطبيعة المهنة يعني، فقلت الوقود الذي في الطائرة سوف يوصل الحديد لدرجة

الاحمرار وبالتالي خواصه، والضرب من هنا (إشارة باليد) وبالتالي العمارة، الجزء المضروب، (من أعلى) سيسقط، فهذا كان أكثر من أفضل التوقعات أن الدور اللي فوق يسقط».

كما أوضح ابن لادن أنه تم إبلاغ عناصر القاعدة الذين نفذوا هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عندما سافروا إلى الولايات المتحدة بأنهم سيشاركون في مهمة عملية استشهادية لكنهم لم يعرفوا تفاصيل العملية إلا قبل صعودهم على متن الطائرات التي خطفوها في ذلك اليوم. وأكدّ أن الإرهابيين الذين خطفوا الطائرات لم يكونوا على معرفة سابقة بالإرهابيين الذين رافقوهم.

وقد أكدت وزارة الدفاع من جهتها في تقديمها للشريط أن القوات الأميركية قد عثرت على شريط الڤيديو في جلال أباد (أفغانستان) في أواخر تشرين الثاني/نوڤمبر. كما أشارت في الملحق المرفق بعنوان «معرض الأسئلة» إلى احتمال أن يكون أحد ما قد نسي شريط الڤيديو من غير أن ينتبه بسبب السرعة أو أنه ترك هناك عمداً.

وقد قام بالنسخ بالعربية والترجمة الإنكليزية لشريط الڤيديو مترجمان مستقلان: ثم قورنت ترجماتهما مع تلك التي قام بها مترجمون تابعون للإدارة الفدرالية ولم يظهر فيها أي تناقض.

نسخة شريط ڤيديو أسامة بن لادن

في منتصف شهر تشرين الثاني/نوڤمبر تحدث أسامة بن لادن لمعاونيه في غرفة داخل مبنى لربما يقع في قندهار (أفغانستان). وتم تسجيل حديثه بموافقته وموافقة الأشخاص الموجودين.

مدة شريط الڤيديو ساعة تقريباً ويتألف من ثلاثة أقسام: زيارة عدد من الأشخاص إلى المكان الذي سقطت فيه طوافة أميركية في مقاطة غازني (حوالى اثني عشر دقيقة)، وقسمان مخصّصان للزيارة التي قام بها أسامة بن لادن ومعاونوه إلى شيخ مجهول يبدو مشلول الساقين. ولعل الزيارة تمت في فندق عائلي في قندهار. وقد عُكس مسار الأحداث على شريط الڤيديو، فنهاية زيارة أسامة بن لادن موجودة في أول الشريط. أما مطلع زيارة أسامة بن لادن فيبدأ بعد تسعة وثلاثين دقيقة على بداية الشريط. أما عملية فك الشريط فأعادت ترتيب الأحداث بتسلسلها الحقيقي.

بسبب رداءة شريط الڤيديو لم تأت النسخة مطابقة للنسخة الأصلية بل نقلت المرسلات والمعطيات.

القسم الأول من زيارة أسامة ابن لادن
الذي سجل بعد تسعة وثلاثين دقيقة على بداية شريط الفيديو

(بداية النسخة)

الشيخ: (غير مسموع) أعطيتنا السلاح وأعطيتنا الأمل ونشكر الله على ذلك. ما أردنا والله أن نأخذ من وقتكم، لكن الإخوان هم قالوا: ربنا، والله، جئت كابول.. قلت الشيخ أعانه الله، أكرمكم الله أكرمكم الله... (أصوات متداخلة غير مفهومة) أكرمكم الله، في المزرعة وفي البيت، وتذكرنا ليلة كانت بدر تمام. وركبنا معك، فطلبت من السائق أن ينزلنا.. وجلسنا.. وكلمة كانت مناسبة للوقت.. الحمد الله نسأل الله سبحانه وتعالى.. الحمد لله.

والله يا شيخ ليس فقط الناس ولكن أهل البادية والعجائز والكبار والصغار يتجهون لكم بالدعاء، يتجهون لكم بالدعاء.. وغبطت بكم الناس حقيقة على هذا العمل العظيم.. وعلى الدعاء اللي حصل، يعني بفضل الله أولاً وأخيراً، ولعل هذا من هداية الجهاد أكرمكم الله.

ابن لادن: الحمد الله.. أبرز مواقف المساجد.. (في المملكة العربية السعودية).

الضيف: والله ياشيخ.

يعني الشيخ قبله، الشيخ البحراني (صوتياً) الحقيقة ألقى كلمة بعد

المغرب، كان له درس، إذا جاؤونا بالدرس سجلوه لكم، ووعدوني بالشريط فسافرت فجأة.. ما..

ابن لادن: يوم الحدث؟

الشيخ: أي نعم، وقت الحدث، سبحان الله، وقت الضربة على أمريكا ألقى كلمة جداً مؤثرة الشيخ (عبد الله البحراني) ويعني يشكر الحقيقة، ما شاء الله كان من أوائل من كتب، وزرته مرتين في القسيم.

ابن لادن: الحمد الله.

الشيخ: هذا ما طلبته من الله. قال البحراني: أنتم تطلبون شهادة، فابحثوا عنها.. اذهبوا إلى حيث الشهادة ما كان سبحان الله ما يحث إلا على الذهاب. وأنا أسأل الله أن يعطيني الشهادة كلمة حق عند سلطان جائر، عن سلطان كافر، يقول أنا أدعو الله هكذا، وأسأل الله لعيطيني سبحان الله الشهادة، وندعوا الله أن يحفظه، بعد ما أصدر الفتوى الأولى استدعي كما لا يخفى عليكم، وقال نعم... قال نقرأ عليك؟ قال ما أحتاج ما أريد أن تضيع الوقت. هي فتوى وعندي فتوى أخرى إن أردت أن أوقع على الثانية، أنا ممكن.

ابن لادن: الحمد لله.

الشيخ: مواقف الشيخ، الحقيقة شجعت الآخرين. ورجل نسأل الله سبحانه وتعالى أن يأجره وأن يحفظه وإخوانه. أكرمكم الله. الحقيقة الشيخ، أذكر أول زيارة لنا والله ما كونها مجاملة يا شيخ، إيش قال: كيف حال الشيخ ابن لادن؟ ويبلغك السلام، سلام خاص والحمد الله... الشيخ (سليمان علوان) صدرت له فتوى جديدة جداً، والعجيب أنها بفضل من الله سبحانه وتعالى وتدبير من الله نقلت في إذاعة القرآن. أنا سمعتها على آخرها. وقلت كيف هذه الفتوى تنقل؟ هذا أمر عجيب جداً. فكإن الواحد ضحى بوظيفة أو شيء. طُرد طبيعي المدير وطُرد عدد كبير، ولكنها نقلت بالحرف، سمعها الأخوة بالتفصيل. أنا سمعتها، من صلاة الظهر سمعتها على النهاية. قال

(علوان) إن هذا جهاد وإن هؤلاء ليسوا بأبرياء، (ضحايا مركز التجارة العالمي والبنتاغون) قسماً بالله ونقلت ذلك إلى الشيخ (سليمان علوان) أكرمه الله.

ابن لادن: والشيخ (ريان)؟

الشيخ: والله ما التقينا به. تحركاتي الحقيقة يعني قليلة.

ابن لادن: (غير مفهوم...) حياكم الله جميعاً.

الشيخ: (يصف الرحلة التي قام بها لحضور الاجتماع): إحنا جئنا ودخلنا عن طريق التهريب ونتوقع أن نكون في كهفين مختلفين.. قلت أكيد يوديني الجبل الله يعيننا.. وتفاجأة برؤية فندق العائلة المكان نظيف مقارنة بما كان يتوقع. فعلمنا أن هذه الأمنة، وهذا من فضل الله عز وجل. المكان نظيف ونحن مرتاحون.

ابن لادن: (غير مسموع) حتى لو رأيت فرس قوي وفرس هزيل، جميع الناس يميلون تلقائياً للفرس القوي، فهذه فكرة الناس، إحنا كان لا بد.. لذلك.. الذين يريدون أن يُعبدوا العباد لرب بغير هذا المنهج.. إن هذا محمد رسول الله ﷺ (ويتلو أسامة بن لادن بعد ذلك آيات قصيرة وغير كاملة من الحديث).

ابن لادن: هؤلاء الشباب الذين نفذوا العمليات لا يتقبلون الفقه كما يعني الناس بل الفقه بالمعنى الذي جاء به محمد. فهذه الخطب التي قام بها هؤلاء في نيويورك وواشنطن أسمعت العالم بأسره، عرب وعجم و... والصين. أنا سمعت بنفسي في إذاعات... وحديث من الأخوة أيضاً، بعضهم روى لي أن في هولندا مركز من المراكز (الإسلامية) عدد الذين أقبلوا ودخلوا في الإسلام بعد الضربات في الأيام الأولى أكثر من جميع من دخلوا في الإسلام في الحادي عشر سنة الماضية. سمعت واحد أيضاً في إذاعة صوت أميركا... عندهم مدرسة إسلامية هناك قال لا نجد وقتاً ولا نقدر نوفر الكتب لعدد الذين يطلبون من الكتب والتعلم عن دين الإسلام.

الشيخ: هم يقولون يعني هؤلاء لا شك أنهم يؤمنوا بشيء عظيم اللي دفعهم لهذا الحديث. فهذا سيتوقف الناس، هذا هو.. جاء الحدث، والآن بالمئات سبحان الله. لا زلت أذكر رؤية ذكرها أولهم الشيخ (صالح الشعيبي) العام الماضي فقال عُرضت علي رؤية، سيكون هناك ضربة قوية جداً وحدث عظيم. أو سيخرج الناس بأعداد كبيرة جداً إلى أفغانستان وسألته أقلت إلى أفغانستان؟ قال لي: إلى أفغانستان والله ما يكاد يبقى أحد إلا رجل متخلف منافق وإما رجل معتوه. أذكر أنه قال المئات من الناس سيخرجون إلى أفغانستان يقول الرؤية رآها من سنة. إنه مثل الحدث هذا دفع الناس وميز الصفوف.

ابن لادن: (غير مفهوم) حسبنا وخططنا، فجلسنا نحسب ما حجم خسائر العدو، فقلنا إن ٤ طائرات فبعدد الذين في الطائرات. بالنسبة للأبراج قلنا عدد الذين ستصطدم بهم الطائرة ٣/ ٤ أدوار. فهذا كان حسابنا، فكنت أكثرهم تفاؤلاً لطبيعة المهنة يعني، فقلت الوقود الذي في الطائرة سوف يوصل الحديد لدرجة الاحمرار وبالتالي يفقد خواصه، والضرب من هنا (إشارة باليد) وبالتالي العمارة، الجزء المضروب، (من أعلى) سيسقط، فهذا كان أكثر من أفضل التوقعات أن الدور اللي فوق يسقط.

ابن لادن: إحنا كنا في... وقت الحدث وعندنا الخبر من يوم الخميس أنه سيضربون يوم الثلاثاء. فاتحين الراديو، واحنا في تقديرنا الصبح، وقت العمل، عندنا يكون كانت ٥,٣٠ مساء، أنا جالس أنا والدكتور أحمد أبو الخير، فيقول له إذا قال جاءنا للتو.. معناه إن الإخوة ضربوا، ففتحنا الإذاعة.. وقام يتكلم عن الأخبار العادية الموجودة حل كذا أو راح كذا وجاء كذا، وكادت تنتهي النشرة، وإلا فجأة قال جاتنا للتو: طائرة تدخل مركز التجارة العالمي والشباب موجودين قاموا..

الشيخ: لا إله إلا الله.

ابن لادن: شوية وقال طائرة ثانية تدخل مركز التجارة العالمي. كان

الإخوة الذين سمعوا الخبر في غاية السعادة.

الشيخ: أنا حقيقة... ويريد الله سبحانه وتعالى، ربنا لك الحمد، أُعزم من ناس أفاضل ما عندهم شيء كل يتكلم عن فرحتنا إحنا يعني والتهاني في التلفون داك اليوم، ما في كلام يعني الوالدة تستقبل التهاني وترسلها قالت نصف هذا اليوم... وفجأة وصل الخبر وفرح الجميع حتى اليوم التالي يتحدثون بما جرى جلسنا نسمع الأخبار حتى الساعة ٤ كانت الأخبار كل مرة مختلفة قليلاً. فرحة الأخوان لا توصف «الله أكبر» «الحمد لله» يقولون والله لا شك أنه نصر عظيم وأن الله سبحانه وتعالى أن يكرم هذه الأمة ويجعل لها الشرف وهي أهل لذلك، ويجعل ما يأتي بهذا الشهر المبارك (رمضان) أو بعده خير عظيم هذا سبحان الله اللي كل واحد يتمناه، والله والحمد لله أنها أميركا خرجت من وكرها. عاد الثانية، كان الله قسم عاد الأولى، وهذه عاد الثانية الله يقسمها، ولكن بأيدي المؤمنين إن شاء الله، بأيدي الصادقين الذين جاهدوا ربع قرن، الثابتين. والله إنه عمل عظيم، لكنه أمام الفضل الكبير الذي أعد الله له فهو قليل بالنسبة للأجر العظيم اللي أعده الله عز وجل لهم. وليست أهلاً أن أتكلم بحضرة الشيخ الفاضل ولا بحضرة المشايخ، لكن عدوها خواطر، أقسم بالله إنها خواطر. والله الذي لا إله غيره إنني أعيش في سعادة وفرح ما عرفناه من فترة طويلة جداً، بل الناس كلهم يعيشون... وأتذكر كلمات نقلت عن شيخ الإسلام العالم الرباني في مثل هذه الأحداث. وقد تحزب التتار في فصل الشتاء، وقد تحزبوا علينا ومعهم المرتدين من الترك والكرج وغيرهم ومرتدي العرب، وأحاطوا بالشعب إحاطة السوار بالمعصم في فصل الشتاء، كما تحزبوا على عهد رسول الله ﷺ في فصل الشتاء، فالتاريخ يعيد نفسه، فالآن يتحزبون ويجتمعون في فصل الشتاء. فكان يقول شيخ الإسلام ويطمئن ويقول، والله إنها هذه الفتنة التي ضربت الخافقين وسمع بها القاسي والداني، إنها رحمة وفي داخلها منحة ونعمة لأنها ردت الناس لدينهم. شوف بعد نظرة الإمام رحمه الله. وإن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيراً أحياه الله في الزمان الذي يجدد فيه الدين ويقام فيه

شعار المسلمين، حتى يكون شبيهاً بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. ثم قال فمن قام منهم في ذلك الوقت بذلك، يعني بالجهاد، فكان ممن اتبعهم بإحسانه إلى يوم الدين. ثم بعد ذلك ختمها بقسم عجيب. قال والله لو أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم في وقتنا هذا وفي زماننا هذا، لكان من أعظم مجاهدة هذه العبارة، مجاهدة القوم المجرمين. فالحمد الله على فضله ونسأل الله أن يتم والله يا شيخ يعني يأجركم ويكرمكم على هذا العمل العظيم أنت وإخوانكم.

ابن لادن: عبد الله عزام الله يرحمه. قال لي ألا أسجل شيئاً (غير مسموع) وأن استبشرت خيراً وقبل العمليات هذه بسنة وشوية أخونا أبو الحسن المصري اللي ظهر في... ظهرفي تلفزيون الجزيرة قبل كام يوم، يقول للأمريكان: إذا أنتم رجال إنزلوا إلينا (غير مسموع). فراح يحدث... يقول أنا رأيت نلعب فريق، فريقنا مع الأمريكان في الملعب، لكن العجيب، وأنا أسأل ليش نزل جميع الفريق تبعنا طيارين؟ هذه كرة ولا...؟ ليش أسامة نزل لعيبة هم الطيارين - وهو لا يعلم شيء عن العملية، إلا أنه سمعها في الإذاعة - ما يعرف شيء. فقالت دارت لعب وهزمناهم فاستبشرنا خيراً.

صوت آخر لرجل خارج إطار الكاميرا - أخونا عبد الرحمن الغمري، فهو رأى طيارة داخلة في عمارة كبيرة، قبل العملية، ما كان يعرف عنها أي شيء.

الشيخ: ما شاء الله.

سليمان (أبو غيث): كنت جالساً مع الشيخ في الغرفة، ثم خرجت من الغرفة إلى غرفة أخرى فيها تليفزيون. بالتليفزيون ينقل حدث ضخم. المشهد على أسرة مصرية. شفت العالم لما يكون فيه مباريات، فريق يفوز، وتُنقل مشاعر الناس عبر شاشات التليفزيون. أسرة مصرية جالسة، والأب والأم والأبناء، والأسرة تصفق، فرحانة، وشريط يمر على التليفزيون هكذا يقول: «انتقاماً لأبناء الأقصى أسامة بن لادن ينفذ ضربات ضد الأمريكان». فقلت له

حق الشيخ، وكان المجلس فيه حوالى ٥٠ أو ٦٠ شخص. حاولت أن أخبره كما رأيت فأشار بيده كأنه يقول أعلم أعلم.

ابن لادن: ما كان يعرف عنها.. لم يكن أحد يعرف عنها (غير مسموع). الأسرة المصرية ممد عطا الله يرحمه كان مسؤول المجموعة.

الشيخ: طائرة تضرب مبنى عالياً، أمر لا يمكن أن يتصوره الخيال. عمل عظيم. كان أحد الأخوة التقنيين في المنظمة. إنه شهيد الآن. ليرحمه الله.

(يتحدث عن أحلامه ورؤاه) أما... طيارة تضرب أماكن عالية... كان معي رجل مصلح من رجال الهيئة.. ترقت شديد. يقول رأيت كأني راكب طيارة، ثم حملتها على كتفي ومشيت من الطريق إلى الصحراء.. مسافة نصف كيلومتر كنت أسحب الطائرة وطلبت من الله أن يساعده العام الماضي، ما فهمت أنا باقول له، يقول: ناس راحوا عالجهاد، وإذا بهم نزلوا في نيويورك واواشنطن. ونيويورك، إيش هذا؟ قال: إن الطائرة ضربت المبنى العام، لم نعلق أهمية على الموضوع.

لما جاء الحدث قال: شفت؟ أمر عجيب.

دخل معانا رجل سبحان الله يقول والله أنا زوجتي رأت هذا قبل الحدث بجمعة، رأت طيارة تضرب مبنى.. سبحان الله.

ابن لادن: الأخوة الذين نفذوا... كل الذي يعلموه أن هناك عندهم عملية استشهادية، وطلب منهم أن... الناس في أمريكا.. لكن هم ولا يعلمون عنها ولا حرف واحد عن ما هي طبيعة العملية، بس دُربوا، وما فوتحوا إلا هناك قبل صعودهم بفترة يسيرة، هؤلاء لا يعرفون أولئك.

رجل آخر يطلب من ابن لادن إخبار الشيخ برؤية أبو داود

ابن لادن: واحد من الأخوة من... قندهار.. من الحراسة... واحد من الأخوة.. قال شفتهم في أميركا في عمارة طويلة ومختار يعلمهم كارايته. أنا خايف يخرج السر، إن كل واحد يشوف رؤية ويتكلم، فلفيت الموضوع: وقلت

له لو سمعتك الناس حيزعلوا منك... مرة ثانية، لا تخبر أحداً.

صوت آخر: رأيت كان فيه طائرتين جاءت، انفجرت انفجار ضخم جداً، يعني..

صوت آخر: حتى يعني خشيت يشوف المنظر... خشيت إن فيه نور.. يأتينا أو شي... فأقول للشيخ يللا يللا.

ابن لادن: هم فرحوا من الطيارة الأولى. حس هو.. بس هو هذا الموضوع.. فقلت... انتظروا... عليكم بالصبر كان الوقت الفاصل بين الطائرة الأولى والثانية اللتين اصطدمتا بالبرجين عشرين دقيقة وبين الأولى والبنتاغون ساعة.

الشيخ: يعني فعلاً ترى، صاروا ذعر يا شيخ فعلاً وخوف، توقعوا إن فيه انقلاب..

أيمن الظواهري ينوّه بمعرفة ابن لادن بالمعلومات الواردة في الصحف وأضاف أنها كانت المرة الأولى يحسون بالخطر قادم عليه.

نهاية التسجيل زيارة بن لادن ثم الزيارة إلى الموقع الذي هبطت فيه الطوافة.

(نهاية النسخة)

(نهاية النص).

النص الفرنسي مترجم أصلاً عن النص العربي الصادر عن وزارة الدفاع لشريط الفيديو، وقد وجدنا اختلافاً ما بين الترجمة الفرنسية والنص العربي لذا لم نعتمد ترجمة النص الفرنسي وإنما أخذنا بالنص العربي.

ويمكن العودة إلى النص على العنوان التالي:

httpp://www.usinfo.state.gov/arabic/tr/bnladen.html.

عملية نورث وودز Northwoods

أو عندما أراد الجنود الأميركيون تنظيم «عمليات» على أرضهم ليكون اجتياح كوبا دفاعاً مشروعاً عن النفس.

TOP SECRET SPECIAL HANDLING NOFORN

THE JOINT CHIEFS OF STAFF
WASHINGTON 25, D.C.

UNCLASSIFIED

13 March 1962

MEMORANDUM FOR THE SECRETARY OF DEFENSE

Subject: Justification for US Military Intervention in Cuba (TS)

1. The Joint Chiefs of Staff have considered the attached Memorandum for the Chief of Operations, Cuba Project, which responds to a request of that office for brief but precise description of pretexts which would provide justification for US military intervention in Cuba.

2. The Joint Chiefs of Staff recommend that the proposed memorandum be forwarded as a preliminary submission suitable for planning purposes. It is assumed that there will be similar submissions from other agencies and that these inputs will be used as a basis for developing a time-phased plan. Individual projects can then be considered on a case-by-case basis.

3. Further, it is assumed that a single agency will be given the primary responsibility for developing military and para-military aspects of the basic plan. It is recommended that this responsibility for both overt and covert military operations be assigned the Joint Chiefs of Staff.

For the Joint Chiefs of Staff:

SYSTEMATICALLY REVIEWED BY JCS ON 27 May 84
CLASSIFICATION CONTINUED

L. L. Lemnitzer

L. L. LEMNITZER
Chairman
Joint Chiefs of Staff

1 Enclosure
Memo for Chief of Operations, Cuba Project

EXCLUDED FROM GDS

EXCLUDED FROM AUTOMATIC REGRADING; DOD DIR 5200.10 DOES NOT APPLY

TOP SECRET SPECIAL HANDLING NOFORN

APPENDIX TO ENCLOSURE A

DRAFT

UNCLASSIFIED

MEMORANDUM FOR CHIEF OF OPERATIONS, CUBA PROJECT

Subject: Justification for US Military Intervention in Cuba (TS)

1. Reference is made to memorandum from Chief of Operations, Cuba Project, for General Craig, subject: "Operation MONGOOSE", dated 5 March 1962, which requested brief but precise description of pretexts which the Joint Chiefs of Staff consider would provide justification for US military intervention in Cuba.

2. The projects listed in the enclosure hereto are forwarded as a preliminary submission suitable for planning purposes. It is assumed that there will be similar submissions from other agencies and that these inputs will be used as a basis for developing a time-phased plan. The individual projects can then be considered on a case-by-case basis.

3. This plan, incorporating projects selected from the attached suggestions, or from other sources, should be developed to focus all efforts on a specific ultimate objective which would provide adequate justification for US military intervention. Such a plan would enable a logical build-up of incidents to be combined with other seemingly unrelated events to camouflage the ultimate objective and create the necessary impression of Cuban rashness and irresponsibility on a large scale, directed at other countries as well as the United States. The plan would also properly integrate and time phase the courses of action to be pursued. The desired resultant from the execution of this plan would be to place the United States in the apparent position of suffering defensible grievances from a rash and irresponsible government of Cuba and to develop an international image of a Cuban threat to peace in the Western Hemisphere.

UNCLASSIFIED 5 Appendix to Enclosure A

TOP SECRET SPECIAL HANDLING NOFORN

ANNEX TO APPENDIX TO ENCLOSURE A



PRETEXTS TO JUSTIFY US MILITARY INTERVENTION IN CUBA

(Note: The courses of action which follow are a preliminary submission suitable only for planning purposes. They are arranged neither chronologically nor in ascending order. Together with similar inputs from other agencies, they are intended to provide a point of departure for the development of a single, integrated, time-phased plan. Such a plan would permit the evaluation of individual projects within the context of cumulative, correlated actions designed to lead inexorably to the objective of adequate justification for US military intervention in Cuba).

1. Since it would seem desirable to use legitimate provocation as the basis for US military intervention in Cuba a cover and deception plan, to include requisite preliminary actions such as has been developed in response to Task 33 c, could be executed as an initial effort to provoke Cuban reactions. Harassment plus deceptive actions to convince the Cubans of imminent invasion would be emphasized. Our military posture throughout execution of the plan will allow a rapid change from exercise to intervention if Cuban response justifies.

2. A series of well coordinated incidents will be planned to take place in and around Guantanamo to give genuine appearance of being done by hostile Cuban forces.

a. Incidents to establish a credible attack (not in chronological order):

(1) Start rumors (many). Use clandestine radio.

(2) Land friendly Cubans in uniform "over-the-fence" to stage attack on base.

(3) Capture Cuban (friendly) saboteurs inside the base.

(4) Start riots near the base main gate (friendly Cubans).

4. Time is an important factor in resolution of the Cuban problem. Therefore, the plan should be so time-phased that projects would be operable within the next few months.

5. Inasmuch as the ultimate objective is overt military intervention, it is recommended that primary responsibility for developing military and para-military aspects of the plan for both overt and covert military operations be assigned the Joint Chiefs of Staff.

(5) Blow up ammunition inside the base; start fires.

(6) Burn aircraft on air base (sabotage).

(7) Lob mortar shells from outside of base into base. Some damage to installations.

(8) Capture assault teams approaching from the sea or vicinity of Guantanamo City.

(9) Capture militia group which storms the base.

(10) Sabotage ship in harbor; large fires -- napthalene.

(11) Sink ship near harbor entrance. Conduct funerals for mock-victims (may be lieu of (10)).

b. United States would respond by executing offensive operations to secure water and power supplies, destroying artillery and mortar emplacements which threaten the base.

c. Commence large scale United States military operations.

3. A "Remember the Maine" incident could be arranged in several forms:

a. We could blow up a US ship in Guantanamo Bay and blame Cuba.

b. We could blow up a drone (unmanned) vessel anywhere in the Cuban waters. We could arrange to cause such incident in the vicinity of Havana or Santiago as a spectacular result of Cuban attack from the air or sea, or both. The presence of Cuban planes or ships merely investigating the intent of the vessel could be fairly compelling evidence that the ship was taken under attack. The nearness to Havana or Santiago would add credibility especially to those people that might have heard the blast or have seen the fire. The US could follow up with an air/sea rescue operation covered by US fighters to "evacuate" remaining members of the non-existent crew. Casualty lists in US newspapers would cause a helpful wave of national indignation.

4. We could develop a Communist Cuban terror campaign in the Miami area, in other Florida cities and even in Washington.

The terror campaign could be pointed at Cuban refugees seeking haven in the United States. We could sink a boatload of Cubans enroute to Florida (real or simulated). We could foster attempts on lives of Cuban refugees in the United States even to the extent of wounding in instances to be widely publicized. Exploding a few plastic bombs in carefully chosen spots, the arrest of Cuban agents and the release of prepared documents substantiating Cuban involvement also would be helpful in projecting the idea of an irresponsible government.

5. A "Cuban-based, Castro-supported" filibuster could be simulated against a neighboring Caribbean nation (in the vein of the 14th of June invasion of the Dominican Republic). We know that Castro is backing subversive efforts clandestinely against Haiti, Dominican Republic, Guatemala, and Nicaragua at present and possible others. These efforts can be magnified and additional ones contrived for exposure. For example, advantage can be taken of the sensitivity of the Dominican Air Force to intrusions within their national air space. "Cuban" B-26 or C-46 type aircraft could make cane-burning raids at night. Soviet Bloc incendiaries could be found. This could be coupled with "Cuban" messages to the Communist underground in the Dominican Republic and "Cuban" shipments of arms which would be found, or intercepted, on the beach.

6. Use of MIG type aircraft by US pilots could provide additional provocation. Harassment of civil air, attacks on surface shipping and destruction of US military drone aircraft by MIG type planes would be useful as complementary actions. An F-86 properly painted would convince air passengers that they saw a Cuban MIG, especially if the pilot of the transport were to announce such fact. The primary drawback to this suggestion appears to be the security risk inherent in obtaining or modifying an aircraft. However, reasonable copies of the MIG could be produced from US resources in about three months.

7. Hijacking attempts against civil air and surface craft should appear to continue as harassing measures condoned by the government of Cuba. Concurrently, genuine defections of Cuban civil and military air and surface craft should be encouraged.

8. It is possible to create an incident which will demonstrate convincingly that a Cuban aircraft has attacked and shot down a chartered civil airliner enroute from the United States to Jamaica, Guatemala, Panama or Venezuela. The destination would be chosen only to cause the flight plan route to cross Cuba. The passengers could be a group of college students off on a holiday or any grouping of persons with a common interest to support chartering a non-scheduled flight.

a. An aircraft at Eglin AFB would be painted and numbered as an exact duplicate for a civil registered aircraft belonging to a CIA proprietary organization in the Miami area. At a designated time the duplicate would be substituted for the actual civil aircraft and would be loaded with the selected passengers, all boarded under carefully prepared aliases. The actual registered aircraft would be converted to a drone.

b. Take off times of the drone aircraft and the actual aircraft will be scheduled to allow a rendezvous south of Florida. From the rendezvous point the passenger-carrying aircraft will descend to minimum altitude and go directly into an auxiliary field at Eglin AFB where arrangements will have been made to evacuate the passengers and return the aircraft to its original status. The drone aircraft meanwhile will continue to fly the filed flight plan. When over Cuba the drone will being transmitting on the international distress frequency a "MAY DAY" message stating he is under attack by Cuban MIG aircraft. The transmission will be interrupted by destruction of the aircraft which will be triggered by radio signal. This will allow ICAO radio

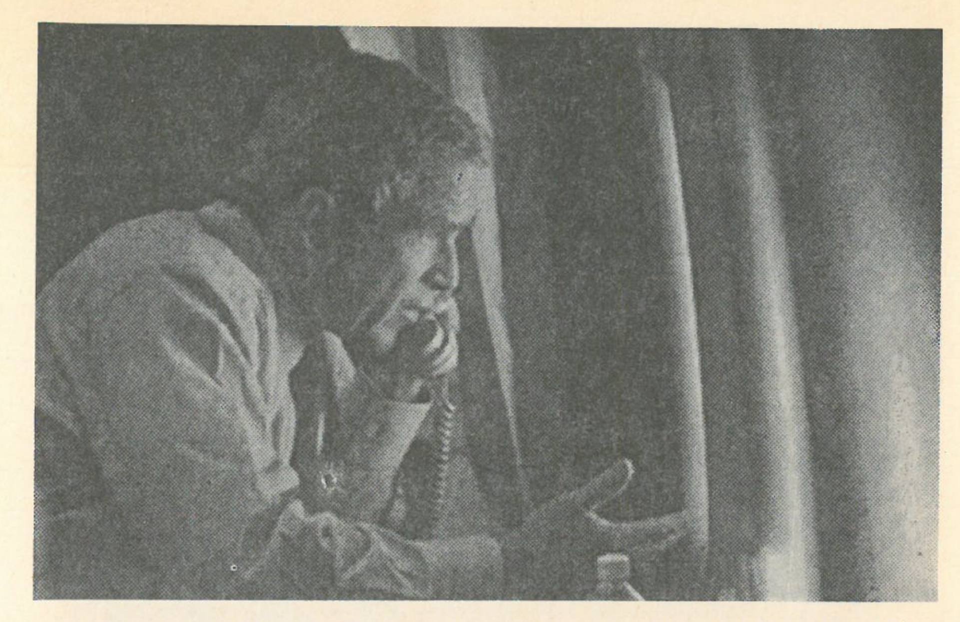
stations in the Western Hemisphere to tell the US what has happened to the aircraft instead of the US trying to "sell" the incident.

9. It is possible to create an incident which will make it appear that Communist Cuban MIGs have destroyed a USAF aircraft over international waters in an unprovoked attack.

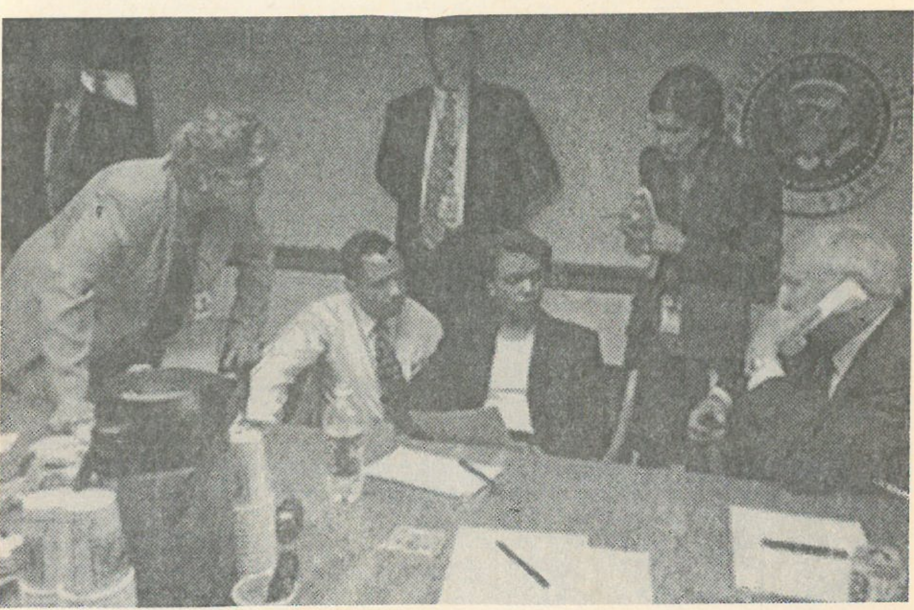
a. Approximately 4 or 5 F-101 aircraft will be dispatched in trail from Homestead AFB, Florida, to the vicinity of Cuba. Their mission will be to reverse course and simulate fakir aircraft for an air defense exercise in southern Florida. These aircraft would conduct variations of these flights at frequent intervals. Crews would be briefed to remain at least 12 miles off the Cuban coast; however, they would be required to carry live ammunition in the event that hostile actions were taken by the Cuban MIGs.

b. On one such flight, a pre-briefed pilot would fly tail-end Charley at considerable interval between aircraft. While near the Cuban Island this pilot would broadcast that he had been jumped by MIGs and was going down. No other calls would be made. The pilot would then fly directly west at extremely low altitude and land at a secure base, an Eglin auxiliary. The aircraft would be met by the proper people, quickly stored and given a new tail number. The pilot who had performed the mission under an alias, would resume his proper identity and return to his normal place of business. The pilot and aircraft would then have disappeared.

c. At precisely the same time that the aircraft was presumably shot down a submarine or small surface craft would disburse F-101 parts, parachute, etc., at approximately 15 to 20 miles off the Cuban coast and depart. The pilots returning to Homestead would have a true story as far as they knew. Search ships and aircraft could be dispatched and parts of aircraft found.



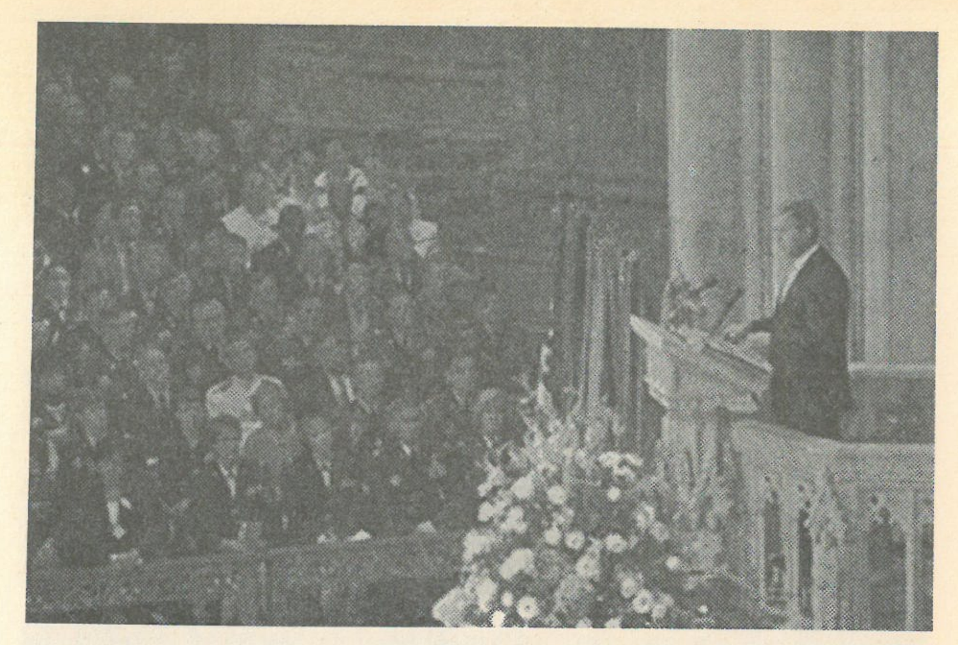
الرئيس بوش يتصل بنائب الرئيس ديك تشيني من طائرته صلاح الجو رقم ١ Air Force One بعد رحيله من قاعدة القوات الجوية الأميركية في أوفوت(١١/٩/٢٠٠١).



ملجأ البيت الأبيض. نائب الرئيس ديك تشيني يتحث هاتفيا مع الرئيس بوش. وتبدو بجانبه إلى اليمين كوندوليزا رايس (١١/٩/٢٠٠١).



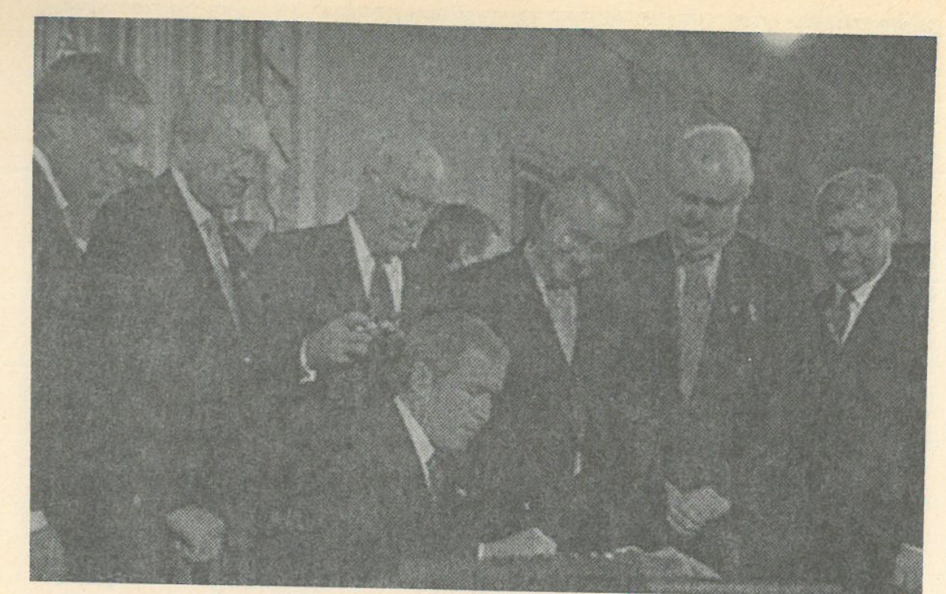
الرئيس بوش في زيارة له في الرابع من شباط/فبراير ٢٠٠٢ إلى قاعدة القوات الجوية في إلجين (فلوريدا).



الرئيس بوش في الكاتدرائية الوطنية في واشنطن في الرابع عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.



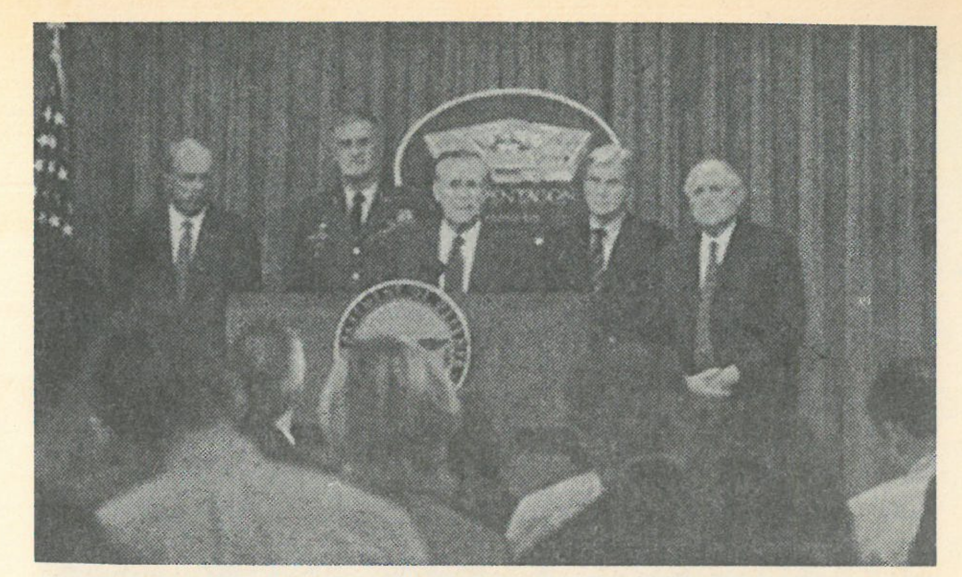
الرئيس بوش بعد الكلمة التي ألقاها يمسك بيد والده.



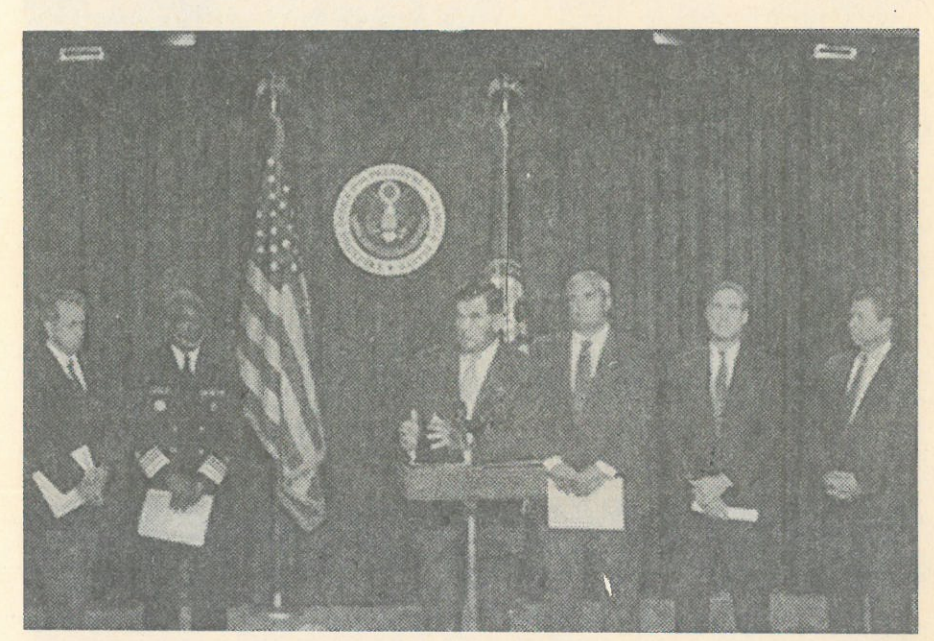
توقيع مرسوم (Patriot) في السادس والعشرين من تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١.



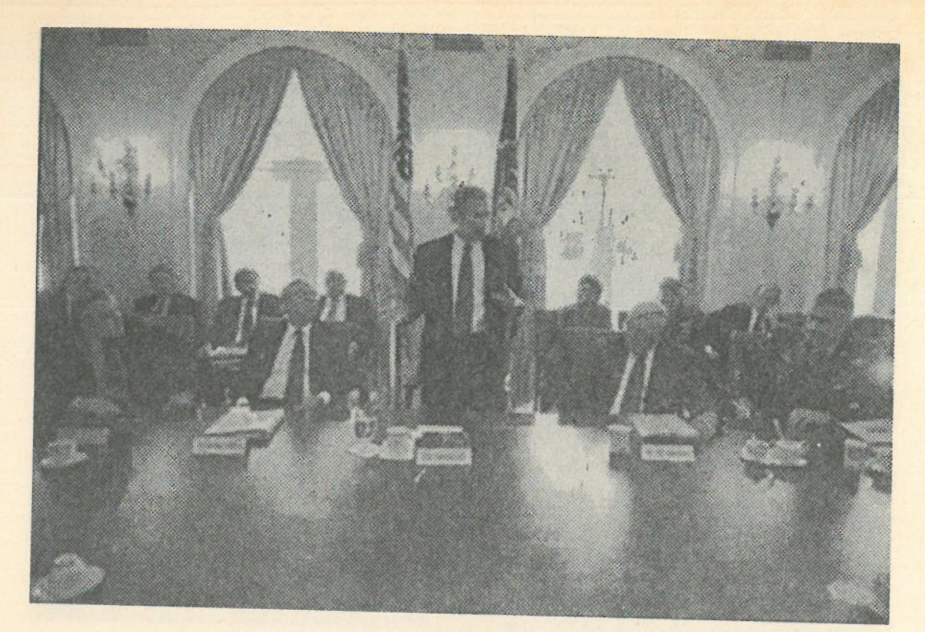
من اليسار إلى اليمين كولن پاول، الرئيس بوش، ديك تشيني وهيوغ شلتون يتحدثون إلى الصحافة في البيت الأبيض في الثاني عشر من أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١.



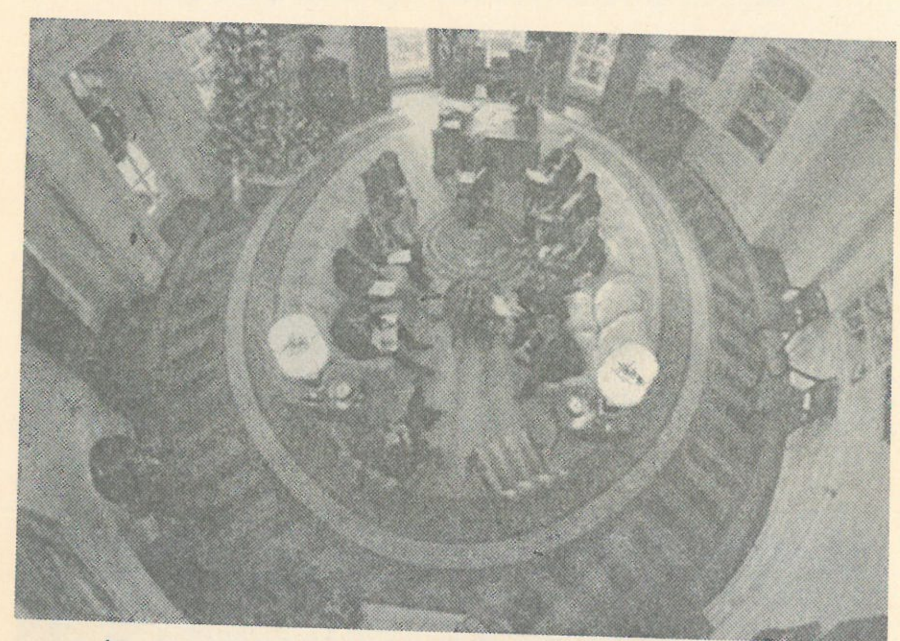
كلمة إلى الصحافة في البنتاغون وزير الدفاع دونالد رامسفيلد يتناول الكلام. في هذه المناسبة يحصل على المشادة بينه وبين السيناتور كارل لفين (إلى اليمين) ١١/ ٩/ ٢٠٠١.



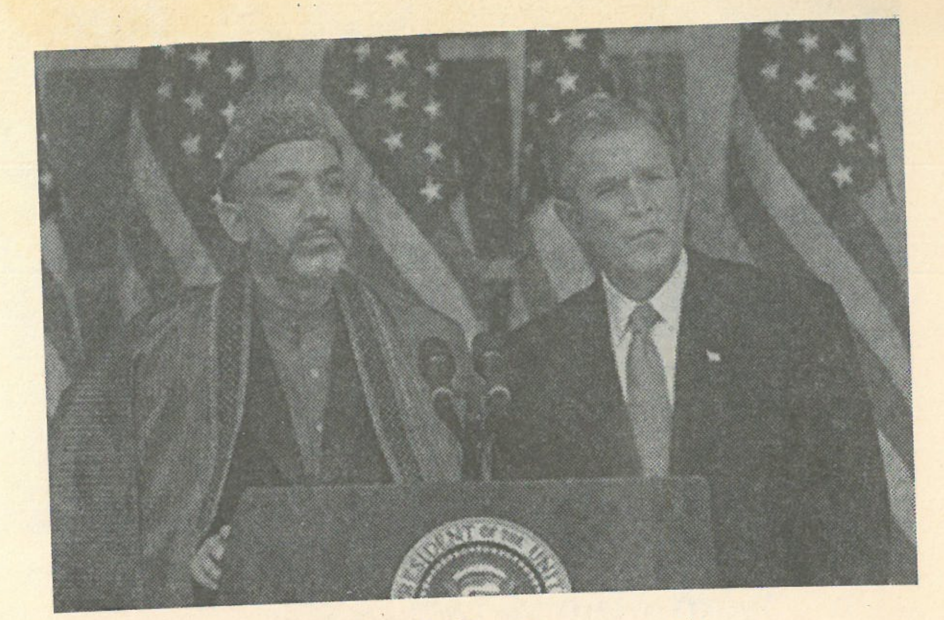
طوم ريدج مدير مكتب الأمن الداخلي في مؤتمر صحافي (١٨/ ١٠/ ٢٠٠١)



اجتماع مع مجلس الأمن القومي (١٢/ ٩/ ٢٠٠١)



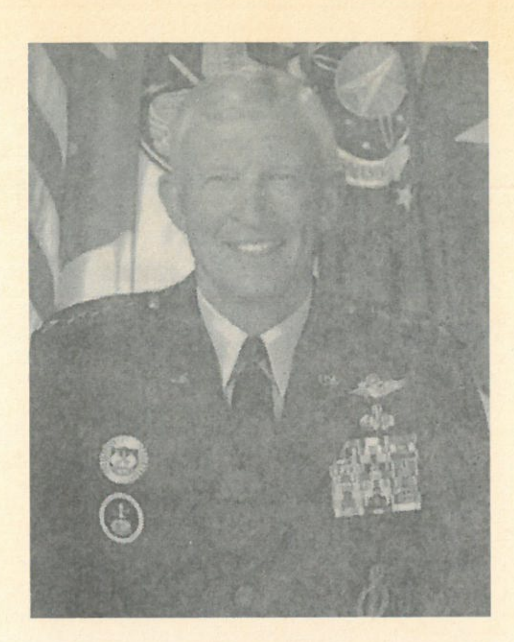
اجتماع في المكتب البيضاوي مع الرئيس بوش والحاكم طوم ريدج وكوندوليزا رايس والأميرال ستيف آبوت (٢٠/ ١٢/ ٢٠٠١).



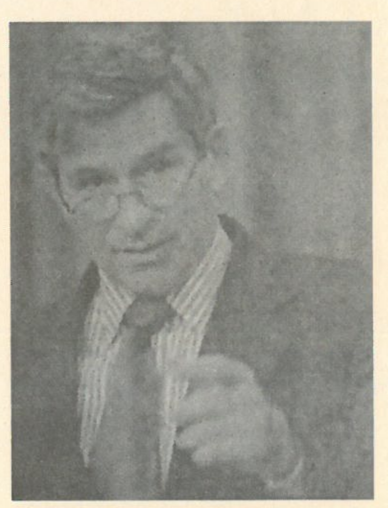
الرئيس بوش مع الرئيس الأفغاني حميد قرضاي



الرئيس حميد قرضاي يتلقى ترحيباً ٢٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢



الجنرال راف إبرهارت: القائد الأعلى للقوات المسلحة في شمال قاعدة الطيران الدفاعية الأميركية وقاعدة الدفاع الجوية الفضائية الأميركية وقائد القوات المسلحة الفضائية وقائد الدفاع المسؤول عن الطيران الفضائي لدعم العمليات.



نائب وزير الدفاع پول ولفوويتس

الفهرس

مقدمة ٥

القسم الأول

الإخراج الدامي

الفصل الأول: الطائرة الشبح على البنتاغون ٩
الفصل الثاني: عملاء على الأرض ٢٣
الفصل الثالث: جواسيس في البيت الأبيض ٣٥
الفصل الرابع: إعلان التعبئة في صفوف مكتب التحقيقات الفدرالي ٤٣

القسم الثاني

موت الديمقراطية في أميركا

الفصل الخامس: نقمة أم نعمة؟ ٥٧
الفصل السادس: من التأبين إلى الحرب المقدسة ٦٧
الفصل السابع: صلاحيات مطلقة ٧٥

القسم الثالث

هجوم الإمبراطورية

الفصل الثامن: ابن لادن هو المذنب! ٩١

الفصل التاسع : الأعمال مستمرة ١٠٩
الفصل العاشر : العمليات السرّية ١٢٣
الفصل الحادي عشر : المؤامرة ١٣٥

خاتمة ١٥١

ملاحق و وثائق

الموازنات العسكرية للبلدان الرئيسية ١٥٤
مذكرة توثيق لوزارة الخارجية حول أسامة بن لادن ١٥٦
حرب أميركا المقدسة بقلم وليم س. كوهين ١٦٠
جلسة استجواب مجلس الشيوخ للجنرال مايرز ١٦٣
مقابلة مع نائب الرئيس ديك تشيني ١٦٧
يجب تصفية الدول التي تدعم الإرهاب أيضاً بقلم ريتشارد بيرل ١٧٠
نوع جديد من الحروب بقلم دونالد رامسفيلد ١٧٣
نائب وزير الدفاع پول ولفوويتس ١٧٩
خطاب لورا بوش إلى الأمة ١٨٢
القضاء العسكري، عدالة منصفة وغير منقوصة بقلم البيرتو غونزالس ١٨٥
لائحة أسماء الانتحاريين التسعة عشر التي نشرها الـ إف . بي . آي ١٨٩
شريط الڤيديو المسجل لأسامة بن لادن عرضته وزارة الدفاع ١٩٣
نسخة شريط ڤيديو أسامة بن لادن ١٩٥
القسم الأول من زيارة أسامة ابن لادن الذي سجل
بعد تسعة وثلاثين دقيقة على بداية شريط الڤيديو ١٩٦
عملية نورث وودز ٢٠٤
مجموعة صور ٢١٢



تيري ميسان:

اختصاصي في العلوم السياسية. ناشط في جمعية دولية تدافع عن الحريات الفردية. يعمل حالياً في صحافة الاستقصاء.

قادته مسيرته إلى أن يصبح، بصفته خبيراً في قضايا حقوق الإنسان، مستشاراً لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي(C.S.C.E)ورئيساً لهيئة تحرير مجلة الآن(Maintenant)الشهرية. يرأس أيضاً شبكة ڤولتير ويتولى فيها إصدار نشرة استخبارية سياسية على الإنترنت. (www.reseauvoltaire.net).

توقف تيري ميسان، بصفته متتبعاً يقظاً للقضايا الحالية في العالم، عند الصور الأولى للاعتداء الذي تعرض له البنتاغون. لقد أثارت التصريحات الرسمية وتناقضات الرواية الرسمية حفيظته وزرعت في نفسه الشك حول ما تضمنته عن الاعتداء على البنتاغون ومركز التجارة العالمي، مما دفعه إلى إجراء تحقيق قاده من مفاجأة إلى مفاجأة، تضاهي الواحدة منها الأخرى بغرابتها.

أحدث صدور هكذا الكتاب ضجة عالمية كبيرة، إذ شكك في الرواية الرسمية الأميركية واعتبرها إخراجاً مأساوياً لأهداف سياسية أميركية، داخلية وخارجية.

وارتكزت الحقائق التي توصل إليها المؤلف على الروايات الرسمية المتناقضة الصادرة عن البيت الأبيض ووزارة الدفاع. واستندت تحقيقاته على ما أدلى به الرسميون والمسؤولون من تصريحات غداة توجيه الضربة. جميع المعلومات المعروضة في الكتاب موثقة وبوسع القارىء التثبت منها بالعودة إلى مواقع الإنترنت.